بيانات حول مذكرة «إلى من يهمه الأمر»

ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

العدد 910 ـ 24 ذو الحجة 1420هـ / موافق 30 مارس 2000

محمد بنيم: نموذج التوبة العمرية بين الواقع والتاريخ

إدريس كرم: قراءة في مذكرة إلى من يهمه الأمر على ضوء منهاج مرشد جماعة العدل والإحسان

خالد الجامعي: الرد الأغر، والجواب الأظهر حول «مذكرة إلى من يهمه الأمر»

محمد الاخصاصي: الشيخ ياسين بين زعم «النصيحة» ووهم الزعامة

الحسن بلا: الرد المبين على مذكرة ياسين

رسالة إلى عبد السلام ياسين من شخص يهمه الأمر

... «واعلم أيها الشيخ الفاني أنك حين تخرج من كهفك ستجد أن الزمن غير زمانك، وأنك غريب عن هذا الشعب الشاب وعن همومه وأحلامه، فإذا ضاقت بك الدنيا بما رحبت، فأهلاً بك كموالحن صالح تحت لواء بيعة أمير المؤمنين». ص: 14

افتتاحية

لماذا هذا العدد ؟

■ تصدر رابطة علماء المغرب هذا العدد من جريدة ميثاق الرابطة خاصا بمذكرة عبد السلام ياسين «إلى من يهمه الأمر» لتضع بين يدي القراء ملفا حولها وإن لم يكن كاملا، إلا أنه يعطي صورة عن موقع صاحب المذكرة في مسيرة الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والتحليلات التي وضعت بشأنها، والتي اعتمد بعضها على المرجعية الإسلامية والدراسات المبنية على قواعد أصول الفقه، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وفقه الدعوة وموقع مؤسسة الأمانة العظمى في السلطة الإسلامية، كما اعتمد البعض الآخر من التحليلات على مرجعية حداثية قانونية، وأصحابها من القيادات الإعلامية والسياسية سواء من أصحاب اليمين أو أصحاب الشمال.

وكل هذه الدراسات والتحليلات بينت الانحراف الفكري الذي مس صاحب المذكرة والنظارات السوداء التي وضعها على عينيه وهو يكتب بها مذكرته أو يشارك في كتابتها.

إن عهدنا بصاحب المذكرة أنه من رجال التعليم وأن المدرسة الصوفية كان لها دور كبير في تكييف جانب من حياته الاجتماعية، ويسارية الرؤية الصوفية جعلته يؤسس زاوية العدل والإحسان، ويحدد لمريديه ولغيرهم مجموعة من التوجيهات كان أغلبها يقوم على أساس النصيحة التي هي العنصر الأساسي في طريق الدعوة إلى الله إلا أننا فوجئنا منذ «الإسلام أو الطوفان» بالانحراف الفكري الذي صار يوجهه، وبلغ به درجة الخروج عن الجماعة في مذكرته الأخيرة «إلى من يهمه الأمر».

عهدنا بصاحب المذكرة على علم بشروط النصيحة والأسلوب الذي تقدم به إلى الناس، ولكنه في مذكرته ثبت أن «فقه النصيحة» لم يدرسه في زاويته، أو درسه ولم يعمل به، وأن شعار «العدل والإحسان» في حياته الفكرية غير مطابق للواقع، فالفقيه الياسيني لم يكن عادلا فيما أورده في مذكرته، وإذا لم يكن عادلا فهو عن الإحسان أبعد، والإحسان كما يراه أهل التصوف الحق : عدل وزيادة.

فهل التزم عبد السلام ياسين بأسلوب الدعوة إلى الله؟ وهل حافظ على «فقه النصيحة»؟ وهل طبق قواعد العدل على قلمه؟ فأحرى أن يكون لبس ثوب «الإحسان ؟» إن الدراسات المنشورة في هذا العدد تثبت أن صاحبنا خرج عن الضوابط الشرعية وأحكام النصيحة المرعية، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ميثاق الرابطة

مذكرة «إلى من يهمه الأمر» السياق العام والخلاصات الأولية

جمال الدين بن العربي

عاش المغرب في السنوات الأخيرة تغييرات سياسية واجتماعية مهمة تنذر بتحول المغرب من البلد التقليدي الذي هيمنت عليه أفكار الانحطاط والاستبداد السياسي إلى مغرب الحداثة والديمقراطية الحقيقية وعبر عن هذا التغيير من حيث تنصيب حكومة التناوب التوافقي برئاسة عبد الرحمان اليوسفي ومجيء المعارضة القديمة إلى دفة الحكم في ثاني تجربة بعد حكومة عبد الله إبراهيم، كذلك إشارات جلالة الملك محمد السادس بإشاراته السياسية والحقوقية.

إلا أن كل هذه الخطوات لم تثر أي تغيير في عقلية وتوجهات بعض السياسيين والجماعات الإسلامية مثل «العدل والإحسان» فأصدر مؤخرا مرشد هذا التنظيم مذكرة «إلى من يهمه الأمر» فما هو سياق هذه الرسالة والخلاصات الأولية التي تجنى من هذه الخطوة؟

1 - السياق العام للعدل والإحسان قبل صدور المذكرة:

يمكن ملامسة الوضع الحالي المحيط بالعدل والإحسان من خلال النقط الآتية :

1 - انحصار الشعبية وسط الطلاب، حيث إن هذه السنة لم تشهد نضالات طلابية ولا وقفات احتجاجية من طرفهم بل كان همهم إقامة تعاضديات وهمية تكرس استبدادهم، هذا مع العلم أن مبادرتهم لخلق لجنة تنسيق أوطمية باءت بفشل ذريع ولم تستجب لها المكونات الطلابية وأصبح الحديث عنها إلا في المناسبات «العدلية» ناهيك عن هجوم أقرب المكونات إليهم «الإصلاح والتوحيد» الذين عبروا مامرة عن رفضهم لها ومحاربتها جهارا وتعبئة الطلاب ضدها وهذا ما يحصل في البيضاء، مكناس، فاس...

2 - مشاركة المكون الآخر من التيار الإسلامي في العملية الإصلاحية ممثل في «الإصلاح والتوحيد» وسرق الأضواء من «العدل والإحسان» في أكثر من محطة سياسية وثقافية، وعلى سبيل المثال معارضتهم الأحادية وسط المكون السياسي من الإسلاميين لخطة إدماج المرأة، ووقوفهم ضدها بكل ما أوتوا من ثقل، أخذ الإعلام يتحدث عنهم، كذلك انفتاحهم على البرلمان بدخولهم المعمعة السياسية وتشكيلهم لفريق برلماني، إضافة إلى مفاجأة الدروس الحسنية إثر إلقاء «الريسوني» للدرس الثالث من أصل أربعة دروس، مما يعني مباركة سياسة محمد السادس ورضاه عن أداء الاعتدال الذي تنهجه هذه الحركة، مما يعطي انطباعا بأن الإسلاميين كلهم في خندق المشاركة في المؤسسات الدستورية وهذا يضرب في العمق التوجه الراديكالي لجماعة ياسين.

3 - البرلمان لم يعد يتحدث عن الحصار، فحتى الإسلاميون داخل البرلمان لم يعيروا القضية الحصار أهمية لا عبر الأسئلة الشفوية، ولا الكتابية وأكثر همهم هو المساندة النقدية، وهذا يطرح سؤالا: هل الأمر يتعلق بأن كل واحد يهتم بقضايا موقعه أم أنهم فطنوا للعبة عبد السلام الذي يحبذ في الحصار نقطة قوة وضغط سياسي.

4 - جمعيات حقوق الإنسان تتطرق لقضية الحصار عبر السطور وليس كنقطة مستقلة.

5 - موت الملك الحسن الثاني، قتل الرسالة الأولى وجدواتيبتها على اعتبار المرسل إليه لم يعد على قيد الحياة، فإلى عهد قريب كانت رسالة: «الإسلام أو الطوفان» التي صدرت سنة 1974 هي المحور العام في التحرك والاستقطاب «الاستحطاب»، ومذكرة «إلى من يهمه الأمر» هي استبدال رسالة بمذكرة رغبة في خلق ديناميكية في صفوف المنخرطين الذين لم يجدوا وسيلة سياسية لخلق صراع بينهم والحكم المغربي.

الخلاصات الأولية

1 - إحداث إشارة الوجود

سياق آخر لم ينتبه إليه البعض مرده إلى الحكم على الرسالة وصاحبها دون الخوض في زمن التوجيه، فالمتتبع لكتاباته السياسية بغض النظر عن الكتابات الصوفية يجدها تصدر في فترات يكون فيها الرأي العام منشغلا بقضية من القضايا المطروحة على جدول أعمال القوى السياسية بالمغرب بحيث يعمد إلى إصدار موقف عبر كتاب أو تحرك لأنصاره من الطلبة هدفه هو أن يوحي للرأي العام بأنه موجود في الساحة وأنه مختلف في آرائه عما طرح، وتجلى ذلك في المحطات التالية:

المحطة الأولى:

عندما وقعت الأطراف السياسية اليمينية واليسارية ميثاق الشرف وهو إعلان عن توافق الحكم مع الأحزاب السياسية بمختلف مشاربها الإيديولوجية، لم يرض ذلك الطرف العدلي الإحساني «فأصدر ما يسمى» حوار مع الفضلاء الديمقراطيين ليطرح بدوره ميثاقا آخر وكأنه يقدم بديلا عن الأول سماه الميثاق الإسلامي.

المحطة الثانية:

إثر تنصيب حكومة التناوب التوافقي برئاسة عبد الرحمن اليوسفي طلعت علينا مبادرة أخرى من طلبة «العدل والإحسان» سميت بلجنة التنسيق الوطني لتكون موضوع حديث الصحف الوطنية ومثار جدال قانوني حول شرعيتها ومشروعيتها، وكذا عن أهدافها السياسية للسيطرة على حصن سوسيو - ثقافي تتصارع فيه الأفكار وتتواجد به التيارات بمختلف تلاوينها.

المحطة الثالثة:

عندما كانت أزمة الخليج المؤخرة والتي كان العراق عرضة فيها لهجمات القوى الغربية، التحمت عزيمة العديد من الأحزاب السياسية والهيآت الحقوقية والمدنية في جعل مناصرة العراق محورا لخطوات تعبوية تناصر القضية بعيدا عن الحزبية وتأجيلا لصراعات لا موقع لها في مسألة قومية إسلامية، رغم ذلك تخرج «العدل والإحسان» عن الإجماع وتنفرد بالمسيرة التي نظمت بالرباط ضدا على إرادة الإجماع الوطني.

المحطة الرابعة:

آخر ذلك تأتي مذكرة إلى من يهمه الأمر التي وجهت أساسا للملك بعد النقاشات التي دارت في الصحافة الوطنية حول مسألة تحديث الدولة خاصة تحديث المؤسسة الملكية وما حوار «الساسي» وحوارات «الأحداث المغربية» كل أربعاء مع رموز القوى التقدمية عنا ببعيد، فهذه المذكرة تعبر عن الحضور في النقاش حول رسالة وليس جدالا صحفيا.

2 - إرادة جعل الحصار وسيلة للاسترزاق السياسي

إذا ما استحضرنا تاريخ كتابة المذكرة في 14 نونبر 1999 فسنجد أن العقلية المتحكمة هي الصراع وخلق المتناقض من أجل الظهور بمظهر الذي يعطي الإشارات على أنه ليس داخل تيار دولة الحق والقانون.

وهذا يطرح علامة استفهام كبرى إلى أي حد يمكن القول أن خالف تعرف «أصبحت تجدي في عصرنا الحالي وبنيتنا السياسية المغربية حيث إن المشاركة من داخل البنية أصبحت ديدن التنظيمات السياسية المغربية اليسارية والإسلامية وغيرها، وما تشكيل حزب «الحركة من أجل الديمقراطية» وإيداع ملف «النهج الديموقراطي» عنا ببعيد إذ عصر الثورة على الحكام والإطاحة بهم قد ولى وأصبح التغيير هو المنطلق من الإنسان كموضوع وهدف في آن واحد.

فلماذا إذن صدرت المذكرة ونشرت في وقت ذكرى الحصار العاشرة، إشارة إلى عقلية الصدام، فالمذكرة يمكن أن تخلف رد فعل قوي للسلطة إما بإبقاء الحصار أو اتخاذ إجراءات قانونية وأمنية ضد ياسين وأتباعه، وهذا هو هدف عبد السلام ياسين الذي يريد أن يبقي على الحصار في إطار استغلال سياسي مفضوح يجعله ورقة ضغط واستقطاب فمنذ 1991 تاريخ بداية الحصار ازداد عدد الأتباع، فالورقة الرابحة لا يمكن خسرانها، إرادة أن يكون الحصار هو الأصل والحرية هي الاستثناء، فماذا يريد منها على اعتبار أنه يمارس قيادته للجماعة من داخل «فيلا» فاخرة، مجلس الإرشاد يجتمع في بيته والزوار يأتون من كل حدب وصوب، السياسيون والمتعاطفون يحضرون للقائه، «الفيلا» بها الطابق السفلي مخصص للضيوف، إذن «الزاوية» التي يحلم بها متحققة ولو بشكل غير كلي.

وهو يعتبر أنه إذا خرج بالديمقراطية والانفتاح على الواقع سيغير عقلية المريدين وهذا ما لا يريده ويرضاه وستظهر مقولاته متشددة ونشازا في واقع مليء بالمشاركين في الحياة والتغيير من داخل نظام يجمع عليه الكل وهو الملكية الدستورية.

في ظل الأمية السياسية عند الأتباع، غياب الوعي الثقافي لدى أعضاء العدل والإحسان، وفي حضور جو المشيخة الصوفية والمريد بين يدي غساله، أخذت هذه المذكرة حيزا مهما وبل تجندا كاملا لنشرها وتخصيص حلقات مركزية لمدارستها مصحوبة بملصقات عن الشيخ وبرنامج يومه، «كلية الحقوق بمكناس نموذجا...».

وإذا كان الأمر بهذا الحماس شرح رسالة بشرية فلماذا - وهم أعضاء في جماعة إسلامية - لم يقوموا في حلقات بشرح الرسالة الإلهية «القرآن الكريم» ولم تقترب آياته إلى الطلاب بل طول السنة ما نلاحظه سوى مسابقات ثقافية «مثل ما حصل في رمضان» ومسلسل العنف الذي أقيم مع طلبة قاعديين.

ختاما، إذا كان الكل يحترم الدستور ولا يطعن في شخص الملك من حيث الموقف العام - وهذا طبيعي - للقوى التقدمية، فإن الحركات الإسلامية المغربية مدعوة إلى التغيير وبكل صراحة عن موقفها من هذه المذكرة التي أبدت نشازا في صفوفها.

وعلى القوى التقدمية من جهتها أن توجه إلى جماعة ياسين رسالة واقعية - إذا كان فعلا «يهمه الأمر» وأنصح أن تكون بسياق دعم الديمقراطية وتشييد مجتمع حداثي يكرم فيه الإنسان وتتاح فيه فرصة التواجد والرأي لكل الحساسيات، إثر ذلك ستصل الرسالة موقعة بتغيير شامل لا مكان فيه للتشدد والفكر الأحادي.

جمال الدين بن العربي
طالب السنة الرابعة
«قانون خاص» كلية الحقوق بمكناس
(الأحداث المغربية 28 فبراير 2000)

بيان
من رابطة علماء المغرب

حول منشور
«إلى من يهمه الأمر»

لصاحبه عبد السلام ياسين

يقول الله تعالى :

■ ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

سورة النساء : 59

وقال ﷺ :

«من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا، وإن قال بغيره فإن عليه منه».

وعنه ﷺ أنه قال :

«الدين النصيحة» قلنا لمن ؟ قال : «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال :

«إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»، كما أخرج البخاري في باب «إذا خاصم فجر». وعن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال :

«أربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر».

أوردنا هذه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام بعد أن اطلعنا على محتويات منشور موجه إلى من يهمه الأمر من رجل تجاهل ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من واجب الاحترام والطاعة لولي الأمر.

هذا المنشور المقدم على أنه نصيحة لمن يهمه الأمر تبين فيه جهل صاحبه بمعرفة الأحكام الشرعية والسياسية المرعية.

هذا المنشور الذي تجاوز حدود النصيحة ووصل إلى درجة الافتراء على مؤمن أفضى إلى رحمة ربه فيتألى على الله ويحاكمه وينال من عرضه مع أنه صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم» يسيء إلى إجماع الأمة في التمسك بالدين ووحدة الوطن والتشبث بالبيعة.

من أجل ذلك اجتمعت الأمانة العامة لرابطة علماء المغرب وتدارست المنشور السالف الذكر وعرضته على ما جاء في الكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأمة فرأت أنه انطلاقا من البيعة الشرعية التي في أعناق المغاربة والتي من أركانها النصرة وموالاة أمير المؤمنين في زمن طغت فيه مظاهر الغلو والمروق والإلحاد بدعاوي مختلفة وأهواء متضاربة ما أنزل الله بها من سلطان هدفها النيل من الإسلام والمسلمين وزرع بذور الفتنة في أمصارهم التي تتفيأ ظلال الأمن والسكينة والوحدة والطمأنينة ومنها بلادنا المغربية التي تكسرت على صخرة صمودها كل المكايد والضغائن والأحقاد وطمع الطامعين وسفه الغاصبين والمنافقين والحاقدين حيث كان الالتحام الذي تحقق حول أمير المؤمنين وسبط الرسول الأمين سواء أثناء جنازة والده طيب الله ثراه وأحسن مثواه على كسر بيضة الإسلام والخروج عن الإجماع بتحريض مواطنينا في الصحراء المسترجعة على نقض البيعة الشرعية وفصم عرى الوحدة على أساس أن «لغة العزة» توجد عند الانفصاليين، والله عز وجل يقول :

﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾.

وهذه هرطقة وحماقة جاء بها صاحب المنشور تعرضه لغضب الله والمؤمنين وولي الأمر ما كنا نتوقع أن يقع فيها من يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ناهيك عن من يزعم الإصلاح باسم الإسلام.

ورابطة علماء المغرب باستنكارها لما جاء في المنشور ترى أن صاحبه مناهض لما جاء في الكتاب والسنة وثوابت الدين وآدابه وأخلاقه وتدعوه إلى التوبة والرجوع عن غيه والتزام الجادة وإجماع الأمة وموالاة أمير المؤمنين ونصرته ومعاداة من عاداه والإقلاع عن مثل هذه الحماقات التي لا يقرها الدين وتأباها أعراف المسلمين الذين يلتزمون بقوله تعالى :

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾.

وهل هناك بهتان وإفك أكثر مما جاء في المنشور الذي تعرض لملك تشهد منجزاته وأعماله الخالدة على عمله الجهادي في الدفاع عن الإسلام والمسلمين وإعلاء شأن بلدنا في العالمين طوال فترة حكمه ناهيك عن أعمال البر والإحسان التي أقر بها الأعداء قبل الأصدقاء.

إن علماء المغرب وهم يستنكرون هذه الفرية الشنيعة التي تستر صاحبها وراء إسداء النصيحة التي لم يلتزم بشروطها وضوابطها الشرعية من اللين والأدب والسرية وسلامة الطوية والبعد عن الأهواء والادعاء الكاذب والرياء والشهرة، يعتبرون أن صاحب المنشور خرج عن إجماع الأمة وانحرف عن الطريق السوي وخالف قوله ﷺ :

«عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة».

وقوله ﷺ :

«إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله مع الجماعة ومن شذشذ في النار».

وفي الأخير نؤكد بيعتنا لأمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس وتجندنا للدفاع عن المقدسات الدينية والوطنية لا نحيد عما رسمه لنا جلالته قيد أنملة ونحن دوما وأبدا جاعلين نصب أعيننا قوله تبارك وتعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

أدامه الله ركنا ركينا وحصنا حصينا للإسلام والمسلمين وشد أزره بشقيقه صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد وسائر أفراد الأسرة العلوية المجيدة إنه سميع مجيب.

وحرر بالرباط في 4 ذو القعدة 1420

الموافق : 10 فبراير 2000

النائب الأول للأمين العام : الشيخ ماء العينين لا رباس

بيـــــان

تذكـرة من جمعيـة العلمـاء خريجي دار الحديث الحسنية لصاحب مذكرة «إلى من يهمه الأمر»

الدكتور محمد يسف

بالرغم من أن الرسالة التي كتبها الأستاذ عبد السلام ياسين بعنوان: «**مذكرة إلى من يهمه الأمر**» ليست في تصورنا أكثر من لافتة إشهارية وتشهيرية إعلامية، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ترقى إلى مقام النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، بحيث تستمد مشروعيتها وهيبتها من روح الشريعة وصفاء الضمير ونقاء السريرة.

ويتجلى ذلك في حرص منشئها على توزيعها على أوسع نطاق وتعميمها عبر شتى وسائل الإعلام، وبمختلف الألسن، قبل عرضها على من يهمه الأمر، كما تقتضي ذلك آداب النصح، وأصول النصيحة.

وكان بإمكاننا أن نلتمس لأنفسنا أكثر من عذر وسبب في تجاهلها، وإهمال النظر في محتوياتها:

أولا: لأن تحريرها قد تم بلسان أعجمي، أجنبي، ومنه نقلت - لاحقا - إلى لغة القرآن، والدين والوطن، وكان المفروض والأليق أن يحدث العكس، وهو صنيع يشهد، بأن المذكرة لم تعد للنصح والنصيحة، وإنما أعدت للتشهير والفضيحة.

وكأن السيد ياسين، أدرك بأنه وقع - على الأقل - في خطإ منهجي، لا يخلو من مساءلة وحرج، فحاول الاعتذار عن ذلك، بيد أن اعتذاره جاء غثا باردا لا يمكن أن يقع من النفس موقع القبول، والاطمئنان.

ثانيا: وعلى خلاف ما كان منتظرا، جاءت خالية من أي نص شرعي داعم، يغني مضامينها، لا على مستوى الدرجة الأولى «قرآن كريم» ولا على مستوى الدرجة الثانية «حديث شريف» وأي قيمة يكتسيها كلام مرسل، لا يدعمه نقل، ولا تسنده حكمة ولا عقل؟

ومع كل هذه المآخذ، التي لا نخالها بريئة من التعمد، وسبق الإصرار، فقد أبينا.

إخلاصا للمقاصد والغايات الدينية والوطنية والتاريخية والحضارية التي أنشئت دار الحديث الحسنية من أجل تحقيقها.

وتأسيسا على قيم الحوار الباني، وآداب المجادلة بالتي هي أحسن، التي يهدي إليها ديننا الحنيف، حفاظا على وحدة الأمة، وصيانة ثوابتها من عوامل التصدع والشتات والفرقة، ورفض أي شكل من أشكال العدوان المادي أو الأدبي على الآخر.

اعتبارا لكل ذلك، أبينا إلا أن نعكف على قراءة مذكرة الأستاذ ياسين، قراءة متأنية هادئة، احتفظنا فيها لأنفسنا، بكل ما يمكن أن يحتفظ

وتعميمها عبر شتى وسائل الإعلام، وبمختلف الألسن، قبل عرضها على من يهمه الأمر، كما تقتضي ذلك آداب النصح، وأصول النصيحة.

وكان بإمكاننا أن نلتمس لأنفسنا أكثر من عذر وسبب في تجاهلها، وإهمال النظر في محتوياتها:

أولا: لأن تحريرها قد تم بلسان أعجمي، أجنبي، ومنه نقلت - لاحقا - إلى لغة القرآن، والدين والوطن، وكان المفروض والأليق أن يحدث العكس، وهو صنيع يشهد، بأن المذكرة لم تعد للنصح والنصيحة، وإنما أعدت للتشهير والفضيحة.

وكأن السيد ياسين، أدرك بأنه وقع - على الأقل - في خطإ منهجي، لا يخلو من مساءلة وحرج، فحاول الاعتذار عن ذلك، بيد أن اعتذاره جاء غثا باردا لا يمكن أن يقع من النفس موقع القبول، والاطمئنان.

ثانيا: وعلى خلاف ما كان منتظرا، جاءت خالية من أي نص شرعي داعم، يغني مضامينها، لا على مستوى الدرجة الأولى «قرآن كريم» ولا على مستوى الدرجة الثانية «حديث شريف» وأي قيمة يكتسيها كلام مرسل، لا يدعمه نقل، ولا تسنده حكمة ولا عقل؟

ومع كل هذه المآخذ، التي لا نخالها بريئة من التعمد، وسبق الإصرار، فقد أبينا.

إخلاصا للمقاصد والغايات الدينية والوطنية والتاريخية والحضارية التي أنشئت دار الحديث الحسنية من أجل تحقيقها.

وتأسيسا على قيم الحوار الباني، وآداب المجادلة بالتي هي أحسن، التي يهدي إليها ديننا الحنيف، حفاظا على وحدة الأمة، وصيانة ثوابتها من عوامل التصدع والشتات والفرقة، ورفض أي شكل من أشكال العدوان المادي أو الأدبي على الآخر.

اعتبارا لكل ذلك، أبينا إلا أن نعكف على قراءة مذكرة الأستاذ ياسين، قراءة متأنية هادئة، احتفظنا فيها لأنفسنا، بكل ما يمكن أن يحتفظ به قارئ يبتغي البحث عما هو إيجابي نافع، ويتحرى الموضوعية والصواب، متغاضيا عن الأخطاء والعيوب، التي قد لا يسلم من الوقوع فيها بشر، كيفما كانت درجة نضجه وتجربته، إذ النقص وصف بشري تحتي، والكمال وصف إلهي علوي.

نسأل الله سبحانه أن يثبت قلوبنا وألسنتنا على الحق، ويأخذ بناصيتنا إلى المسالك والطرق الموصلة إليه.

وددنا - ونحن نتابع السيد ياسين في مذكرته ذات اثنتين والثلاثين صفحة - ألا تقع عيننا منها إلا على حكمة، أو ما يشبه الحكمة، أو على نصيحة، أو ما يشبه النصيحة، أو حتى على ما يدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بشروطه وآدابه، ووفق النهج القويم، والصراط المستقيم، الذي درج السلف الصالح، من رواد الإصلاح، والخلف من بعدهم على انتهاجه.

ولكن - وأسفاه - لقد أصبنا بالإحباط. وبخيبة الأمل، وفارقنا ما كان يحدونا من رغبة صادقة في العثور على شيء نعتد به، كإشارة للتواضع وحسن النية، وكمنطلق لفتح باب المصالحة مع النفس ومع الآخر، فإذا بنا أمام تصلب وعناد، وصلف وكبرياء.

عز علينا - والله - أن نخرج من قراءة هذا الكم من الصفحات، بما لا نستطيع أن نسجل به محمدة لرجل اختار لمشروعه التربوي والإصلاحي عنوانا ذا خطورة وجلال: «العدل والإحسان» الذي أعيانا أن نعثر له على مضمون داخل المذكرة، فلم نظفر بطائل، وعدنا «بخفي حنين»، «راضين من الغنيمة بالإياب».

وكان حقا علينا أن نتساءل:

أهذا هو رصيد الفاعلين الإصلاحيين، والمستثمرين في المجال المعنوي والروحي، من بني قومنا، ممن كنا نحسن بهم الظن، ونعلق عليهم الأمل في دفع عجلة التغيير نحو الأحسن؟

أهذا كل نصيبهم من إرث النبوة؟ ومن ثقافة الإسلام وحضارته، وتاريخه وفقه إصلاحه؟

أبمثل هذه الشتائم التي وسعت الأموات، ولم ينج منها الأحياء، نطمع في تقويم الاعوجاج، وهداية المنحرف والضال؟

أعلى هذا النحو كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يعالج قضايا الإنسان الكبرى، وقد أدركته الشيخوخة والهرم وأثخنته الجاهلية، فاستطاع أن يعيد له شبابه ونضارته وحيويته وقوته وإنسانيته؟

لا، لا، «ما هكذا يا سعد تورد الإبل».

كنا - والله - يا أستاذ أحوج إلى غير هذا منك...

وددنا لو أننا أصغينا، وأصغى معنا كل من يهمه الأمر إلى خطاب أصيل، ينبعث من ربوعنا، ويحمل خصوصية فكرنا - المثقل - لغة وفكرا - بالحكمة، والتسامح والوقار، والاحترام لولاة أمورنا الساهرين على سلامتنا وأمننا، خطاب يكون بديلا لهذا الحشد الحاشد من الخطابات الزائفة الغريبة، الضالة المضلة، التي ملأت صعيدنا الطيب الطاهر، بمسوبوء الشعارات، وسخيف المستورد المغشوش من الأفكار والنظريات، وكان قبل اليوم لا يعلو في فضائه سوى شعار واحد هو شعار الوحدة والتوحيد، ونداء: «حي على الصلاة حي على الفلاح»، فإذا نحن ضحايا نداءات مفرقة، وشعارات منتنة، ودعاوي كلها جاهلية.

كم وددنا، وود معنا كل حر أصيل، أن لو كان خطابا حكيما، هادئا، متفائلا، يبني ولا يهدم، ويجمع ولا يفرق، ويبشر ولا ينفر، يصدر من القلب لتتلقفه القلوب، وتتفاعل معه، وليس فقط قولا باللسان في غيبة الضمير والوجدان، فالكلام إذا صدر من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان، لا يتجاوز الآذان.

واحسرتاه عليك يا أستاذ ياسين، وجدنا أنفسنا، ونحن نقرأ النص المعرب من مذكرتك عن اللسان الأعجمي - الفرنسي - دون أن نتأكد من سلامة الترجمة ومدى مطابقتها للنص الفرنسي الأصلي المنقولة عنه.

فإذا لم يكن لديك تحفظ أو اعتراض على صحته، فلا نخفيك أننا ألفينا أنفسنا أمام خطاب هائج، ثائر، عدواني جائر، لا يتسع صدره للحوار، ولا يتقبل الرأي الآخر، خطاب لا يسع من يقرؤه أو يسمعه إلا أن يعبر عن اندهاشه واستغرابه لذلك الخليط من الأفكار المتناثرة والمتهافتة، التي لا ينتظمها سلك، ولا تنضوي تحت عنوان جامع، إنها عبارة عن خواطر وسوانح سوداء، يغلب عليها طابع العنف والانفعال، والمبارزة والسجال، والتشنج والتشفي، ورد الفعل بشراسة، مشربة بروح السخرية والتهكم، والتجريح الذي لم يفلح ما بذلت من جهد لإخفائه والتستر على حمولته من الحقد الأسود الذي طال احتباسه بين الضلوع حتى استحال صديدا عفنا ثم انفجر، فسال على لسانك وقلمك مادة سامة ملوثة لا تذر من شيء أتت عليه إلا أفسدت لونه وطعمه ورائحته.

ولقد نعلم أنك سيضيق صدرك بما نقول، وبما نعلم وتعلم أنه الحق، ونعلم أيضا بأنك لم تكن - وأنت تكتب مذكرتك - في وضع مريح، يساعدك على تقديم النصح وإبداء الرأي، من موقع النزاهة الفكرية، والموضوعية العلمية، فليس من اليسير عليك، أن تتجاوز راهنيتك، لتحلق في أفق المستقبل الواعد، والأمل كبير في تحقيق انفراج وشيك، يلغي التوتر، ويمحو آثار النفور.

وإن من صح منه العزم على الانضمام إلى موكب المصلحين

والانخراط في معترك الإصلاح، لا يمكن أن يشغل نفسه بنبش القبور، والعبث بجثث من ماتوا، قطعا وبترا وتشويها، وثلبا، وشتما، وتحقيرا، وأنت من يعلم أن حرمة المسلم ميتا كحرمته حيا، وتعلم أننا قد نهينا عن المثلة، بفعل اليد والسلاح كانت، أو بفعل القلم واللسان، وعن إيذاء الأحياء بشتم الأموات، حتى ولو كانوا كفارا مشركين، فكيف بمن عاشوا حياتهم مرابطين في الثغور، منافحين عن القيم، لا يتركون فرصة تمر دون أن يؤكدوا اعتصامهم بحبل الله المتين، واعتزازهم بكتابه المبين، إذ لسنا مكلفين بالكشف عما في أعماق الضمائر، الله وحده من يتولى السرائر.

لقد عمدت إلى سيد كريم، وملك عظيم من ملوك هذا العصر، ورمز لامع من رموز العرش، ومفخرة من مفاخر دولة الأشراف، استطاع في نحو ثلث قرن من الزمن أن يصنع دولة عصرية، تجمع بين القديم والجديد، والطارف والتليد، فأسأت إليه أبلغ إساءة، ونسبت إليه وإلى عصره من النقائص والعيوب، ما يعد وصمة في جبين وطنك، فطعنت به كبرياء شعبك، وكرامة أمتك، من غير دليل تستند إليه في إدانتك وتجريحك إلا مصادر صليبية، صهيونية، معروفة بعدائها وعدوانيتها وحقدها على الإسلام والمسلمين، لا ترضى أبدا إلا عمن أذعن لها واستسلم وارتد عن دينه، وغدر قومه وخان وطنه وأمته، مصداقا لقول الله عز وجل: ﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**﴾.

لقد كان الحسن الثاني - رحمه الله - وسيبقى قائدا فذا، وملكا شهما، ائتمنه التاريخ على ميراث شعب ومصير أمة، وعزة وطن، وسيرورة حضارة، فكان في حجم المسؤولية التي نيطت بعهدته، ووضعت على عاتقه، وتجرد لإنجازها على الوجه الأكمل، حارسا لمجد تليد، وعرش مجيد، وسط بحر هائج مضطرب يموج بالقراصنة المتآمرين وعملائهم من الثوريين المتربصين، الذين قاموا بأكثر من محاولة لتصفيته، والإطاحة بعرشه، فما وهن لما أصابه، وما ضعف وما استكان، وقاوم الشر بشجاعة نادرة، ورباطة جأش قل نظيرها، وإيمان بالله لا يشوبه شك.

ثم لم تكتف المذكرة بذلك، حتى تناولت قضية أجمعت الأمة قاطبة على التعبئة من أجل كسبها واستخلاصها، وقامت قومة رجل واحد، وسارت في مسيرة قرآنية سلمية تدل على حس متفرد، وعبقرية متحركة، وفكر فاعل مبدع، تفتق عنه تدبير ملك يعيش قضية أمته، وهموم شعبه، يريد صد الغارة التي يشنها الطمع والابتزاز، وإبطال مفعول مخططات التوسع والهيمنة التي تسعى لفك الارتباط بين المغرب ذي الرسالة الحضارية والبعد الروحي، وبين إفريقيا المرتبطة بعواصمنا العلمية، وفكرنا الصوفي، ومنهجنا السلوكي الذي يجب أن يتجدد في شكله ومضمونه ليواصل الخلف ما أسسه السلف.

وصفت امتدادنا الذي يرمز إلى كل هذه المعاني الرفيعة، بالإرث المسموم وجعلت أنصار الوحدة من أبناء الأقاليم المسترجعة بين خيارين، أحلاهما مر - كما قيل - فإما أن يختاروا الوحدة ومعها الذل والمهانة والعار، وإما الانفصال والدخول في خندق العدو، في ظل الكرامة والعزة والشهامة.

أي منطق هذا؟ وأي افتراء على الحق؟

ألا يعد هذا تحريضا على الانفصال والتضحية بجهود عقود أنفقها المخلصون في تعبئة الوجدان الشعبي، ونفخ روح التضحية والبذل في سبيل وحدة الوطن وعظمته؟

كيف جاز لك أن تستطرد إلى هذا الموقف المشين الذي لا يليق برجل وقور في مثل سنك وعقلك واختيارك؟ أهان على نفسك أن تخرق إجماع أمتك وتنقض وحدة شعبك، وأنت من يعلم جزاء ما أعد الله لمن فارق الجماعة شبرا، وعاكس اختياراتها؟

ولم يسلم من نقدك وتجريحك حتى ذلك المشهد العلمي الحاشد، الذي يتداعى له أهل المعرفة من كل حدب وصوب، من أرض الإسلام، وكل أرجاء الدنيا وفجاجها، ليؤلفوا باقة علم عطرة فريدة في بابها، ومجلسا فذا من مجالس الإيمان والتقوى، تتنزل عليه السكينة، وتغشاه الرحمة، وتحفه الملائكة، وتتاح فيه الفرصة لعامة الناس، ليشهدوا منافع لهم، ويطلعوا على عظمة الإسلام في ثقافته وعلومه وتشريعاته وأخلاقه وتنظيماته للدولة وللمجتمع وللعلاقات الإنسانية في كل مظاهرها.

أكل هذا في نظرك نفاق وشعوذة وضلال، ومسرحيات تفننت الآلة المخزنية الحاذقة - على حد تعبيرك - في إعدادها وإخراجها وتأليفها؟

أليس هناك شيء يستحق التقدير والاحترام في أعمال هذا الملك، الذي عكف على إنجازها خلال ثمانية وثلاثين عاما؟

لسنا نعارض الدعوة إلى الله، فنحن دعاة، ونشد بحرارة وقوة على يد كل داعية مخلص إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وناصر الصالحين المصلحين الذين يتصدون للانحراف وقمع الفساد والمفسدين، فالدعوة إلى الله وإلى

صراطه المستقيم غذاء لا غنى عنه لنمو الإنسانية وتقدمها، ودواء ناجع لعللها وأمراضها، والحاجة إلى الدعوة قائمة مستمرة إلى يوم الدين، وباقية ما بقيت السماوات والأرض، وتزداد أهميتها وضرورتها كلما توغل الإنسان في الانحراف، وحاد عن الحق المبين، وبإهمالها والقضاء عليها تخسر الأمم خسرانا مبينا، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها، ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا**﴾، وقوله سبحانه: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون**﴾.

فلا بد - إذن - من دعاة مخلصين يمحضون النصح الخالص لوجه الله طبقا لنظام محكم، حتى يكسروا شوكة أهل الغواية، ويعودوا بالأمة إلى طريق الهداية، فيصلح المجتمع بعد فساده، وتحيى النفوس بعد موتها، وتعلو كلمة الله على كل كلمة سواها، تأسيا بما حكاه الله تعالى في كتابه العزيز عن نبيه شعيب عليه السلام، إذ قال: ﴿**إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب**﴾.

غير أن للدعوة والنصيحة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر شروطا وآدابا، وضوابط وأصولا، لابد من مراعاتها حتى تحقق هذه الآليات مقاصد الشرع وأهدافه.

ومن الآداب التي نبه إليها أهل هذا الشأن من علماء الأمة، سلفهم وخلفهم، استخلاصا لها من كتاب الله عز وجل، ومن سنة رسوله الأكرم(ص)، وسيرته العطرة، فيما يخص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

1 - أن يكون الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، عالما بحقيقة المعروف الذي ترك، والمنكر الذي فعل، وأن ذلك مما ينكره الشرع من المعاصي والمحرمات.

2 - أن يكون ورعا يفعل ما يأمر به، ويترك ما ينهى عنه.

3 - أن يكون حسن الخلق، حليما، يأمر بالرفق، وينهى باللين، ويصبر، ويعفو، ويصفح عما قد يلحقه من الأذى، إذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر، لقوله تعالى: ﴿**وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك، إن ذلك من عزم الأمور**﴾.

4 - أن يكون متثبتا في إثبات المنكر، فلا يتجسس على أحد ليثبت المنكر، ولا يستعمل وسيلة غير مشروعة لذلك، ولا يعتمد مصدرا مشبوها من أعداء الإسلام والمسلمين، ولا خبرا من فاسق لقوله تعالى: ﴿**ولا تجسسوا**﴾، وقوله سبحانه: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾.

5 - أن يبين المعروف والمنكر لمن يريد أمره ونهيه قبل أن يأمره وينهاه، فقد يكون تركه المعروف وفعله للمنكر ناتجا عن جهله بهما، وقد يكون له مبرر فيهما.

6 - أن يتدرج في الأمر، بحيث يأمر وينهى بالمعروف أولا، فإن لم ينفع ذلك، انتقل إلى أسلوب التأنيب والتعنيف، وإلى الإغلاظ في القول، فإن لم ينفع ذلك، غير المنكر بيده، وألزم الناس بفعل المعروف - إن قدر - فإن عجز استعان بالسلطان، وبإخوانه المؤمنين، وإن عجز عن التغيير باللسان وباليد، كان معذورا، وانتقل إلى التغيير بالقلب وذلك أضعف الإيمان.

ومن آداب الموعظة والنصيحة:

7 - التزام الرفق في القول، واجتناب الكلمة الجافية، والعبارة الجارحة، دليل ذلك قوله تعالى لنبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾.

8 - مخاطبة المدعو باللقب المحبوب عنده، والحذر من التفاخر والتعنت، ويشهد لذلك قوله تعالى مخاطبا موسى وهارون: ﴿**اذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى**﴾. قال علماؤنا: ويتأكد مثل هذا الأدب في موعظة الصغير للكبير، والمرؤوس لرئيسه، وقد يستحسن أن يفتتح للرؤساء خطابه بكلمة «إيذن لي» كما قال ابن شريح لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: «إيذن لي أيها الأمير أحدثك، إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ...إلخ الحديث.

فقال له عمرو بن سعيد: نحن أعلم بحرمتها منك، فقال له ابن شريح: إني كنت شاهدا وكنت غائبا، وقد أمرنا رسول الله(ص) أن يبلغ شاهدنا غائبنا وقد أبلغتك، فأنت وشأنك.

ونماذج من الوعظ النافع:

وقد ارتأينا من المفيد أن نعرض لنموذجين أو ثلاثة من عيون الوعظ النافع، والنصيحة المثمرة، تكون لنا نبراسا نهتدي به في ممارستنا فعل التصحيح والإصلاح.

نقل شمس الدين المقدسي الحنبلي في كتابه «الآداب الشرعية» 1/ 198 أن الحافظ أبا الفرج ابن الجوزي، وعظ في سنة أربع وسبعين وخمسمائة وكان حاضرا مجلس وعظه ببغداد يومئذ: الخليفة المستضيء بأمر الله، وكان مما أجرى الله على لسانه قوله: «يا أمير المؤمنين، إني إن تكلمت خفت منك، وإن سكت خفت عليك، وأنا أقدم خوفي عليك على خوفي منك»، وقال له في مناسبة أخرى: «يا أمير المؤمنين، لو أني مثلت بين يدي السدة الشريفة، لقلت: يا أمير المؤمنين: كن لله سبحانه وتعالى مع حاجتك إليه، كما كان لك مع غناه عنك، إنه لم يجعل أحد فوقك، فلا ترض أن يكون أحد أشكر له منك».

فتصدق أمير المؤمنين بصدقات، وأطلق محبوسين، وكان لذلك القول الرقيق أثره المحمود، ونفعه المشهود.

ومن النماذج التي استعمل فيها العلماء المصلحون دواء الخوف بدل دواء الرجاء، ما روي أن الخليفة هارون الرشيد طلب من شيبان أن يعظه، فقال له: «يا أمير المؤمنين، لأن تصحب من يخوفك حتى تدرك الأمان، خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى تدرك الخوف» فبكى الرشيد، حتى رحمه من حوله.

بهذا الأسلوب الحكيم، الذي يمتلىء أدبا وحدبا ورقة وشفقة، أدى الدعاة إلى الله واجبهم في الدعوة كاملا غير منقوص، فأثمرت دعوتهم وأتت أكلها، وادخر الله لهم ثوابها وفضلها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

وبعد، فإنك إن كنت ممن يستمعون القول، ويتبعون أحسنه، وكان لديك من رهافة الحس، وشفافية الروح والنفس، ما تستطيع أن تميز به زائف القول من خالصه، وخبيثه من طيبه، فإنك لا محالة مدرك صدقنا في التوجه، وإخلاصنا في النصح والمناشدة، ورغبتنا الشديدة في أن نرى قدرات الصالحين المصلحين من أبناء أمتنا، يلتفون حول ولي أمر الأمة، ممثلا في رمز الوحدة الدينية والوطنية والنفسية، والسلام الاجتماعي والسياسي، الملك الشاب الصالح، مولانا محمد السادس نصره الله، والانخراط في حركة التغيير والإسهام في ترشيدها، وحراستها من عبث العابثين، وتسلل المتسللين، وصولا إلى صياغة نموذج ثقافي حضاري علمي اقتصادي سياسي راشد، مندمج في محيطنا الإسلامي، متحرر من عقدة الأجنبي.

ونعتقد اعتقادا لا يشوبه شك، أن الشروط النفسية، والظروف الاجتماعية، والرغبة الصادقة في التغيير والتطوير في ظل القيم الخالدة، قد توافرت لإحداث إقلاع مستنير، وانتفاضة كريمة، تبدأ من الإطاحة بالأنا المتشبث بثقافة الثأر والانتقام التي عفى عليها الزمن.

وإذا ما تم قهر هاجس «الأنا» بقوة فعل إرادي حازم، أمكن احتواء غريزة الاستعلاء، التي ما فتئت تقود خطانا إلى الاتجاه المعاكس للتاريخ.

إنها في نظرنا ساعة من ساعات الخير، لا يصح أبدا أن يتخلف عن ركبها الفضلاء الصالحون، الذين معهم من صفاء الذهن، وسلامة الطوية، ما يساعد على تحديد أبعاد الرحلة ومعالم الطريق، فالمؤمن الصادق ينظر بنور الله، ويكشف له من مستور غيبه، ومكنون علمه وآياته، ما هو مضنون به على غير أهله.

وفي هذه الحالة يتعين أن نخلص فكرنا من الممانعة والمدافعة، ونهيىء النفس للمصالحة والتعايش، مع فكر الأمة ووجدانها، رغبة في تحقيق طموحها ومشاريعها الحضارية والمستقبلية.

وإن فقه النصح بقدر ما يستمد مرجعيته من النص الخالص، بقدر ما يستجيب للمتغيرات والمستجدات الواقعية التي تضمن تنزيله في ظروف مريحة وهادئة، وعندما نعد النص، ونستحضر الواقع والتاريخ، فإننا نضع أيدينا على المنهج الصائب والدقيق المتضمن لكل عوامل الإجماع والتوافق والوحدة.

وقد أصغينا إلى كلامك بإمعان، ومن حقنا عليك أن تصغي إلى قولنا، الذي يدعوك إلى إعادة قراءة مذكرتك التي كتبتها تحت وطأة ضغوط نفسية حرمتك فرصة الالتحام مع التاريخ.

﴿**والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل**﴾.

عن جمعية العلماء خريجي
دار الحديث الحسنية
الدكتور محمد يسف

بيان
من رؤساء المجالس العلمية بالمملكة المغربية
حول مذكرة عبد السلام ياسين

■ لقد طلعت علينا منذ أيام مذكرة عبد السلام ياسين موجهة «إلى من يهمه الأمر» ونظرا لما ورد فيها من خروج عن الأصول الشرعية والآداب المرعية عند الحديث عن مؤسسة الأمانة العظمى وأولي الأمر خروجا عن قول الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

اجتمع رؤساء المجالس العلمية بالمملكة المغربية بالرباط واطلعوا على «المذكرة» الغريبة الصادرة عن عبد السلام ياسين. وأصدروا بشأنها هذا البيان.

عملا بما على العلماء من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتشبث بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفي نطاق التمسك بالبيعة يعلن رؤساء المجالس العلمية عن استنكارهم لما ورد في الرسالة التي كتبها عبد السلام ياسين الذي في نفسه مرض، وفي طبعه أطماع وغرض، ونزوع نحو الغلو والتطرف، وجنوح نحو تشويه التصوف، حيث أنتجت عزلته عن الخلق أحلاما سقيمة، وانفعالات فجة عقيمة، ظهر ذلك في رسالته التي حفلت بالبهتان وسقطت في فخ الخذلان، وأطاع بها الشيطان، وأحزنت أولياء الرحمان وأعلنت نقض البيعة والعصيان، وطعنت في وحدة الوطن، وأساءت إلى الحرمات والمقدسات، بغرض إشعال نار الفتن بغيا وعدوانا وحقدا على ما منح الله مولانا أمير المؤمنين من محبة شعبه، وتعلقه بأذيال عرشه، وحنقا على الذكر الحسن الذي أبقاه الله أثرا لوالده ووالد الأمة أمير المؤمنين المشمول برحمة رب العالمين الملك الحسن الثاني قدس الله روحه، محرر الصحراء، الذي دافع عن القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين أصدق دفاع، وبنى السدود، ونشر العلم، وشيد المساجد والمعاهد والجامعات.

وقد ظهر بذلك خروج محرر الرسالة على بيعة الأمة ومنازعة الأمر أهله خلاف قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾، وقوله : ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ وقوله تعالى : ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجرا عظيما﴾، وقوله ﷺ : «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية».

إن رؤساء المجالس العلمية بالمملكة المغربية إذ يستنكرون هذا الضلال المبين الوارد في الرسالة، والخيانة التي أفصحت عنها فصولها تصريحا وتلويحا، ليؤكدون أنهم جنود مجندون وراء أمير المؤمنين للدفاع عن المقدسات والذود عن الحرمات وصيانة الوحدة الترابية للمملكة قياما بالواجب ورعاية لعقد البيعة وبرورا بقسم المسيرة.

إن خدام جلالة الملك الأوفياء رؤساء المجالس العلمية للمملكة يلتمسون من جلالته الشريفة تطبيق ما تقضي به الشريعة والقانون في حقه.

حفظ الله مولانا أمير المؤمنين بما حفظ به الذكر الحكيم، وأبقاه ذخرا وملاذا لهذا البلد الأمين مدافعا عن قيمه ومثله العليا حتى يصل في عهده الزاهر إلى ما يصبو إليه من تقدم وكمال، وأقر عينه بشقيقه السعيد صاحب السمو الملكي الأمير الجليل المولى رشيد وسائر أسرته الشريفة إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.
وحرر بالرباط في : 3 ذو القعدة 1420
الموافق : 9 فبراير 2000

رؤساء المجالس العلمية	التوقيع
رئيس المجلس العلمي بالرباط	:
رئيس المجلس العلمي بفاس	:
رئيس المجلس العلمي بمكناس	:
رئيس المجلس العلمي بمراكش	:
رئيس المجلس العلمي بتطوان	:
رئيس المجلس العلمي بالدار البيضاء	:
رئيس المجلس العلمي بالناظور	:
رئيس المجلس العلمي بالجديدة	:
رئيس المجلس العلمي بالعيون	:
رئيس المجلس العلمي بالرشيدية	:
رئيس المجلس العلمي بتاروبانت	:
رئيس المجلس العلمي بوجدة	:
رئيس المجلس العلمي بطنجة	:
رئيس المجلس العلمي بتزنيت	:

من رسالة «الإسلام أو الطوفان» إلى مذكرة «إلى من يهمه الأمر»

نقاش هادئ في موضوع ساخن

مصطفى عنترة

لماذا اختار الشيخ عبد السلام ياسين توجيه مذكرة «إلى من يهمه الأمر» في هذا التوقيت بالذات؟ وهل كان يحسب التبعات السياسية لهذه الخطوة على مصالح جماعته؟ وهل تختلف هذه المذكرة عن رسالة «الإسلام أو الطوفان»؟ وما الذي تدعو إليه؟ وما هي الطروحات المؤسسة لها؟ وكيف ينظر إليها المتتبعون والمهتمون؟ ذلك ما تحاول هذه الورقة ملامسته من خلال نقاش هادئ.

■ نظمت جماعة العدل والإحسان في نهاية الأسبوع المنصرم ندوة صحفية بإحدى المنازل بمدينة سلا «مقر الجماعة» على بعد أمتار من إقامة الشيخ عبد السلام ياسين، وقد تمحورت حول الذكرى العاشرة لحصار زعيم الجماعة، وفي نهاية اللقاء وزعت على ممثلي وسائل الإعلام مذكرة موقعة من قبل عبد السلام ياسين / المفاجأة حسب تعبير أحد أعضائها في مجلس الإرشاد.

ملاحظات أولية

ومن خلال قراءة أولية لمضامين المذكرة يتضح أنها موجهة «إلى من يهمه الأمر» أي إلى السلطة الحاكمة والأحزاب السياسية... فعدم تحديد المرسل إليه كما يظهر من عنوان المذكرة يجعلها - حسب قول أحد الباحثين في مرتبة مقال صحفي أو دراسة علمية قدمت إلى رجال الصحافة والمهتمين والمراقبين للشأن السياسي ببلادنا. ويمكن القول إن عبد السلام ياسين ترفع عن الصحافة الوطنية والدولية لكونه لم ينشرها في أي منبر إعلامي محدد فهو بذلك فوق جميع الوسائط الإعلامية. كما أنها لا تختلف من حيث الشكل والمضمون عن المذكرات التي سبق أن رفعتها أحزاب الحركة الوطنية إلى الملك الراحل، ذلك أننا نجد فيها تشخيصا دقيقا للوضعية السياسية والاقتصادية للبلاد، لكن مذكرات فصائل الحركة الوطنية تقدم بطريقة رسمية قد تأخذ في بعض الأحيان طابع السرية كما حصل بالنسبة للمذكرة التي رفعتها أحزاب الكتلة الديمقراطية إلى الملك حول التعديلات الدستورية سنة 1996. وقد تكون جماعة العدل والإحسان قد اختارت هذه الطريقة لكونها تفتقد للشرعية القانونية باعتبارها تنتمي إلى الحقل السياسي غير الرسمي.

ملاحظة أخرى لا تقل أهمية وهي أن المذكرة عبارة عن دراسة موضوعية للوضع السياسي والاقتصادي، اعتمد فيها صاحبها على تحليل علمي، واستعمل مصطلحات متداولة في كتابات مجموعة من الباحثين الجامعيين كمصطلح «الصفقة»، كما أن جزءا هاما من مضامينها سبق أن تناوله بعض المهتمين في كتاباتهم وحواراتهم الصحفية... وهو بالتالي لا يخرج عن المتداول في العديد من البحوث الجامعية والعلمية. إلا أن الجديد الذي تحمله هذه المذكرة يكمن في توقيع صاحبها عبد السلام ياسين، أحد رموز الحركة الإسلامية وصاحب الرسالة الشهيرة «الإسلام أو الطوفان» التي بعث بها إلى الملك الراحل عام 1974، وعلى إثرها اعتقل وقضى سنوات في السجن وفرض عليه الحصار منذ 30 دجنبر 1989، وأصبح بالتالي اسمه يتصدر تقارير المنظمات الحقوقية الوطنية والدولية.

فاسم ياسين هو الذي منح لهذه المذكرة ثقلها السياسي وهالتها الإعلامية، ملاحظة أخرى كون المذكرة وهي أنها تتضمن عدة إيحاءات وإحالات وإشارات سياسية واضحة، تؤكد أن صاحبها استعمل في بعض الأحيان الخطاب المباشر وأحيانا أخرى اكتفى بالتلميح وإعطاء إشارات في قضايا كالمخدرات والتهريب دون ذكر أسماء المتورطين، علما أن الصحافة الأجنبية خصوصا الفرنسية منها سبق أن أصدرت لائحة شخصيات سياسية متورطة في قضايا التهريب... وما شابه ذلك، لكن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو : لماذا اختار زعيم تنظيم العدل والإحسان توجيه مذكرة من هذا الحجم في هذه الظرفية بالذات؟

بداية، يجب التمييز بين العالم والسياسي، فالعالم يلجأ إلى توجيه النصيحة إلى الحاكم في أي وقت يرى فيه أن هذا الأخير انحرف عن تعاليم الشريعة الإسلامية اعتبارا أن الدين نصيحة وهو تقليد معروف عند العلماء المسلمين دأبوا عليه عبر التاريخ الإسلامي، في حين نجد أن خطوات السياسي هي محسوبة، لكونه يعي أن السياسة هي قبل ذلك علم التكتيك والاستراتيجية وتختلف آليات اشتغالها من مرحلة إلى أخرى.

قراءات مختلفة

يمكن القول في هذا الصدد أن هناك عدة طروحات :

يرى أصحاب الطرح الأول أن المذكرة لم تمس مجال الشرعية الدينية للملك أمير المؤمنين بدليل أنها تخاطبه بحفدة النبي ﷺ عكس الرسالة الأولى «الإسلام أو الطوفان» التي حاولت أن تنافس الملك في انتمائه إلى السلالة النبوية الشريفة.

وهي بذلك تحمل نوايا إصلاحية سليمة، أراد من خلالها الأب الروحي لجماعة العدل والإحسان أن ينبه الملك الشاب إلى المسالك الوعرة التي يمكن أن يسقط فيها، خاصة بعدما اتضحت الإرادة الملكية القوية في الإصلاح والتغيير.

وخلافا للطرح السالف الذكر، يرى البعض الآخر أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد مزايدة سياسية اختارها زعيم العدل والإحسان في الذكرى العاشرة لحصاره من أجل إثارة الانتباه، خاصة وأن هذه المحطة تحظى باهتمام إعلامي قوي من قبل الخصم والحليف، إضافة إلى أنه أصبح محور حديث العديد من القنوات التلفزية والإذاعية واسمه مدرجا في التقارير الحقوقية الدولية...

- هناك رأي ثالث يرى أن المسألة سياسية بالدرجة الأولى، ويسعى من ورائها عبد السلام ياسين إلى تفجير تناقضات الحكومة الحالية وخلق أزمة سياسية خاصة وأن وزيرها الأول رجل حقوقي... عساها أن تنتقل إلى موقع المدافع عن قضيته علما أن مكوناتها سبق أن طالبت إبان المعارضة برفع الحصار لكنها اليوم توارت إلى الخلف... كذلك يمكن القول إن المذكرة تأتي في سياق المسيرة التضامنية مع الشعب الشيشاني بالعاصمة الإدارية والتي اعتزمت الجماعة تنظيمها مؤخرا إلا أنها رفضت من قبل السلطات العمومية، وأيضا العودة القوية إلى الساحة الجامعية واكتساح ممثليها انتخابات التعاضديات، وكذلك التصعيد الذي حمله خطاب عبد الواحد المتوكل عضو مجلس إرشاد الجماعة في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر العدالة والتنمية. وهي بذلك تسعى إلى إثبات الذات لأن منع المسيرة منح للمنظمة قوة، تخيف السلطة... كما أن الحضور المتقدم داخل الساحة الجامعية يحمل هو الآخر إشارة القوة لكون الجامعة شكلت دائما معقل الجماعة، وأيضا الطريقة التي ألقيت بها كلمة «العدل والإحسان» في مؤتمر حزب الخطيب هي الأخرى شدت انتباه الحاضرين... وجعلت الجميع يتبنى قضية ياسين. ومن هذا المنطلق يتضح أن المذكرة لا تختلف في دوافعها عن تنظيم المسيرة... وتهدف بالأساس إلى استعراض القوة وإثبات الذات، بمعنى أن الجماعة حاضرة بقوة ويجب على المشرفين على «المختبر السري» أن يراعوا حجمها ومكانتها داخل أي توافق سياسي مرتقب. فمعلوم أن الحقل السياسي مقبل على هيكلة جديدة، وعلى أساسها ينبثق التوافق السياسي المقبل.

بينما يرى البعض الآخر أن المذكرة محاولة لجس نبض العهد الجديد بقيادة الملك الشاب علما أن رد فعل الملك الراحل كان عنيفا بعد توجيه الشيخ عبد السلام ياسين رسالة «الإسلام أو الطوفان» حيث اعتقله وأودعه بمستشفى الأمراض العقلية وزج به في أحد المعتقلات لمدة ثلاث سنوات ونصف.

هناك رأي آخر يرى أن عبد السلام ياسين يهدف من وراء رسالته، هذه منازعة الملك الجديد في القاعدة الشبابية التي استقطبها وأصبحت الدعم والسند القويين لهذا الأخير وذلك حينما حاول التقليل من أهمية الإجراءات التي قام بها الملك الشاب، حيث أكد على محدودية خطواته التي تحجب المشاكل المستفحلة في الوقت الذي توجد فيه أمور أخرى ذات أهمية أكبر.

ويرى البعض أن الطرح الأقرب إلى الواقع هو أن جماعة العدل والإحسان أرادت من خلال المذكرة قطع الطريق أمام الحليف الطبيعي الذي أصبح يملأ الساحة السياسية بشكل متقدم من خلال مناهضته للخطة وتصديه لأنصارها...

الأكيد أن ما تضمنته مذكرة الشيخ عبد السلام ياسين سبق أن تناول جزء هام العديد من الفاعلين والباحثين كمحمد الساسي في الحوار الذي أجرته معه جريدة الاتحاد الاشتراكي في بداية شهر غشت الماضي، وأن أي متتبع لا يختلف معه فيما طرحه. إلا أن المرحلة الانتقالية التي تمر منها البلاد تستعدي تجنيد القوى الحية ودعمها لكل الخطوات التي قام بها الملك الشاب وهي - كما هو معلوم - ليست بالسهلة، فعزل إدريس البصري، وبلورة مفهوم جديد للسلطة... وغير ذلك من الإجراءات الجريئة تعني ي العمق بداية لنهاية نظام من الحكم عرفه المغرب منذ أزيد من ربع قرن.

وهي إجراءات نالت إعجاب معارضي وثوار الأمس كاليوسفي والأموي الذي اعتبر الملك الشاب هدية للمغرب من السماء، والبازغي، والفقيه البصري اللذان اعتبرا محمد السادس مكسبا للعهد الجديد، والسرفاتي الذي أكد أن الملك محمد السادس ليس هو المخزن، وابن عبد الكريم الخطابي الذي نوه بخطواته وهو يستعد لنقل رفاة والده إلى أرض الوطن...

لقد استطاع الملك الجديد في ظرف زمني قصير أن يستقطب اهتمام الجماهير المغربية بعد أن أسقط اهتمام الجماهير المغربية بعد أن أسقط مجموعة من الطغاة الذين اعتبروا أنفسهم خارج القانون، واعتبروا «المغرب لهم لا لغيرهم»، ليجعل المواطن أخيرا أمام مسؤولياته القانونية.

صحيح، إن الوضع الاجتماعي والاقتصادي لا يبعث على الارتياح، وهو ما يعترف به أيضا الشيخ عبد السلام ياسين في مذكرته، إلا أن هذه الإكراهات التي باتت تعرقل كل تقدم لا يمكن التغلب عليها بسهولة، ولهذا فإننا نخشى أن يكون قصد ياسين التشويش على المجهودات المبذولة والرامية للإصلاح، لأنه لا يعقل لمن يتحدث بلغة الأرقام ويعتمد في تحليله على المناهج العلمية... أن يغفل هذه الإكراهات ولا يقدر أهمية هذه الإجراءات.

كما أننا لا نعتقد أن من أجمعت عليه كل أصحاب السوابق الثورة المعارضة - حسب تعبير الزميل العلوي - وقالت بأنه سيحقق المعجزات في حاجة إلى مذكرة شبيهة بمذكرة عبد السلام ياسين.

على سبيل الخاتمة

مما لا شك فيه أن زعيم العدل والإحسان يعرف جيدا طبيعة المسلك الذي يجب أن يسلكه لرفع الحصار عنه، فابراهام السرفاتي استوعب أخيرا الإشارة التي تضمنها الحديث الصحفي لعبد الرحمان اليوسفي، وعاد إلى أرض الوطن مرفوع الرأس وبدون شروط، وحاول اليوسفي أيضا في نفس السياق القيام بمبادرة شبيهة مع ياسين حينما أرسل إليه مستشاره الثقافي عبد الصمد بلكبير...»

إلا أن طبيعة شخصية مرشد الجماعة هي التي كانت دائما تؤجل قضيته، وقد سبق للمرحوم محمد البشيري أن انتقدها في أكثر من مناسبة، الشيء الذي جعل البعض يذهب في طرحه إلى أن الحصار يخدم مصالحه السياسية لاعتبارات متعددة منها أن إبقاء الحصار يعني القوة ويفسر الخوف... كما أنه يحافظ على التوافق الحاصل مع بعض الأحزاب الديمقراطية حول قضيته، وأيضا يجعله في قاعة الانتظار استعدادا لطرح نفسه كبديل مجتمعي في حالة فشل أحزاب الحركة الوطنية في تجربة «التناوب التوافقي».

«جريدة المستقل»
9 فبراير 2000

■ إن الأمر بالصبر على جور الأئمة وظلمهم يجلب من المصالح ويدرأ من المفاسد ما يكون به صلاح العباد والبلاد.

قال تعالى : ﴿وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك﴾.

وقوله: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ الأحقاق 35 .

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتة جاهلية».

وفي رواية مسلم : « من كره من أميره شيئا فليصبر عليه فإن ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية».

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما أيضا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها» قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال : «تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم» قال النووي في شرح مسلم (12/ 332) على هذا الحديث :

«فيه الحث على السمع والطاعة وإن كان المتولي ظالما عسوفا فيعطى حقه من الطاعة ولا يخرج عليه ولا يخلع بل يتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه».

وقال ابن علان «دليل الفالحين» (1/ 197) «فيه الصبر على المقدور والرضى بالقضاء حلوه ومره والتسليم لمراد الرب العليم الحكيم».

وقد بوب النووي في شرح مسلم (12/ 235) :

«باب: الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم» وبوب ابن أبي عاصم في السنة (2/ 523) فقال :

«باب : ما أمر به النبي ﷺ الصبر عندما يرى من الأمور التي يفعلها الولاة»، وأخرج بن أبي شيبة في « المصنف» (12/ 544) والخلاف في السنة 2 - (ص 111) بإسناد جيد عن سويد بن غفلة قال : «قال لي عمر رضي الله عنه : يا أبا أمية إني لا أدري لعلي لا ألقاك بعد عامي هذا فإن أمر عليك عبد حبشي مجدع فاسمع له وأطع وإن ضربك فاصبر وإن حرمك فاصبر وإن أراد أمرا ينقص دينك فقل : سمعا وطاعة دمي دون ديني ولا تفارق الجماعة».

التشهير بولاة الأمر في الصحف والمجلات مخالفة صريحة لأصول الإسلام

وروى التبريزي في النصيحة للراعي والرعية «ص 65» عن كعب الأحبار أنه قال : «السلطان ظل الله في الأرض فإذا عمل بطاعة الله كان له الأجر وعليكم الشكر وإذا عمل بطاعة الله كان له الأجر وعليكم الشكر وإذا عمل بمعصية الله كان عليه الوزر وعليكم الصبر ولا يحملنك حبه على أن تدخل في معصية الله ولا بغضه على أن تخرج من طاعته».

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا لأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا والجزاء من جنس العمل فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل» شرح العقيدة الطحاوية ص. 368 .

وأما مناصحة الولاة والتشهير بهم في الصحف والمجلات فلم يعهده سلفنا الصالح المشهود لهم بالخيرية والفضل والعلم.

قال ابن الجوزي : الجائز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من السلاطين : التعريف والوعظ فأما تخشين القول نحو : يا ظالم، يا من لا يخاف الله، فإن كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها إلى الغير لم يجز، وإن لم يخف إلا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء «ذكره ابن مفلح في كتابه المستطاب» الآداب الشرعية (1/ 197 / 195).

قال ﷺ : «من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبد له علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه له».

قال الشيخ صالح بن عثيمين حفظه الله تعالى في كتابه «مقاصد الإسلام» ص 393 .... فإن مخالفة السلطان فيما ليس من ضروريات الدين علنا وإنكارا ذلك عليه في المحافل والمساجد والصحف ومواضع الوعظ وغير ذلك وإن كان عن حسن نية فإنه خلاف ما عليه السلف الصالح المقتدى بهم والله يتولى هداك».

وقال حفظه الله تعالى في رسالته النافعة «حقوق الراعي والرعية» فالله/ الله في فهم منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان وأن لا يتخذ من أخطاء السلطان سبيلا لإثارة الناس وإلى تنفير القلوب عن ولاة الأمور فهذا عين المفسدة وأحد الأسس التي تحصل لها الفتنة بين الناس كما أن ملء القلوب على العلماء يحدث التقليل من شأن العلماء وبالتالي التقليل من الشريعة التي يحملونها. فإذا حاول أحد أن يقلل من هيبة العلماء وهيبة ولاة الأمر ضاع الشرع والأمن لأن الناس إن تكلم العلماء لم يثقوا بكلامهم وإن تكلم الأمراء تمردوا علي كلامهم وحصل الشر والفساد.... .

أخي المسلم كن على الجادة ولا تكن حماسيا عاطفيا ولا انفعاليا ثوريا وتمسك بهدي نبيك وعض على كلام سلفك الصالح بالنواجد وإياك وأسلوب التهييج والإثارة وإن زخرف.

فالخير كل الخير في اتباع من سلف
والشر كل الشر في ابتداع من خلف

أ.ع الجديدة
(الأحداث المغربية)
6 مارس 2000

كلمات في السياسة

الشيخ عبد السلام ياسين.. هل يستحق الرد ؟

سعيد هبال

لا زالت مذكرة الشيخ عبد السلام يس تثير جدلا سياسيا واسعا بين عموم الشعب المغربي على مختلف مستوياته الاجتماعية، الثقافية والسياسية. والقاسم المشترك بين كل هؤلاء هو شبه الإجماع الحاصل على إدانة الرجل وتوجيه اللوم إليه على ما فعل، وما أصدر من أوصاف وأحكام واتهامات، وصلت حد القذف والتشكيك والتحامل والنكران. وأقول النكران لأن هذا هو بيت القصيد فالمرحلة التاريخية التي تحدث عنها الرجل أصبحت جزء من ماضي الشعب المغربي بسلبياتها وإيجابياتها والشعب المغربي وصل من النضج ما يجلعه يعرف هذه الأشياء ويميز بينها وإن ردود الفعل التي جاءت على إثر هذه المذكرة لم تخرج عن نشرها في بعض المنابر الإعلامية المكتوبة في الوقت الذي تجاهلتها التلفزة المغربية بقناتيها الأولى والثانية، وخصصت لها قناة الجزيرة حيزا زمنيا مهما وربما قد تعود إليها في حلقة خاصة عن المغرب لأن الدكتور فيصل وجه أرنبة بندقيته جهتنا منذ زلة منعه الأخيرة في استوديوهات دار البريهي. وكنت انتظر أن يأتي رد فعل من أحزابنا الوطنية أو جمعيات السهول والهضاب التي يزخر بها المجتمع المدني المغربي، ولكن لا أحد تحرك وحتى المؤسسة التي تأسست فور وفاة المغفور له الحسن الثاني وتكلفت بجمع تراثه وإسهاماته، وترأسها السيد الأشعري وزير الثقافة لم تتحرك، وكان حريا بهذه المؤسسة أن ترد على مذكرة الشيخ ما دامت قد أخذت على عاتقها إبراز إسهامات هذا الملك، ولعل الضوء الوحيد الذي حافظ على ماء وجه مجموعة من الزعماء هو ذلك المنبعث من المناضل المحجوبي أحرضان الذي تحمل مسؤوليته كزعيم سياسي مغربي هزته غيرته ومغربيته على الملك والملكية التي تعد جزء من كيان هذا الشعب ومن تراثه، فرد بما يستحق المقام والمقال.

إن مذكرة الشيخ يس لا ينبغي أن نقابلها بالعنف الممارس من جهته، سواء الفكري أو العضلي الاستعراضي، ولكن بالحوار والكتابة، خاصة بعدما خرج الناطق الرسمي له الأستاذ فتح الله أرسلان عن صمته في الصحيفة العدد : 72 ليوم الجمعة 19 فبراير والذي اعتبر بأن سياسة الملك الجديد محمد السادس قد فتحت شهيتهم وبأن الإشارات الملكية قد شجعتهم على طرح المذكرة !

نعم إن الإشارات التي صدرت عن هذا الملك المتواضع ينبغي أن تفهم في اتجاهها الصحيح لتكون لنا حافزا على المضي وراءه في البناء والتصحيح والتنظيف، ورفع رأس المغرب عاليا في المنتظم الدولي، وإعادة رسم صورة أخرى غير التي كان معروفا بها من ذي قبل.

إننا نقود اليوم معركة التغيير، والتغيير يبدأ من العقليات التي لا زالت تعيق التنمية والتقدم بهذا البلد ونحاول أن ترجع بنا إلى القرون الوسطى والعصر الحجري ! إن الإشارات التي صدرت من الملك الشاب ينبغي أن نستلهم منها تواضعه وبساطته وترشيده واعتداله.. وأخيرا ديموقراطيته واحترامه لكل أشكال التعبير بما فيها العبير الذي صدر في هذه المذكرة المشؤومة، وهذا مكسب مهم لنا جميعا لأنه يعيد الاعتبار إلى مصداقية ما يجري في المغرب من تغيرات سياسية مهمة انطلقت من الملك الشاب، وينبغي أن تصل إلى كل المسؤولين في مختلف المواقع والمسؤوليات.

الحياة العمالية
2 مارس 2000

الرد الأغر، والجواب الأظهر حول «مذكرة إلى من يهمه الأمر»

خالد الجامعي

«أقول لأتباع عبد السلام ياسين كفى من تقديس الرجل فهو بشر، ولا تحملوه ما لا طاقة له به»

■ بسم الله الرحمان الرحيم ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾.

يعلم موقع مذكرة إلى من يهمه الأمر أني كنت من المدافعين عليه، دافعت على حريته بكل أبعادها... حرية التعبير... حرية الحركة منطلقا من إيماني القوي بأنها وحريتي سواء. إذا انتهكت إحداهما، أو قيدت تضررت الأخرى لا محالة.

لقد كتبت مرارا عن وضعيتك وما تمثله من خرق لدولة الحق والقانون. وسأسير في هذا النهج حتى تكتسب حقوقك.

إن هناك ضوابط نحترمها جميعا في إسداء النصيحة والتعبير عن الرأي... تعاليم استقيناها من الشريعة السمحة، والسنة المطهرة، مبادىء أو قواعد أولية يتلقاها كل مسلم في بيئته أو مدرسته. لذلك فجهلها أو تجاهلها محظور لا يمكن تبريره.

ولقد كانت لتنشئتي الأولى، وتربيتي الإسلامية التي تلقيتها عن والدي أبي الشتاء الجامعي(1) الفضل في التزامي بالآداب، وتشبعي بالأخلاق الإسلامية.

وفي هذا البيت بالذات أتيح لي شرف الاستفادة والاحتكاك بعلماء كبار من عيار علال الفاسي والمختار السوسي وعبد العزيز بن إدريس والهاشمي الفيلالي وأضرابهم ممن لقنونا الأحكام الإسلامية الصحيحة، عبادة ومعاملة دينا ودنيا، عقيدة وسلوكا.

آمنا إذن بسماحة الإسلام، وكونه دين المسؤولية والتسامح... دين الأخلاق والفضائل... دين اليسر والرفق «... يسروا ولا تعسروا، بشروا ولا تنفروا...». «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا».

إن الأخلاق هي الدعامة الأولى في حفظ كيان الأمم، لذلك اتفقت كلمة الفلاسفة على ضرورتها وصلاحيتها للفرد والمجتمع على حدة. فالفرد يفسد عمله أن يكون مغرورا حاقدا مستكبرا محتقرا للغير سبابا ماكرا، كذلك المجتمع يفسد بفساد الفرد لشيوع مثل هذه الرذائل والصفات الممقوتة.

لهذا جاءت رسالة الأنبياء للحث على الأخلاق الفاضلة، وفي مقدمتهم سيدنا محمد+ الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق. وقالت عائشة «كان خلقه القرآن».

وآية واحدة من القرآن تكفينا لتكوين صورة عن رسول الفضائل وهي قوله تعالى: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾**.

وبالتالي تعطينا صورة واضحة عن ورثة النبي الذين هم العلماء من بعده شاءت حكمة السماء أن يتحلى سيدنا محمد باللين والرفق ويسر الكنف حتى يألف ويؤلف وحتى يسمع دعوته القريب والبعيد، العدو والصديق.

نتيجة لهذه الشمائل نجحت الدعوة الإسلامية لمراعاتها لجانب الموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» «إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم».

ولنتأمل في روعة الكلمة، واختيار الألفاظ المناسبة، والأسلوب الحكيم الذي جادل به نبي الله إبراهيم الخليل أباه وهو الذي يعبد من دون الله ما لا يسمع ولا يبصر. فيحس الابن النبي المسلم أباه الكافر من خلال السؤال الموحي الدال الحكيم «يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا؟» «هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون»؟.

باب ما جاء في الموعظة الحسنة

ما أحوج من ينصب نفسه للدعوة إلى الله أن يقتدى بالأسلوب الخليلي، وأن يجعل قوله تعالى: «أدع إلى سبيل ربك»، الآية السابقة الذكر نصب عينيه، حتى لا يضل أو يضل.

إن من يمتطي الشريعة الإسلامية كمرجع ومنطلق لهو أولى وأحرى بالتمثل والاقتداء، ولهو أول من يمتثل للقرآن ولمن نزل عليه القرآن.

يقول الخطابي شارح صحيح البخاري: «فإن مثل هذه المجادلة - أي مجا دلة إبراهيم لأبيه - تقيم الحجة، ولا تورث الوحشة».

الغريب في المذكرة أنها حبرت بألفاظ الوحشة، وعبارات جافة، وكلمات تخفي ما تخفي.

كان على صاحبها أن يعتدل في نصيحته، ويركب المشروع في مبدإ النصيحة. وهذا الإمام الألوسي في تفسيره المسمى بروح المعاني يقول: «قوله تعالى بالحكمة بالمقالة المحكمة وهي الحجة القطعية المزيحة للشبه (...) ثم يقول: «إنها الكلام الصواب الواقع من النفس أجمل موقع. فالموعظة الحسنة هي الخطابات المقنعة والعبر النافعة التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها بالتالي هي أحسن بالطريقة التي هي أحسن: طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر».(2)

بعد هذا أتساءل هل القسوة والعنف ضروريان؟

لقد حدت عن الجادة، ولم يحالفك الصواب في هذه المرة، مما يفرض نصحك وتذكيرك بايات قرآنية وأحاديث نبوية من باب قوله تعالى: **﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾**.

قد نلتمس لك العذر فنعذرك لما يصيب النفس عادة من الخبث والدناءة، وهذا من شأن البشرية والنفس الأمارة بالسوء. لكن كيف نعذر من يصفه أتباعه وشيعته بالشيخ المربي؟!

ما أكبر هذه الأوصاف في هذا الظرف! فالشيخ والمتصوف - كما تعلم - والغارق في بحر الأسرار، والمتحقق بالحقائق القدسية محال في حقه الاضطراب النفساني، فهو يعيش في طمأنينة ولذة روحية. وانسجام مع نفسه، بفضل اشتغاله بتلاوة القرآن، والذكر. «ألا بذكر الله تطمئن القلوب».

فأول المجاهدة عند أهل الحقيقة هي محاربة النفس الأمارة بالسوء، وتزكيتها وتطهيرها والسمو بها إلى معارج الكمال البشري. «قد أفلح من زكاها».

إن من أوجب الواجبات على شيخنا المربي الداعية أن يكون قدوة لأتباعه حتى لا يتيهوا في غياهب الظلمات، فالشيخ يربي قولا وحالا وسلوكا.

لقد ترفع المتصوفة عن رعونات النفس ومعايبها، فلا تصدر منهم الألفاظ الغليظة ولا الكلمات المنفرة، والتعابير المتعالية، فهم ينظرون إلى أنفسهم باستمرار وكيفما كان الحال بعين التواضع والمسكنة لا بعين الرضى عن النفس وتزكيتها. «فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى».

ختاما أقول : إن المتصوف الحقيقي لا ينفك يحارب أناه وحب نفسه للرياسة.

وهاك بعض ما قاله المفسرون عن هذه الآية:

قال الطبري في تفسيره جامع البيان: «فلا تزكوا أنفسكم... فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي (...) فلا تبرئوها... ربك يا محمد أعلم بمن خاف عقوبة الله فاجتنب معاصيه من عباده».

ألا يرى معي صاحب المذكرة المطولة أنه في هذه الحالة يحتاج إلى النصيحة؟ يحتاج على الأقل إلى إدراك واستحضار حقيقة أن البشر خطاء وخير الخطائين التوابون كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام،(3) وقال الشاعر:

من ذا الذي ترضى سجاياه كلها؟
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

كل ابن آدم خطاء، إلا المعصوم، وماعداه آثم مذنب يصيب ويخطىء، يحسن ويسيء. هذه تذكرة ونصح أسديه لتلامذة وأتباع السيد عبد السلام ياسين. أقول لهؤلاء كفى من التقديس والإجلال، فالرجل بشر لا تحملوه ما لا طاقة له به فكلامه ليس قرآنا أو سنة بل هو من نسج بشر.

وأذكر هؤلاء التلامذة كذلك بما سبق أن كتبه شيخنا علال الفاسي في «النقد الذاتي»(4): «إن الفكر الديني في الإسلام معناه الحرية الكاملة، والتفكير المطلق في اعتداد بالمثال الأعلى ومراقبته في كل الشؤون، وعدم الخضوع لأحد أو لجماعة تريد أن تعطي لنفسها مكان التمثيل الإلهي في الأرض، وتعبيد الخلق باسم الدين لأهوائها».

كان الإمام مالك يقول ويردد دائما مقالته المشهورة لا أدري ويختم في كل أجوبته الذي علمته يعني الأوزاعي وأما أهل العراق فهم أهل العراق.(5)

إن أهم درس يمكن استفادته من مثل هذه المواقف تواضع العلماء وعدم الدعوى والغرور «واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين» ياأيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين».

إن مثل هذه النصوص - وغيرها كثير - ينبغي تمثلها كل

«إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين».

من مواقف هذا الرجل... - أعني مالكا - التاريخية الجليلة امتناعه من تعليق كتابه «الموطأ» على الكعبة حين طلب منه المهدي الخليفة العباسي ذلك. الموطأ وما أدراك ما الموطأ... أصح كتاب بعد كتاب الله.

طلب منه المهدي كما قلت أن يضع كتابا يحمل الأمة عليه فقال له يا أمير المؤمنين أما هذا الصقع وأشار إلى المغرب فقد كفيتكه، وأما الشام ففيه الرجل وقت وحين حتى لا ندعي ونغتر بأفكارنا ونثق في أنفسنا ثقة عمياء.

إننا كمسلمين ندلي بأفكارنا وآرائنا بتواضع وعدم اعتزاز وتعصب، لأننا أمة الحوار الهادىء، والحجة العقلية الشرعية، نقنع ونقتنع، نقبل ونرفض في رفق ولين «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» متفق عليه. وفي رواية «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شأنه» رواه مسلم.

باب ما جاء في سب الموتى

ينبغي أن يفهم مدبج الرسالة أن الحسن بن محمد توفاه الله، ووضع في لحده، وأفضى إلى ما قدم من عمل وأسلم الروح إلى بارئها وصليت عليه صلاة الجنازة وقيل جنازة رجل. فهو الآن رجل كسائر الرجال، ومیت كبقية الموتى، فهل يسمح بذكر مساوئه وشتمه أو التنقيص من شخصه وتحقيره؟

إذا رجعنا إلى موقف الإسلام من هذه النازلة نجده وبنص صريح ينهى عن سب الموتى والتعرض إليهم بما يقدح فيهم، ويسيء إلى شخصهم. وحمل أهل الشرع ذكرهم بسوء غيبة وأمرا ممنوعا.

ففي صحيح البخاري باب ما ينهى عن سب الأموات عن عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي(ص) «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا».

وفي سنن النسائي عن عائشة أيضا قالت ذكر عند النبي(ص) هالك بسوء فقال لا تذكروا هلكاكم «أي موتاكم» إلا بخير رواه أبو داود.

لقد علمنا الإسلام كيف نتعامل مع الميت، فنجتنب ما يسيء إلى شخصه، ويحث على ذكره بالخير، وهذا لا يتنافى مع التقويم أو النقد... تقييم ونقد عمل الميت، وخاصة في حال تحمله المسؤولية. على ألا يخرج هذا الحكم أو هذا التقويم عن دائرة اللباقة واللياقة، وأن يكون سالما من التجريح والقدح.

باب ما جاء في استرداد الثروة :

لقد استأثرت ثروة الحسن بن محمد بما لا يقل عن ثلث المذكرة مما يستدعي معك نقاشا آخر، فأقول: لقد ورد في كلامك ما يلي: الحسابات الملكية في الأبناك الأجنبية مفتوحة بأرقام سرية وأسماء مستعارة والاستثمارات الأجنبية بالخارج لا حصر لها بحيث لا يقدر صاحبها على التحكم فيها بل إنه لا يدري كم عدد المقاولات والقصور والأسهم - سواء كانت في الزراعة أو البورصة - أو العقار التي يملكها... اتهامات افترائية مغرضة من صحافة أجنبية أو أنه عين الحقيقة التي يجب التحكم فيها... كيف نعلم؟ كيف نتحقق ونقول كذلك ألسنا نغتاب رجلا رحل فانطلقت ألسنة السوء تنسب إليه ثروات وهمية أم هو لغط إعلامي يلهث خلف الإشاعات وأحيانا نحو الإثارة.

من هذا التساؤل الذي تطرحه، وانطلاقا من مصدر الخبر «ألسنة السوء - لغط إعلامي» يتبين أنه ليس لك من اليقين ما يجعلك تجزم بحقيقة الأمر، فالأمر عندك مستند على مستندات غير قطعية، وحجج واهية مما سميته افتراء ولغطا إعلاميا.

وبما أن الأمر فيه من الشك وعدم اليقين مما صرحت به فلا يمكننا الاستناد على أسس واهية. إن الواجب في مثل هذه الدعاوي الإتيان بالحجج القطعية واليقينية لأن «البينة على المدعي» وإلا فتحري اليقين والصدق والحقيقة هو الأنجى في هذا الباب.

والدعاوي ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

«إن بعض الظن إثم» يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» «ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا».

لذلك فالمطالبة بهذه الثروة الوهمية ليست معقولة. هذا بالإضافة إلى أن الملك الراحل - على حد تعبيرك - واضع الثروة لم يتحكم في ضبط ثروته ولم يستطع تقدير تركته فهل يستطيع محمد بن الحسن أن يتحكم في ضبط ثروة لم يضبطها مؤسسها؟ وكيف يتوصل إلى معرفتها وهي مجهولة لدى واضعها.

بناء على ما سبق يتضح لنا أننا أمام شرط تعجيزي ناهيك عن رقمها الخيالي. ومن ثم لا يمكن لنا أن نستند على شيء وهمي مبهم تتضارب فيه الأقوال لحل لمشاكل المغرب «40 ألف مليار سنتيم».

باب ما جاء في تنحية البصري

جاء في كلامك فيما يتعلق بهذه القضية إنها لعمري ضربة هدت البناء المخزني الهاري ضربة تبعث على التفاؤل والملك مدعو ليكمل عملية التطهير ويكنس الساحة... يتحدث الملك الشاب في خطاباته عن مفهوم جديد للسلطة... لاجتياز اختيار الصدقية بنجاح فهل ينوي حقا القطيعة مع الماضي؟ وهل يستطيع؟ إنها من دون شك ثورة صغرى فمتى موعد الكبرى؟

بطرحك لمثل هذه التساؤلات تفتح بابا للشك، في مقدرة محمد بن الحسن من تغيير الأوضاع، والسير على النهج الذي اختاره فيما يبدو.

لقد قام الملك الشاب بهذه الأعمال «تنحية البصري، إعطاء مفهوم جديد للسلطة، تسمية عمال جدد، وتغييرات في مسؤولي الإدارة المركزية لوزارة الداخلية» قرارات ما كان أحد ينتظرها بالسرعة التي تمت فيها، قرارات جريئة تمت في أقل من ثلاثة أشهر تستحق التشجيع بدل التشكيك كان الأجدر مقابلة هذه الخطوات بالتأييد والتشجيع. فهذه عين النصيحة. قام محمد بن الحسن بثورة ويمكنه أن يرتكب أخطاء البداية والبشرية، و«لكل داخل دهشة». يجب ألا يغيب عن أذهاننا أنه في بداية الطريق، وليست له حنكة وتجربة وكما يقول الفقهاء «الأمور بخواتمها»، لذلك لا يمكن الحكم عليه من الآن.

باب ما جاء في الديمقراطية

إنك تقبل الديمقراطية - ولأول مرة - كمبدأ وقلت: والولوج إلى عهد جديد، عهد الشفافية والديمقراطية... نطقت بالكلمة السحرية ونطقت... ولا مجال هنا لمناقشة مبادئ الديمقراطية الحق والتقدم الذي يمكن أن ينتج عن حلولها ببلادنا فالقاعدة الديمقراطية المتمثلة باختصار في حق الشعب في اختيار حاكمه بكل حرية يعد المخرج الوحيد لنا من ظلمة الحكم المطلق.

إن الإيمان بالديمقراطية يفرض الإيمان بآلياتها ومؤسساتها، يتحمل من خلالها الشعب مسؤوليته، ويشارك في الحكم.

إن الإيمان بالديمقراطية يفرض الإيمان بآلياتها ومؤسساتها، يتحمل من خلالها الشعب مسؤوليته، ويشارك في الحكم.

وما يدعو إلى الاستغراب في خطابك أنك تارة تتكلم عن الديمقراطية، وتارة تتكلم عن العلاقة بين «الراعي والرعية»، وتجعل من الراعي المسؤول الوحيد والأول على الرعية وبذلك تقصي الديمقراطية وميكانيزماتها.

إننا إذا ما حملنا الملك جميع المسؤوليات وحاسبناه على كل شيء، فإننا نجعل منه ملكا ينفرد بالحكم، ونتخلى عن مسؤوليتنا فكأننا نقول له: «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون»، أو بتعبير آخر إن هاهنا ناقمون وناقدون.

فمفهوم الديمقراطية الحق يجعل من كل مواطن ومواطنة معنيا ومسؤولا، كل من موقعه، وكل حسب قدرته ووسائله. فالكل إذن مسؤول، هذا ما تعنيه مفاهيم الديمقراطية.

إن صيرورة الملك ستكون رهينة بفعلنا ونضالنا وبقدرتنا على تحمل دورنا في تشييد هذه الديمقراطية. فالمعركة التي تنتظرنا والتي بدأت فعلا ليست معركة محمد بن الحسن وحده، بل هي معركة شعب بكامله. يجب أن تخاض في شراكة مع الملك وتعاقد معه من خلال العمل السياسي والتنظيمي والفكري.

لقد أقر محمد بن الحسن أن الديمقراطية خيار لا رجعة فيه، وإرساء دولة الحق والقانون قرار لا رجعة فيه كذلك. ونحن نقر بذلك كذلك، فالهدف إذن واحد، ما علينا إلا أن نتحمل مسؤولياتنا. وفي حالة تخلينا عن القيام بواجبنا سيكون إذاك مضطرا لأخذ زمام الأمور لوحده.

ولنأخذ مثلا محاربة الرشوة التي أوليتها أهمية في رسالتك. فالقضاء على دائها لا يمكن أن تبادر به المؤسسة الملكية وحدها. فالحكومة - وهذا داخل في اختصاصاتها - معنية بهذا ويجب أن تقوم بدورها في استئصالها والقضاء عليها.

وعلى المواطن كذلك أن يقضي عليها. إلا أنه تجب الإشارة هنا إلى عنصر هام في هذه المسألة، وهي تغيير العقلية المغربية، عقلية الراشي والمرتشي.

يجب إذن تظافر الجهود، جهود جميع الأطراف من أجل القضاء حقيقة على ما يسمى بالرشوة.

لقد تكلمت عن الديمقراطية، وأنا أسائلك وفي ذاكرتي كتاباتك حول الشورى وأهل الحل والعقد وإمارة المؤمنين. هل كلامك على الديمقراطية يعني اختيارا استراتيجيا أو تاكتيكيا؟

فإذا كان اختيارا استراتيجيا فعليك وعلى جماعتك، العدل والإحسان، الدخول كتنظيم سياسي في حلبة الديمقراطية، وأن تخوض المعركة الانتخابية، وأن تحترم قواعد الديمقراطية في قبول رأي الآخر، وأن تقبل حكم صناديق الاقتراع وأن تنبذ العنف والإكراه.

وفي هذا السياق وجب التذكير بقولك وأنت تتكلم عن جماعتك، لقد طال تهميشنا في الساحة السياسية، فحتى لا أكون سيء الظن أرى في كلامك على الديمقراطية وعلى دور جماعتكم في الحقل السياسي، عزمكم على أن تصبح مجموعة العدل والإحسان حزبا سياسيا كسائر الأحزاب الموجودة الآن في الساحة السياسية. وإذا كان هذا هو هدفكم، فإنكم ستجدونني مدافعا عن حقكم في تأسيس هيئة سياسية على شرط ألا تكون هذه الهيئة هي الناطق الوحيد باسم الإسلام.

إننا شعب مسلم، وإن من خصائص الإسلام مفهوم الاجتهاد، وفيه ومن خلاله تتعارض الآراء. فالاجتهاد كمفهوم هو أقرب إلى الديمقراطية من مبدإ الشورى، لأنه يقر بالاختلاف.

باب ما جاء في قضية فلسطين

تكلمت عن العلاقة بين الحسن بن محمد وإسرائيل. أولا يجب ألا ننسى أنه - أي الحسن بن محمد - كان سباقا في حرب أكتوبر بإرسال الجيش لمحاربة إسرائيل في كل من سيناء والجولان، ويجب أن لا ننسى أنه قام بدور مهم فيما يسمى بقضية الشرق الأوسط، باعتراف العالم والفلسطينيين، وعلى رأسهم أبو عمار ياسر عرفات، لقد اعترفوا بما قام به من أدوار، لإقرار سلام عادل في منطقة الشرق الأوسط، وكانت له الشجاعة الفكرية والسياسية لأخذ مبادرات قل نظيرها. قد تلومه على اتصلاته مع إسرائيل، ومفاوضاته للإسرائيليين، وأذكرك هنا بأن النبي(ص) عقد صلح الحديبية، وكان ذلك مع الكفار كمرحلة وكسياسة من أجل ترسيخ الدعوة الإسلامية، وكان عقد الحديبية قاسيا على المسلمين، باستثناء أبي بكر من الصحابة الذي وافق النبي(ص). حتى عمر كان له موقف معارض. وقد تبين للمخالفين فيما بعد أن الحق كان مع النبي وأبي بكر. لقد تعامل الحسن بن محمد مع ميزان قوة وأراد أن يستعمل هذا الميزان الذي لم يكن لصالح العرب. أذكر هذا لا لأبرئ الرجل ولكن حتى لا تغفل مزاياه وحسناته. يجب استحضار السيئات والحسنات.

لقد استعمل نفوذه المعنوي على اليهود المغاربة الذين يعيشون في إسرائيل وعددهم 500.000 إن الحسن بن محمد هو الذي فرض على العالم وعلى القادة العرب الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد وشرعي للشعب الفلسطيني.

أقول : إن المعركة مع إسرائيل لم تتوقف بعد، وهي تتطلب حنكة سياسية وتقييما صحيحا لميزان القوة. وإن إسرائيل التي كانت في منطق التوسع الدائم أخذت تنكمش، فردت سيناء إلى أصحابها، وانسحبت من جزء كبير من لبنان، وانسحبت من الأراضي المحتلة، الأرض التي تقام عليها الآن السلطة السياسية والتي هي نواة الدولة الفلسطينية. كما أنها الآن في تفاوض مع سوريا من أجل الانسحاب من الجولان. وأود هنا أن أذكرك لأن الذكرى تنفع المؤمنين.

أما فيما يتعلق بالعلاقات السرية بين المخابرات المغربية والإسرائيلية فقد تضاربت بشأنها الأقوال مما لا يؤكد شيئا، إلا أن المؤكد هو أن الجنيرال أوفقير كانت له علاقات وطيدة مع الموساد و«لاسافاك».

باب ما جاء في المخزن

أتفق معك كل الاتفاق فيما يخص نقدك وتحليلك للمؤسسة المخزنية، وأنه لكي تتطور الملكية في هذا البلد،

وأن تصبح ملكية دستورية ديمقراطية اجتماعية، وأن تصبح الدولة دولة الحق والقانون؛ وجب فك الارتباط فكا نهائيا بين المؤسسة المخزنية والمؤسسة الملكية. وأعتقد جازما أن الخطوات التي خطاها محمد بن الحسن فيما يخص الوزير السابق للداخلية وفيما يخص المفهوم الجديد للسلطة وتسمية عمال جدد ومسؤولين جدد تندرج في اتجاه فك الارتباط.

وأعتقد كقوى سياسية أن لنا دورا حاسما في هذا المجال، أي يجب علينا أن نقوم بكل ما من شأنه أن يكرس فك هذا الارتباط. وهذا عمل يجب أن نقوم به هو الآخر فيما أسميناه بالتعاقد والشراكة مع الملك كمواطنين، كمجتمع مدني وكهيئات سياسية.

إن بناء المستقبل اقتصاديا يحتم علينا ثورة فكرية وانفتاحا على ما يجري في العالم، وأن نجعل من اختراعات القرن الواحد والعشرين وما أتى به وسيأتي به من ثورات في التكنولوجيا والإعلاميات والبحث العلمي ركيزة لسياستنا وتفكيرنا المستقبلي. يجب علينا أن نكون مبدعين لنجد حلولا جديدة للمشاكل التي نواجهها حلولا عملية وممكنة من أجل تخطي هذه المشاكل، ومن ثم لا غنى لنا كمجتمع يرزأ تحت ضغط البطالة والفقر والجهل والأمية من القيام بثورة فكرية واقتصادية واجتماعية وسياسية تشمل جميع المستويات وبمشروع مجتمعي متكامل يحفظ هويتنا ويؤهل المغرب للاندماج في العولمة.

ولا يمكن إقرار هذا المشروع في ظل تهميش نصف المجتمع الذي هو المرأة حيث يجب استحضارها في التنمية المنشودة. وحتى يمكنها القيام بدورها في العملية التنموية لابد من تحريرها مما تعانيه من حيف وظلم وقهر وإجحاف بحقوقها، وإنصافها على الأقل داخل الإطار العائلي وذلك بإعادة صياغة مجموعة من نصوص مدونة الأحوال الشخصية التي في غالبيتها نصوص فقهية أي من إنتاج العملية الاجتماعية قابلة للاجتهاد وإعادة النظر في ظل المستجدات وأما وصفكم لحالة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب فهذا وضع معروف، والأرقام والمعطيات التي أتيتم بها ليست بشيء جديد. لقد نشرت على جميع أعمدة الصحف الوطنية والأجنبية. كان بودي أن تطلعوا علينا بحلول عملية تحل معضلات هذا البلد، أو بمشروع مجتمعي متكامل، منسجم مع الألفية الثالثة.

باب القمع والمشهد السياسي

أنا متفق معك فيما عرفه المغرب سالفا من قمع وكبت للحريات. لقد كنت من ضحايا هذه السياسة. لقد خطفت وسجنت وعذبت. والأمر كان أشد وأهول بدار المقري ودرب مولاي الشريف وقلعة مكونة وأكدز وتازمامارت. حيث مورس التعذيب بأسوإ صوره، وشتى ألوانه. هذا تاريخ يجب استحضاره، وهذه صفحة لابد من تأملها. لكن ليس من الإنصاف أن نحمل الحسن بن محمد وحده المسؤولية في كل ما جرى من قمع واضطهاد. فالمسؤولية - كما أشرت إلى ذلك - مسؤوليتنا جميعا لذا فتحميله لكل المسؤولية ليس من الإنصاف في شيء.

المسؤولية تتفاوت هذا شيء يمكن أن نتفق معك فيه.

وفي كتابك آخذت على الأحزاب سياستهم ومواقفهم، ونعتتها بنعوت وكونها موالية للحكم. للحقيقة أقول إن الأحزاب تعاملت فقط مع واقع، ونهجت سياسة اعتقدت صوابها وسدادها لقد ارتكبت بعض الأخطاء في ممارستها وفي تحاليلها وفي نهجها لتلك السياسة، نحن لا نبرئها من هذا ومع ذلك يجب الاعتراف بالتضحيات. ألم يقم اليسار بتضحيات؟ ألم ترهق دماء شهداء؟ ألم يعذب مناضلوه؟

ما جاء في باب الشباب

لقد أوليتم للشباب حيزا كبيرا في كتابكم، لقد تكلمتم على تطلعاته وعن مشاكله وكذلك عن الأمل الذي يعقده على الملك محمد بن الحسن.

ولكن في نفس الوقت لم تتوان في إبداء الشك في قدرة الملك الجديد على حل مشاكل الشباب وبالأخص المثقفين وحاملي الشهادات منهم. إنكم تعلمون أننا أمام إرث ثقيل في هذا الميدان وتعلمون أن حل هذه الإشكالية ليس موكولا إلى الملك وحده وأننا كشعب وأحزاب مسؤولون كذلك. كنت أنتظر منك أن تجتهد وتقترح حلولا عملية وناجعة لهذه المعضلة، فأنت تعلم أن الدولة وحدها لا يمكنها توظيف كل هذه الطاقات، وبالتالي كان عليك أن تخاطب الشباب بلغة الصراحة، لا بلغة المزايدة.

إنني أعتقد أن على شبابنا أن يؤمن اليوم بأن عهد الزعامة والراعي والرعية قد ولى. وعليه أن يأخذ بيده زمام أمره وأن لا يوكلها إلى غيره، كما يجب عليه أن يبدع ولا يقلد.

ووجب علينا نحن أن نعمق عنده مبادرة الاجتهاد والابتكار، وأن نحثه على القراءة النقدية في جميع الميادين. حتى يعطي للعقل الأولوية.

وجب علينا أن نصارحه ونوعيه بالمشاكل التي سيواجهها وأن العالم الذي يعيش فيه الآن يتطور بسرعة فائقة، عالم تغيرت فيه مفاهيم الزمان والمكان، عالم تسوده العولمة، عالم تغير فيه مفهوم الاقتصاد، أصبح مبنيا على الإعلاميات، وأضحت المعرفة هي النواة الاستراتيجية الأولى. هذه الحضارة الجديدة وهذه التحولات تفرض عقلية جديدة ونمطا فكريا جديدا.

إن أصدق نصيحة يمكننا أن نعطيها لشبابنا هي أن يكون منفتحا على تطور العالم، قادرا على التأقلم معه.

إننا قد عشنا في زمان آخر وخضنا معارك وليدة زمننا بمعطياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية. فالتاريخ لا يعيد نفسه ورحم الله من عرف قدره.

وفي هذا الباب أذكركم بما كتبه العلامة علال الفاسي في كتابه «النقد الذاتي»: «إن الأمة الإسلامية تخضع للتطور كغيرها من الأمم الأخرى، وتنذر بأنه لا تمر مائة عام إلا وتكون في حاجة لبعث جديد ويقظة ثانية، وأن ما قرره عصر سابق من أساليب لا يمكن أن يتحكم فيما يريده العصر الموالي، لأن التجديد لا يعني دائما الترميم، بل يعني حتى الاستبدال وإن كان لا يقصد أبدا عدم المتابعة للأساس. والامتلاك بهذه الروح هو الذي جعل عليا يقول: «علموا أولادكم فقد خلقوا لجيل غير جيلكم» أي أن التغيير يقع بين جيل الأب وجيل الابن، ولذلك فينبغي أن تكون تربية الأبناء وتعليمهم على حسب ما يتطلبه الجيل الذي يستعدون للحياة فيه، لا على حساب أجيال آبائهم التي تستعد للدخول في التاريخ، أي في تجارب الإنسانية التي يمكن الاتعاض بها والاستفادة منها واعتبارها مادة من مواد إلهاماتنا، لا أن نكون نسخة كاملة منها.

لنترك للتاريخ الكلمة الفصل والحكم السوي.

لقد خاطبتك وصارحتك وناقشتك من منطلق نتقاسمه، ومن مرجعية نتقاسمها ألا وهي الإسلام، محاولا - حسب المستطاع - أن أجادلك بالتي هي أحسن، وأن أحترم رأيك ورؤيتك.

إنني واثق أن هذا الجدل والذي يفرض السماحة والنقد البناء، لكفيل بأن يغني تفكيرك وتفكيري. وموقن بأنني لا أملك الحقيقة ولكني اجتهدت فإن أصبت، وهذا ما أصبوا إليه، فلي أجران، وإن أخطأت فلي أجر الاجتهاد. ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾. صدق الله العظيم.

***

ملاحظة 1 : قررت مخاطبتك بالعربية مع أنني معروف بكتاباتي الفرنسية، وقد يعدني البعض من الفرنكفونيين. أعتقد أنه عندما ينشأ المرء تنشئة دينية صحيحة، يتعذر عليه الانسلاخ من هويته وإن كتب بلغة غير لغته. وللإشارة فقط، أذكر أن الإسلام أصبح حضارة عندما انفتح على العالم، عندما أقام المامون دار الحكمة، وترجم بمساعدة مثقفين غير مسلمين، ما وصلت إليه المعرفة آنذاك أخذا بقوله تعالى: ﴿**إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾.

فالمعرفة كلمة شاملة تتضمن الثقافة والعلوم واللغة.

ملاحظة 2 : وأنا أكتب هذا الرد، علمت أنه تم منع زوجتك وابنك وأحد أصهارك من السفر للديار المقدسية وأنا متضامن معك ومعهم وأعتبر هذا خرقا لحقوق الإنسان، وخرقا للحق الديني كذلك، وأنا لا أعتقد أن أمير المؤمنين يرضى على خرق مثل هذا الحق الديني. ■

أخوكم خالد الجامعي.

وحرر بالرباط يوم الثلاثاء 14 ذي القعدة 1420 الموافق لـ 22 فبراير 2000.

***

الهوامش :

1) انظر ترجمته في إسعاف الإخوان الراغبين... لابن الحاج السلمي.

2) الألوسي، روح المعاني 14/ 232.

3) عن هذا الحديث انظر موسوعة أطراف الحديث لأبي هاجر محمد السعيد زغلول 9/ 419.

4) «النقد الذاتي» علال الفاسي ص : 119 ط : 1999.

5) عمر الجيدي. محاضرات في تاريخ المذهب المالكي 16.

الصحيفة، عدد 73
26 فبراير 3 مارس 2000

***

رسالة إلى عبد السلام ياسين من شخص يهمه الأمر

■ إلى الشيخ الذي اتخذ الإسلام مطية، ونصب نفسه داعية ومصلحا يسدي النصح لأولياء الأمور، إلى الشيخ الذي أحس أن الطوفان وشيك فأمر المومنين به بركوب سفينة الإسلام للنجاة من الغرق المحتوم، إلى عبد السلام ياسين الذي كسب تعاطفنا معه في ذلك التاريخ، حين رماه أتباعه بالحمق والخبل، فمهدوا الطريق لإيداعه مستشفى المجانين ردحا من الزمن، إليك سيدي المبتلى بهاجس النصح إلى أولي الأمر في كل ظرف عجيب؟

أبث هذه الرسالة التي أريدها أن تكون نظير رسائل السوقة إلى الملوك - حسب قولك - بل أريدها رسالة من عامة الناس إلى خاصتهم، من النكرة إلى المعرفة، من مجرد فرد من أفراد الشعب إلى العالم الذي لا تأخذه في الله لومة لائم. لن أقتحم عليك خلوتك، ولن أقطع عنك حبل المناجاة، بل **أريد فقط أن أهذي في الكلام، وأرجو أن تحتمل هذياني، كما صبرنا على هذيانك المتكرر والذي لم يفتر طيلة هذه المدة رغم تقلب الظروف وتبدل الأحوال.**

كنت مدرسا بمدرسة الإمام الجزولي بالحي الصناعي بمراكش، وكان مديرها(*) آنذاك هو ساعدك الأيمن، والذي يصوغ بياناتكم اليوم بلغة موليير حسب تعبيركم، وكان هذا المدير قد لبس رداء الإيمان، بعد أن خلع عنه لباس الحلف والتيه، وبدا صادقا بما يؤمن به، فالتف حوله المدرسون لا عن اقتناع بل إرضاء له لأن صيته كان يربك العاملين بنيابة التعليم، وكنت وسط جماعته أبادلهم الود ولا أشارك في طقوسهم. وذات يوم طلع علينا السيد المدير بنسخ من رسالتك «الإسلام أو الطوفان» فانفض من حوله الكل خوفا، وتطوعت بتوزيع عدد من النسخ على مجموعة من المصالح الإدارية المقترحة، واحتفظت بنسخة لا زلت أملكها إلى الآن، ومن ذلك الحين وأنا أعمل على إشاعتها بين معارفي ومن أثق بهم، لقد كنت مزهوا باقتناء تلك النسخة، لأنها صادفت هوى في نفسي، وكادت أن تصيب هدفها في مقتل لولا دهاء السياسة. فعلا كانت رسالة صادقة، ففي صفحتها الأولى تقول مخاطبا المرسل إليه «...وتسمع به الكلمة الطيبة، التي جاءك بها بشير هذا الصفحات، التي ما خططت فيها حرفا إلا ابتغاء رضى الله ربي، لا عدوانا ولا كيدا والله حسبي منك ومن المؤمنين».

لقد صحبت رسالة «الإسلام أو الطوفان» طيلة هذه المدة ككنز ثمين أناولها الناس من وراء حجب، واستردها بكتمان بالغ وحذر شديد، كان هذا حالي مع الرسالة، إلى أن رشقتنا سيادتك بمذكرة «إلى من يهمه الأمر». أتدري ماذا حدث سيدي العالم النحرير!؟ لقد اجتهد مريدوك في إيصال المذكرة إلى أكبر عدد ممكن من الناس. فبيعت بعشرة دراهم، ثم وزعت بالمجان، فتناثرت نسخها على الأرصفة، فاقتناها المتعلمون، وحتى أولئك الذين يحاولون فك رموز الخط بصعوبة. فإذا كانت ردود الفعل عن المذكرة قد وردت على لسان شخصيات وازنة في الميدانين السياسي والاجتماعي، فهذا رد عليها من قلب الشعب من الرعاع كما تسمونهم في جماعتكم. لقد استقبل المذكرة الفضيحة كل من قابلتهم بامتعاظ وسخط على كل الجبهات، فإذا كانت رسالة «الإسلام أو الطوفان» قد حوربت بمصادرتها ومنعها عن الناس، فإن مذكرة «إلى من يهمه الأمر» قد حوربت بذيوعها وانتشارها بينهم.

فالشعب منتش بعهده الجديد عاقد العزم على التشبث برمزه الذي يرى في شخصه آمالا عريضة، خصوصا وأن هذا الرمز قد جمع من الخصال ما جعل منه ملاذا للبسطاء من الناس: الرغبة في الإصلاح والتغيير، العطف على الفقير والعاجز، حسن الطوية، التواضع، العمل المتواصل دون استرجاعها آلاف الجنود؟ فهل فكرت قبل أن تكتب؟ أجزم أنك تعمدت ذلك مع سبق الأصرار، ملتمسا خلط الأوراق كما ادعت بعض الصحف، وجلب الانتباه إليك، ليس كإنسان محاصر يتوق إلى الانعتاق، بل كبطل شجاع لا يهاب السلطة، وتعرف جيدا أنك في مأمن من أن تمتد إليك يد العدالة لوضعك المحرج، ولو امتدت إليك فذلك يوم المنى بالنسبة إليك، والسلطة بدورها فطنت لهدفك، فلم تعرك أدنى اهتمام لا بالرد عليك ولا بمحاكمتك، بل تجاهلتك وتركتك وعامة الشعب يصدر فيك حكمه بطريقته الخاصة، والعلمانيين وعامة الناس، فاتخذت الإسلام ذريعة للخوض في السياسة. فهل يمكننا بعد الآن أن نصدق أنك داعية إلى دين الله خالصا دون غرض دنيوي، وحتى لو نفضت عنك خرقة الصوفي، واتجهت للعمل السياسي من بابه المشروع فلن تفلح في ذلك لأن مذكرتك أظهرت أنك ومن معك لا تفقهون شيئا في السياسة، خير لك أن تعود كما عهدناك شيخا ضمن جماعة «بودشيش» تقيم مع المريدين حلقات الجذبة، وتوزعون فيما بينكم مياه الرضى بعد أن يزكيها شيخكم بلعابه المبارك، عد إلى طقوسك واترك شؤون الدنيا إلى أهلها، فليس

مباهاة أو خيلاء، في الوقت الذي ظهرت أنت فيه من خلال مذكرتك مختالا مزهوا بنفسك وببطانتك، لاغيا تواضع العلماء وأخلاق النصحاء، تحرم ما أحببت، وتحل ما يحلو لك، تخرج عن جماعة المسلمين بآرائك الشاذة، تدعو إلى الفرقة والفتنة، ألم يقم مسيلمة الكذاب بعد موت الرسول عليه السلام بمثل ما تقوم به أنت الآن، فخرج عن إجماع المسلمين، وارتد ورفض بيعة خليفة رسول الله، وحاشا أن أقابل كفر هذا الزنديق بإسلامك وإلحاده بإيمانك الخالص لله بعيدا عن شؤون السياسة، ولكن ما عدا ذلك فأنت تقتفي أثره دون وعي، وإلا فما هذا الموقف الغريب من البيعة ومن الصحراء التي استشهد في سبيل وها أنت تحصد ما زرعه قلمك الطائش.

ماذا يريد ياسين؟ أغلب الصحف التي نشرت مذكرتك الفضيحة تصدرها هذا السؤال المحير. الذي سوف يبقى مطروحا دون جواب. أما ردي البسيط فهو أنك خسرت بمذكرتك تعاطف الناس مع قضيتك، بحيث أصبح لا يعنيهم حصارك الشكلي الذي جعلت منه بطانتك قميص عثمان، فهل سنبقى مصدقين أنك محاصر؟ كيف ذلك ومقالاتك تملأ مساحات من الصحف دون رقيب، تخاطب من خلالها الفضلاء من الديمقراطيين،والاشتراكيين، بالدروشة تساس الأمور، أو بدغدغة مشاعرهم الروحية بدعوى الإصلاح والنصيحة يمكن استمالتهم.

أما أنا فقد كفرت بكل ما جاء في رسالتك «الإسلام أو الطوفان» وتبين لي أنني كنت أبارز طواحين الهواء حين صدقت رسالة أريد بها باطل، فأشعتها بين الناس تنفيذا لرغبتك. كان أصحابك قبل اليوم قلة قليلة، لكن حين أحسست أن جماعتك بدأت تكبر، وأصبح لها إسم وصيت، وأن البعض أصبح يتودد لك ويدافع عن قضيتك تزلفا لك ولأتباعك، حين لمست هذه القوة من حولك، كشرت عن أنيابك، وأنشبت مخالب البهتان في جسم الشعب، واحتقرته لأنه أدى بيعة لأمير المؤمنين لم تعترف بها أو ترضى عنها، فاطمئن فنحن راضون لما يغضبك، مرتاحون لما يقض مضجعك، متضامنون ملتحمون كلما أحسسنا بخطرداهم يهدد وحدتنا. فهدفنا هو تصحيح المسار وتقويم الاعوجاج بالطرق المشروعة التي كفلها الدستور لسواد الأمة، وسوف يفضي بنا حسنا الوطني بحول الله وعونه إلى البحث عن مكامن الخلل في مسيرتنا الديمقراطية، وإيجاد الحلول الناجعة لها، وليس ذلك على الشعب المغربي بعزيز. واعلم أيها الشيخ الفاني أنك حين تخرج من كهفك ستجد أن الزمن غير زمانك، وأنك غريب عن هذا الشعب الشاب وعن طموحه وأحلامه، فإذا ضاقت بك الدنيا بما رحبت فأهلا بك كمواطن صالح تحت لواء بيعة أمير المؤمنين.

(محمد بن الحسن)

م.ح.

(جريدة (الأحداث المغربية)

6 مارس 2000

- المدير هو العلوي السليماني: كان يحتقر رجال التعليم، ويرفض أن تعين المعلمات بمدرسته ومرة صفع أحد المعلمين أمام أنظار الجميع.
- بداخل المؤسسة سنة 74 طبع السيد العلوي رسالة «الإسلام أو الطوفان» صحبة الأستاذ الملاخ بواسطة آلة طبع صغيرة.
- قضى العلوي مع الملاخ سنة ونصف بدرب مولاي الشريف.
- كانت تقام حلقات الجذبة بمنزل بدرب الغسال بحي الموانيس بمراكش وكان شيخ البودشيشية يأتي من وجدة ليترأس هذه الحلقات إضافة إلى إقامتها بالتناوب بمنازل المريدين بالحي الصناعي والحي المحمدي.
- كان عبد السلام ياسين يقطن بالحي المحمدي المجموعة 31 رقم 441 مراكش.
- كانت مجموعة من الأساتذة بثانوية ابن عباد بمراكش هم الذين تزعموا الحملة ضد ياسين إثر نشره للرسالة مدعين أنه أحمق ومخبول.

ردود الفعل بين الاعتدال والانفعال

أبو صلاح الدين

■ لا تزال الساحة السياسية والفكرية تتفاعل مع المذكرة التي أصدرها الأستاذ عبد السلام ياسين تحت عنوان : «مذكرة إلى من يهمه الأمر». فقد انطلق البعض في التعامل معها من قراءة إيجابية تستحضر ما أحيته من «قيمة غائبة عند النخبة التي ضربت حول نفسها حصارا مفرطا في الرقابة الذاتية في العمل السياسي»، كما اعتبر أن الطوفان يعني بلغة العصر الانتحارات الجماعية داخل الشعوب والأمم بسبب عجزها عن صياغة جواب حضاري للتحديات الحضارية الجارية.

الأستاذ فتح الله أرسلان من جهته وصف الردود التي أثارتها المذكرة بأنها غلب عليها التشنج والسباب والاتهام والإقصاء فضلا عن تركيزها على قضايا مفتعلة أو موضوعات شكلية أو جزئية مثل دعوى القذف في المقدسات ودعوى الخروج على آداب النصيحة في الإسلام ودعوى تغليب الخطاب السياسي الدنيوي على الخطاب الدعوي الإيماني.. إلى آخر الدعوات والاتهامات...».

وفي مقابل ذلك يعتبر فتح الله أرسلان أن المذكرة قد تضمنت «خطابا سياسيا يرمي إلى المساهمة في وضع لبنات العهد الجديد وفق تصور صادق وهادف لا يكن أية ضغائن أو رغبات ذاتية أو نزعات وصولية أو نفاق أو غيرها من الخلفيات التي أفسدت المشهد السياسي».

وفي مقابل اللهجة الحادة التي طبعت «المذكرة» والتي يقر بها الأستاذ عبد السلام ياسين صراحة في مذكرته، فإن خطاب الأستاذ فتح الله أرسلان يظهر أكثر اعتدالا وميلا للدعوة إلى التعاون والمساهمة في الإصلاح حيث يقول : «إن المذكرة كتبت لمن يهمه الأمر من الحكماء العقلاء الفطناء والسياسيين الفضلاء وذوي المروءات والشرفاء من أجل التشمير والتعاون لمواجهة تحديات المستقبل».

الأكثر من ذلك أن الأستاذ فتح الله أرسلان اعتبر أن المذكرة هي «جزء من جواب العدل والإحسان عن سؤال طالما ردده المتتبعون للواقع السياسي» وهو ما يدفعنا إلى الافتراض أن هناك ميلا متزايدا داخل العدل والإحسان للتمييز بين خطاب «النصيحة الواجبة لولي الأمر» التي يتولاها السيد عبد السلام ياسين قياما بواجب الصدع الذي هو واجب العلماء، وبين الخطاب السياسي للعدل والإحسان، وإذا كان من غير الممكن فهم الجماعة بعيدا عن الأستاذ ياسين، إلا أن هناك سعيا على ما يبدو لإقامة نوع من التمايز النسبي على مستوى الخطاب، ولذلك حينما سئل الأستاذ فتح الله أرسلان من مستوجبه بأسبوعية الصحيفة : «هل المذكرة تعبر عن وجهة نظر السيد عبد السلام ياسين أم عن المرشد ياسين وبالتالي «جماعة العدل والإحسان»، أخذت الإجابة منحى ديبلوماسيا حيث لم ينف أو يؤكد نسبتها للعدل والإحسان كجماعة أو للأستاذ عبد السلام ياسين بصفته الشخصية (انظر نص الاستجواب بالصحيفة عدد : 72).

أما أغلب الأحزاب السياسية المغربية باستثناء الاتحاد الدستوري والحركة الوطنية الشعبية على لسان أمينها العام المحجوبي أحرضان - فإنها لم تصدر بيانات ومواقف رسمية بينما اكتفت الصحافة الحكومية أو القريبة من الحكومة إما بدعوات تحريضية على الأستاذ عبد السلام ياسين أو نشر بيانات مثل بيان رابطة علماء المغرب والبيان الصادر عن رؤساء المجالس العلمية، مع العلم أن هذه الصحف لم تعودنا على قبول نشر بيانات الهيئتين في قضايا أخرى مثل موقفها من «خطة إدماج المرأة في التنمية» بل إنها كانت قد شنت حملة ضد العلماء وهيئاتهم وحرمت عليهم الكلام في مثل هذه الشؤون!!

بيان رابطة العلماء المشار إليه اعتبر أن المذكرة «فرية شنيعة لم يلتزم صاحبها بشروط النصيحة وضوابطها الشرعية من اللين والأدب والسرية وسلامة الطوية» كما نعتت المذكرة بأنها «تحريض على كسر بيضة الإسلام والخروج عن الإجماع».

أما البيان الصادر عن رؤساء المجالس العلمية فقد أعلن استنكاره لما ورد في المذكرة المذكورة وأنها «نزوع نحو الغلو والتطرف» كما أنها «أحزنت أولياء الرحمن وأعلنت نقض البيعة والعصيان» وتضمنت خروجا عن البيعة ومنازعة الأمر أهله.

البيانان الصادران عن الهيئتين المذكورتين أثارا عدة تساؤلات عن حقيقة ودوافع الحركة الملحوظة للعلماء الذين كان يعيب البعض عليهم ضعف التفاعل مع القضايا المجتمعية والسياسية - وقد ذكرت مصادر مقربة من رابطة علماء المغرب في رد على تلك التساؤلات أن الرابطة تسعى إلى تجديد حركيتها وإشعاعها والرفع من مستوى تفاعلها مع قضايا المجتمع، وهو ما سيتأكد في المستقبل القريب حسب نفس المصدر.

أما فيما يخص ردود الفعل الحزبية فقد سجل بلاغ صادر عن الاتحاد الدستوري بتاريخ 8 فبراير «بقلق كبير التصرفات الطائشة للشيخ ياسين» و«كل ما ورد في رسالته اللامسؤولة من مس مقدسات البلاد ورموز وحدتها الضامنة لاستمرارها واستقرارها ونموها».

وفي نفس السياق وصف المحجوبي أحرضان المذكرة بأنها «مذكرة ملغومة في هدفها المعلن والخفي» وتهدف إلى «تفجير قضية خاسرة، وزعزعة استقرار البلاد وخلخلة إجماعها الوطني حول العرش والجالس عليه وتكريس ثقافة الاصطدام والتصادم والنيل من المؤسسة الملكية».

أهم خلاصة تستوجب التسجيل تتمثل في التعامل الهادئ والحكيم للسلطات العليا في البلاد، وهو ما دفع الأستاذ محمد طلابي إلى القول إن التعامل المذكور يشير إلى أن المغرب يتوفر على ملك من «عيار ثقيل» ذي حكمة وبصيرة ونفسية محصنة ضد فيروس القرارات السياسية المنفعلة والتي كثيرا ما أضرت بمصالح الدولة والأمة معا.

وهذا السلوك المتحضر الهادئ - يقول امحمد طلابي - يعطيه ملامح شيخ في التدبير السياسي وإن كان في مقتبل العمر.

وهذا التعامل يؤكده أيضا الاستدراك السريع للخطأ الشنيع الذي وقع فيه بعض المسؤولين الأمنيين حين حاولوا منع عناصر من أسرة الأستاذ ياسين ومن العدل والإحسان من أداء مناسك الحج. وهو ما تنبأت به في افتتاحية جريدة التجديد بعددها 56 حينما قلنا :

«نحن على يقين أن في رصيد النضج والحكمة الذي أظهر عنه العاهل الشاب، وفي القدرة المتنامية على التمييز عند الشعب المغربي ما به ستحاصر الدعاوى التي تدق طبول المواجهات والمحاكمات، كما نجدد التأكيد - مهما تكن ملاحظاتنا حول مذكرة «إلى من يهمه الأمر» شكلا ومضمونا على دعوتنا إلى أن تكون الكلمة العليا فكريا للمنافسة العلمية الهادئة التي تقابل الفكرة بالفكرة والحجة بالحجة والمنهج بالمنهج وسياسيا بالمعالجة السياسية الحكيمة التي ستبلغ قمتها وذروة سنامها برفع الحصار عن الأستاذ عبد السلام ياسين.

لذلك، فالمطلوب اليوم أكثر من أي وقت فتح حوار علمي وسياسي هادئ يقابل الفكرة بالفكرة والحجة بالحجة والمنهج بالمنهج كما قلنا، حتى يعود الجميع إلى الاعتدال وصوت الحكمة بالمنهج بدل التحريض على المحاكمات وعلى الاستئصال، لأن المغرب اليوم في حاجة إلى كل أبنائه وحركاته بما في ذلك «العدل والإحسان».

أبو صلاح الدين
التجديد ص: 5 8
1 مارس 2000

سبيل التجديد

في الثقافة والسياسة

نموذج «التوبة العمرية» بين الواقع والتاريخ

محمد يتيم

■ الدعوة إلى «توبة عمرية» تشكل أحد الثوابت في الخطاب السياسي للأستاذ عبد السلام ياسين وهو خطاب لم يتغير سواء في «رسالة الإسلام أو الطوفان» أو في مذكرته «إلى من يهمه الأمر» والمتأمل في جوهر تلك الدعوة يلحظ أنها تربط إصلاح نظام سياسي واجتماعي بإرادة فردية لرجل صالح مصلح يتحدى العشيرة والأسرة والنظام الإداري والمركبات المصلحية الداخلية والضغوط الخارجية.

ويقر الأستاذ عبد السلام ياسين ويعترف أنه لا يأمل كثيرا ولا يتفاءل في أن يلقى الاقتراح الاستجابة المطلوبة، وهو أمر يشوش كثيرا على رسالة الأستاذ سواء نظرنا إليها من الزاوية السياسية أو من زاوية خطاب النصيحة وأدب المخاطبة بين العلماء والحكام !!

يقول الأستاذ عبد السلام ياسين : «منذ ما يربو على أكثر من ربع قرن من الآن، كنت اقترحت على الملك الراحل مثال رجل صالح، نجمة مضيئة في سماء التاريخ الإسلامي. إنه الرجل الذي تحدى منطق زمانه وعقلية زمانه وحزبه لكي يراجع النظام الذي ورثه، والأفكار والتقاليد التي كان قد تلقاها من سلالته وذويه فعل ذلك فرسم لأحداث عصره مسارا جديدا.

عمر بن عبد العزيز منار نستهدي به في تاريخ ما بعد الخلافة الراشدة، نصب ملكا بعد وفاة ابن عمه سليمان بن عبد الملك، فبان للناظر معدنه النقي حين استهل عهده برد مال الأمة إلى الأمة، وأمر الأسرة الملكية بإرجاع أملاكها إلى بيت مال المسلمين ابتداء من زوجته التي سارعت - بعد أن بهرها ما رأت من ورع زوجها وحزمه - إلى وضع كل حليها عند قدميه.

إنه المثال الذي تقدمت به يوما ما بين يدي الملك الراحل «بسذاجة» فطرية والذي أقترحه اليوم دون كبير تفاؤل - أعترف بذلك - على ابن فان يوما ما لأب قضى نحبه».

والتأكيد على نموذج «التوبة العمرية» باعتباره مدخلا من مداخل التغيير السياسي في انتظار قيام نموذج «الخلافة التي على منهاج النبوة» في الخطاب السياسي للأستاذ عبد السلام ياسين يجعلنا نقف عند ملاحظتين :

** الملاحظة الأولى : تتعلق بالسياق التاريخي والحضاري الذي جاءت فيه تلك «التوبة العمرية»، وبالمستوى العام للتدين حيث كان المجتمع الإسلامي حديث عهد بالرسالة مقارنة بعصرنا الراهن وببساطة النظام السياسي آنذاك مقارنة، بدرجة تعقده اليوم، وتعقد علاقات القوة والمصلحة داخليا وخارجيا وتوازناتها وتأثيراتها المتبادلة أخذا بعين الاعتبار أن النظام السياسي ليس سوى المحصلة النهائية لكل التوازنات والعلاقات، فإذا كان يتصور في العهد الأموي دور كبير للحاكم الفرد وأثر أكبر للحاكم في القرار السياسي، فإن هذا الدور قد تضاءل اليوم بشكل كبير نتيجة تشعب مؤسسات النظام السياسي وتعقد العلاقات بين مكوناتها ودخول مؤثرات متعددة على الخط في صنع توازناتها هنا على الخصوص إلى المؤثرات الدولية الخارجية في سياق العولمة وتشابك المصالح الدولية، وعلى الرغم من ذلك فإن المتأمل في الظروف المحيطة «بالتوبة العمرية» والمآلات التي انتهت إليها يستطيع أن يقف على محدودية تأثيرها الإصلاحي في الزمان والتاريخ والمكان والجغرافيا الإسلامية آنذاك، إذ سرعان ما عصف بها المركب المصلحي الأموي آنذاك، فلم ترسم تلك التجربة لأحداث عصرها مسارا جديدا كما يقول الأستاذ بن سرعان ما انتظم ذلك التاريخ للمنطق

يتبع في الصفحة : 26

قراءة في «مذكرة إلى من يهمه الأمر» على ضوء منهاج «مرشد جماعة العدل»

إدريس كرم
مسؤول الإعلام والثقافة
برابطة علماء المغرب

■ مرجعية القراءة :

يقول الله تعالى : ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير﴾ (آل عمران : 26).

وقال تعالى : ﴿لا يتخذ المومنون الكافرين أولياء من دون المومنين﴾ (آل عمران : 28).

وقال ﷺ : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» أخرجه البخاري في صحيحه.

ويقول مرشد جماعة العدل والإحسان الشيخ ياسين : «لا يغير العنف إلا المظاهر والهياكل النخرة، أجيال من الناس أصناف، منهم وطنيون مقاومون جاهدوا العلو المستعمر بحمية وشجاعة، ومناضلون ووطنيون لهم ماض مجيد وآخرون لا مروءة ولا سابقة خير، ما يصلح العنف من حال الأمة شيئا، كيف والناس خليط... لايدرى من أجرم ومن خان ومن كذب ومن سبق ومن أنساق... العنف يهدم - وقد يخر البناء الهرم كله على رأس الكل في فتنة عارمة غاضبة قاتلة مبيدة» ص : 22 و 23 رسائل الإحسان 2.

والمرشد هنا يتلقى مع الحكيم الذي قال : إمام غشوم خير من فتنة تدوم، كما يتلقى مع جواب عمر بن عبد العزيز لولده في هذا الحوار : قال عبد الملك لأبيه : يا أبت مالك لاتنفذ في الأمور، فوالله لا أبالي في الحق لو غلت بي وبك القدور.

قال له عمر : لا تعجل يابني، فإن الله تعالى ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق حملة فيدفعوه وتكون فتنة» ص : 30 العقد الفريد.

ترى أين مذكرة السيد ياسين من هذا ؟

ترى أيصدق قارىء المذكرة أنها من مشكاة صاحب المنهاج النبوي ؟

لنقرأ المذكرة على ضوء كتابات مرشد الجماعة الشيخ الداعية عبد السلام ياسين تالين قوله تعالى : ﴿رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾.

للشكل دلالات وتوجهات :

لم يكن غريبا أن يبعث مواطن أو شيخ أو زعيم رسالة إلى ولي الأمر، كما أنه ليس غريبا أن يقوم داعي بتوجيه نصيحة إلى إمام الوقت على سنن ما فعله العلماء في تاريخ الإسلام. كما أنه ليس بالغريب أن يوجه شيخ جماعة العدل والإحسان رسالة إلى أمير المؤمنين جلالة محمد السادس بعد أن تقلد زمام الحكم خلفا لوالده الراحل جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه ذلك أن النصيحة من الدين وأن الرسل بعثوا إلى العالمين ناصحين قبل أن يكونوا مبشرين ومنذرين، قال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام في خطابه لقومه ؛ ﴿ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم نصاح أمين﴾ وكذلك سيدنا صالح ﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾ وقال ﷺ : «الدين النصيحة.. لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

وقد سبق لشيخ جماعة العدل والإحسان أن وجه رسالة للملك الراحل جلالة الملك الحسن الثاني بين فيها منهجه الصوفي وآراءه في السياسة والحكم مستندا على الكتاب والسنة وما قال به من يتبعهم، وقد أوخذ بأشياء منها التجرؤ على الإمام وعدم السرية ونزعتها التصوفية وغلوها إلا أنها تبقى أحسن بكثير من التي أصدرها في هذه الأيام وسماها «مذكرة» على غير العادة المعروفة في تاريخ أدب النصائح. مما جعلنا نتساءل عن سبب تسمية هذا المكتوب بهذا الإسم الغريب خاصة وأنه أضاف إليه شبه جملة نكرة مع العلم أنها موجهة إلى الإمام الأعظم أمير المؤمنين سليل البيت النبوي الطاهر جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده من غير احترام لمحتده ولا مكانته ناسيا قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ وقوله ﷺ : «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية».

لأن السلطان به قيام الدين فلا ينبغي أن يستحقر وإن كان ظالما فاسقا كما جاء عنه ﷺ في الصحيح : «أطعهم وإن أخذوا مالك وضربوا ظهرك». وازدادت حيرتي وكثرت أسئلتي لما لم أجد في المذكرة إشارة لآية أو حديث أو أثر، وهو أمر غير معتاد من مرشد العدل والإحسان وصاحب المنهاج النبوي والكرامات المرواة عنه بيد أن حيرتي زالت وإن كانت زادت حقا لما قرأت في الأخير أن المذكرة حررت بالفرنسية لأن الهيئات الديبلوماسية والإعلامية لاتقرأ إلا ما حرر بلغة أوروبية!!!

إذن فهي المعنية بالأمر وهي في نظر صاحب المذكرة لايهمها القرآن ولا السنة لأنها ليست مرجعيتها بل تحاربها لذلك وفر عليها الكاتب الجهد في البحث عن معاني الآيات والأحاديث في المعاجم ودوائر المعارف والمفاهيم بالمرة من الحرف العربي والتركيبة اللغوية العربية لأنه يعرف كما قال موقفهم مما ينشر بالعربية حيث يعتبرونه ثرثرة ممجوجة وأداة محلية يتواصل بها مع الرعاع الأميين. بل إن النخبة المغربية بدورها لاتفهم ما يكتب بالعربية وتعتبره لغطا مبهما.

وعليه تكون المذكرة موجهة للأجانب الذين يتوخى منهم الكاتب نقل ترجمتها إلى ولي الأمر مادام هو المستهدف من المذكرة، وعليه يكون قد ارتفع العجب بعد أن ظهر السبب.

وعليه تكون المذكرة مختلفة تمام الاختلاف عن رسالة مرشد جماعة العدل والإحسان السابقة التي كانت بالعربية وذات مراجع إسلامية وموجهة إلى ملك البلاد رحمه الله.

من هنا يتضح أن تسميتها بالمذكرة تدخل في باب آخر غير باب النصيحة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو ما شئت من الداعين إلى الله على اختلاف مللهم ونحلهم، وهذا ما يجعلنا نقرأها على ضوء المرجعية الإسلامية بما فيه كتابات مرشد جماعة العدل والإحسان لنرى إن كانت هناك علاقة بين ما يدعو إليه في منهاجه النبوي وما أراده في مذكرته هذه.

نحو دعاية العناوين :

لقد انتبه الكاتب في مذكرته إلى دور العناوين في جلب انتباه زبنائه ومن أغربها وأنكاها مأخوذ من كتاب لزوجة أوفقير «حدائق الملك» وهو أمر محزن لدرجة الإبكاء وكان لغة موليير ضاقت عن نحت عبارة أخرى تؤدي نفس المعنى أو أن الكاتب أصابه العقم فلم يجد ما يذكر به غير هذا المرجع، ولكن العذر أن المذكرة غير موجهة للداخل، وبما أن الخارج يتداول الكتاب المشار إلى عنوانه، ارتأى الكاتب أن يركب شهرته، قياسا على أن عدو عدوي صديقي.

كما استخدم الكاتب عنوانا آخر عزيزا على الجارة الإيبيرية التي تخوض حربا ضروسا ضد المنتجات والعمال المغاربة انتقاما ممن منع أسطولها نهب سواحلنا وإفراغها من الأسماك وهذا العنوان هو : أوراق الموت والمخدرات. إضافة تركيبية مزجية تصلح لتدمير الاقتصاد المغربي وخلع المستثمرين تحت عنوان : بين سندان الرشوة ومطرقة العولمة. مفتتحا الكل بعنوان ظاهره الرحمة وباطنة السخرية، كما سنرى وهو : ملك الفقراء، ومنهيا عناوينه الدعائية بعنوان أسماه : المفاهيم الجديدة تساءل فيه هل يتحول الملك يوما إلى ملك مواطن ؟ وهو سؤال لو عرضته على ما ألف بالعربية منذ أن بدأ التدوين لما وجدت له سوى جوابا مغرق في الخيالات التي ترسخ ثقافة التسول..

تلك هي الآثار التي تركها التفاف الشعب حول ملك الفقراء والتي أغاظت الكاتب فأراد أن ينبه الهيئة الدبلوماسية إلى مكامن الخطر فيها، علّه يوصل ما يريد إلى من يهمه الأمر فكيف صاغ ذلك؟

يقول الكاتب : «للملك الشاب محمد السادس رصيد من المودة، من الهيبات التي يريدها أن تطلع على منتوجه لذلك أفاض في تكثير العناوين وانتقائها مما درج عليه إعلام الإثارة ونبش القبور وتبخيس المغرب بدعاوى مختلفة، وهكذا نجد عناوين المذكرة تصل 17 عنوانا وملحوظة، وحيدا هو أن الكاتب في نفسه شيء من حتى، وهو بخلاف النحوي أراد الوصول إلى حتاه من خلال هذه المذكرة فكيف أقام مسالكه ؟ هذا ما سنحاول استقراءه فصلا فعصا بحول الله.

تكنه له شبيبة مغربية، اكتشفت فيه صاحبا لها، رمزا لتحررها،،، ثم يسخر من تعلقها ذلك فيقول : بشرى لها بمستقبل يبش في وجهها بعد عبوس، وكان الجملة لم تكن مؤثرة فيقول : لكن ما أبشع الخيبة حين

تستفيق الشبيبة.. على مرارة الواقع التعس سيرحل الشعر المحلق في الأجواء، ويحل، النثر المثقل بالبطالة والبؤس...

لنعد إلى مكونات الكاتب المعرفية التي ما نظن أنه تخلى عنها أو افتقدها بعد عمر طويل من الرياضة والرباط والعمل الدعوي. فنجد القرآن الكريم يقول : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب، بيس الإسم الفسوق بعد الإيمان**﴾ (الحجرات الآية : 11)

ونجد في السنة قوله ﷺ : «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر».

فكيف طوعت للكاتب نفسه أن يتعدى هذه الحدود وهو صاحب المنهاج النبوي الذي كان صاحبه مبرءا من كل عيب لأن الله أدبه فأحسن تأديبه. وهو القائل : «إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره»، رواه البخاري وأي شر أقوى من أن يسخر من أمة وإمامها، ويقابل بين موكب جنازة ميت وركب إمام مبايع له، وكأن الأمة كلها مغفلة لاتدري من أمرها شيئا فأين قوله ﷺ : «من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن كان له قيراطان، قيل وما القيراطان ؟ قال «مثل الجبلين العظيمين» وقوله عليه الصلاة والسلام : «إذا رأيتم الجنازة فقوموا، فمن تبعها فلا يقعد حتى توضع» أخرجهما البخاري في كتاب الجنائز. إن الكاتب عندما قابل بين إمام مات وآخر مبايع له مع تباعد زمن الجنازة عن زمن خروج الإمام للأمة يكون قد صنف نفسه في خانة مراسلي وكالات الأنباء المعادية، ضاربا عرض الحائط بمبدإ الإحسان الذي قال عنه مرشد جماعة العدل والإحسان بأنه : الدقة والإتقان فيما ننجزه من عمل، ومعياره موافقته لأمر الله ورسوله، ثم الدقة في مواصفاته العملية ليكون ملائما للهدف المرجو منه دنيا وآخرة إحسان بمعنى الصواب الديني ومعيار الصلاحية التقنية (الجماع عدد : 9/ 1981 ص : 101.

فأين الموافقة لأمر الله في الذي قرأناه في هذا الفصل الذي حرك فضول العديدين للذهاب إلى مراتع خيول العربة الملكية لرؤية حوافرها الذهبية فلم يجد إلا الحديد.

وأين الموافقة لأمر الله من تيئيس الشباب والقت في عضد أمير المؤمنين والقول بأنه لا يمكن للنية الحسنة أن تصمد لأن المغرب على شفى جرف هار.

ألم يقل الرسول الكريم : «بشروا ولا تنفروا»، ألم يقل صلوات الله عليه : «الكلمة الطيبة صدقة»، ألم يقل عليه السلام : «من دعا إلى هذا كان له من الأجر مثل أجور من تبعه.. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل أثام من تبعه»، وأخير وليس أخيرا قال : «إن الله لايجمع أمتي، أو قال أمة محمد، على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار».

فما لهذا المراسل يحول كل حسنة سيئة ويبحث لها عن مبررات سوء؟

قال في عنوان : (خطوات في سبيل الخلاص) : «تعرض الشبيبة الهاتفة باسم محمد السادس عن طبقة شاركت المخزن الشائخ بهتانه وخيانته لمبادىء الإسلام، كما تعرض عن الديمقراطية الحسنية وفي نفس الوقت ينعتها بانطماس المعالم وفقدان الهوية، أي أن ذلك الهتاف لا معنى له ولا طائل من ورائه مما جعله يتساءل : من يخدع من فمن جهة يعترف بأن الملك محبوب وله شعبية ومن جهة يقدح في الشعب ويصفه بالتفاهة والانقياد لمستشاري الملك الشاب الذين يزاوجون بين التعالم العتيقة والحديثة لإحلال عقيدة بديلة سيتكفل النشيد الوطني والراية الحمراء بغرس الإخلاص لها في القلوب الفتية، وهو لعمري هذي وكلام، فكيف يكون فاقد الهوي يحمل عقيدة حتى يكلف الناس عناء انتزاعها وإحلال أخرى محلها، وهل انتزاع العقائد أو زرعها بهذه السهولة».

أيكون هذا كلام مناسب لما يقول في رسائل الإحسان.(2)

«لا مناص لنا من أن ننهج في العالم من حولنا مع الاحتفاظ بمعاناة وقيمنا ودينا. الحفاظ على ديننا رأس الأمر كله، العالم من حولنا هو مجالنا الحيوي، هو بحر الابتلاء الإلهي للعباد، فيه القوى المناهضة والمنافسة والمعارضة والمعادية والكائدة، توجيه كتاب ربنا وسنة نبينا للمبحرين في لجج الخضم العالمي، أن تعطي كل ذي حق حقه، دون أن نتنازل عن رسالتنا عند أمر الإسلام، في الإعلان عن رسالتنا إلى الإنسان.

توجيه كتاب ربنا وسنة نبينا أن نلتقي ونتعاون مع ذوي المروءات من الناس، نعترف لكل فاضل بفضله ما دام يقول ربي الله، بتعبير العصر : تلتقي ونتعاون على صعيد القيم المشتركة ما دام الناس يحترمون ديننا، ويصون المصالح بيننا ذمم مرعية وعهود مقضية» ص : 31.

ترى هل خرجت الشبيبة الملتفة حول ملكها عن هذه الاحترازات التي يأمر بها مرشد الجماعة طلابه ؟ هل وقع من العاهل المغربي ما يمس بالاحترام الواجب للدين الإسلامي أو نقض العهود المرعية والمواثيق المقضية ؟ أو رفض مستشاروه الشباب التعاون مع ذوي المروءات من الناس، وأبوا الاعتراف لأصحاب الفضل بأفضالهم كيف يأمر المرشد مريديه بالتعاون مع الأخيار والصبر على بلائهم امتثالا لتوجيهات رب العالمين ولا يحترم ذلك الأمر ولا يطبقه في مذكرته التي التي نحن بصددها ؟ أليس هذا منافيا للدين وما جاء في كتاب رب العالمين وسنة سيد المرسلين.

لم يستثن الشعب المغربي وشبيبته وعاهله من التعاون وفق هذا الضابط المنظم للعلاقة بين الناس ؟ لماذا لم يعط صاحب المذكرة حق سلامة النية وصد الطوية في الإصلاح والوصول إلى مراتب النجاح ؟ لماذا أوردهم موارد الهلاك ووسمهم بالتبضع من سوق الشعارات الرخيصة، وتنبأ لهم بالخيبة المضاعفة ووخامة النتائج النتائج ومرارة استكشاف البهتان ؟

ما هذه الازدواجية يا صاحب المذكرة، أين هي رسالتكم إلى الإنسانية ؟ أم أن المغرب لا يدخل سكانه ضمن الإنسانية التي يأمر المرشد التوجه إليها وفقد مبدإ الدين الإسلامي ؟

أين قول الله تعالى : ﴿**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**﴾ فصلت : الآية : 33-34،

وأين قول الرسول الكريم : ﴿**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**﴾ ؟.. أليس مرشد الجماعة هو الذي يقول : «الأعمال عند الله عز وجل بالنيات.. لكنه عز وجل سن ناموسا في هذه الدنيا يقضي أن من لم يتخذ أسباب القوة يصرع في الحلبة مهما كانت نيته، ص : 103 الجماعة مصدر سابق ؟ أليس المرشد هو الذي يقول : «إماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان، تلك الحركة البسيطة التي يقوم بها الفرد حين يسلك الطريق فيجد شوكة أو حجرا أو أذى فيزيلها بنية تجنيب المسلمين المارين إذايتها مما يقرب إلى الله عز وجل، هنا يجمل العمل على بساطته بجلال النية» ص : 114. الجماعة.

مذكرة العض :

فكم هي الأشواك التي نثرها صاحب المذكرة في طريق المسلمين من خلال مراسلته هذه التي لم تحمل ولا توجيها واحدا من توجيهات المرشد إلى مريديه واتباعه ؟

لماذا نكص صاحب المذكرة عن المنهاج النبوي ورسائل الإحسان التي يربي بها المرشد أعضاء الجماعة وكشر عن أنياب العض للتفرقة بين الإمام ورعيته الشابة تسفيها وتنكيتا متجاهلا قوله ﷺ : الذي كثيرا ما استشهد به المرشد والقائل : «خير المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده، والخيار كما يشرحه المرشد هو أن يقولوا للناس حسنا، ويفعلوا حسنا، ويكلفوا اذاهم عن الناس ص : 35 رسائله، معضدا ذلك بما رواه الإمام أحمد عن النبي ﷺ : «خير ما أعطى الناس الخلق الحسن»، شارحا ذلك بقوله : «الخلق الحسن من الدين، مخالفة الناس من الدين، ص : 38 فهل من الأخلاق ما سبق أن أوضحناه مما جاء في المذكرة وما سيأتي بيانه إن شاء الله فيها ؟

وهل من الأخلاق مصادرة حق أمير المؤمنين في إصلاح أمور الرعية بدعوى أن النظام بأكمله في تحلل سريع ولا يكفي لتطبيبه إرسال الإشارات القوية ؟

ألا يدل هذا على أن كاتب المذكرة في نفسه شيء من حتى حركه تألق الإمام ورغبة شبيبته في التعاون معه على جلب المنفعة ودفع المضرة عن هذا البلد الأمين»(....).

فهل من الأخلاق ما بيناه مما جاء في المذكرة».

وهل ما استعرضناه يوافق ما قاله مرشد الجماعة من قبل : البشر والاستبشار والكلمة الطيبة والكلام الواضح الهادىء الوقور ؟ الإقبال على السائل وحسن الاستماع والانبساط للناس التبشير لا التنفير ص : 142، وهل في المذكرة ما يناسب ما قاله إن من آداب الإيمان وحيائه رحمة الكبير بالصغير وتوقير الصغير للكبير..؟ ص : 143 وقوله سوء أدب الناس وجفائهم وكراهيتهم لبعضهم ظواهر لأمراض نفسيةواجتماعية وسياسية واقتصادية، فكيف غابت هذه التعاليم عن المذكرة وكيف جاء فكر العض مكان فكر الأدب.

يتبع في الصفحة الموالية

دعوة إلى الحكمة والاعتدال

■ على إثر صدور مذكرة الأستاذ عبد السلام ياسين «إلى من يهمه الأمر» دقت بعض الأقلام الصحفية ناقوس الخطر وأعلنت «حالة الطوارىء» وصرخت ملء الأفواه أن الديمقراطية في خطر، وكان مؤسسات المغرب ونظامه واستقراره من الهشاشة، بحيث يكفي أن يصدر شيخ أعزل محاصر مذكرة نصيحة إلى أولياء الأمر في البلاد، كي يعصف بذلك الاستقرار وتصبح تلك المؤسسات في مهب الريح. ولم تتريث الأقلام المذكورة ولم تأخذ ما يكفي من الوقت للتأمل والتحليل، ولكنها انساقت إلى التحذير من أن يسقط المغرب في أوضاع شبيهة بما حدث في قطر شقيق مجاور والدعوة المبطنة أو الصريحة إلى تحريك مساطر المتابعة القضائية.

ونحن نرى أنه إن كان هناك من مقارنة بين واقع المغرب والواقع السياسي في القطر المذكور فهو الشبه في انتساب أصحاب تلك الأقلام إيديولوجيا وفكرية إلى تيار الاستئصال الذي لم يتحمل أن يزاحمه في الساحة السياسية التيار الإسلامي الداعي إلى الاستقلال الثقافي والحضاري للأمة وإنهاء زمن التبعية الفكرية والسياسية للاستعمار.

ونحن نرى بالرغم مما قد يكون عندنا من ملاحظات على خطاب المذكرة المذكورة وتقييمنا لها شكلا ومضمونا، وظرفية إصدارها والأولويات التي ركزت عليها أن بلادنا قد بلغت حدا من الاستقرار، وأن مؤسساتها وشعبها قد بلغا حدا من النضج، ما يجعلهما في غنى عن الانسياق وراء الدعوة إلى المواجهة والاصطدام. كما نرى في الدعوة إلى اعتماد المقاربة الأمنية والقضائية بدل المقاربة السياسية دعوة ليست بريئة وإنما تصب في تيار الاستئصال المذكور.

وهناك أمر آخر أبعد من المقاربة القضائية والسياسية يرتبط بحقل «إمارة المؤمنين» وبـ«النسب النبوي»، والأخلاق النبيلة لأمراء المسلمين وحكامهم، وهو الذي ندعو أن يرجح في التعامل مع الواقعة في مجابهة أهل التحريض» فعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة في ثوب بلال فقال له رجل: يارسول الله إعدل. فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل. فقد خبت إذن وخسرت إن كنت لا أعدل» فقام عمر فقال: «ألا أضرب عنقه فإنه منافق فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي». «رواه مسلم».

وفي تاريخنا الإسلامي أيضا ما يشهد على هذا الخلق النبوي في سلوك الأمراء والحكام. فلما أرسل سفيان الثوري رسالة شديدة إلى هارون الرشيد قال له من حوله من حاشية السوء: «يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره. فقال: اتركونا يا عبيد الدنيا. المغرور من غررتموه والشقي من اهلكتموه. وإن سفيان أمة وحده فاتركوا سفيان وشأنه».

ونحن نقول : مؤسساتنا بحمد الله قوية، ودليل ذلك القدر الكبير من الحريات نادر الوجود في العالم العربي، وعند شعبنا من النضج ما يجعله قادرا على التمييز والحكم، وعلى الأخذ والرد، والدوافع والظروف التي كتبت فيها المذكرة مفهومة.

والحل في نظرنا، أولا في تلك الأخلاق النبوية، وثانيا في المقاربة السياسية التي وجب أن يكون من أولوياتها إنهاء الحصار، ففي ذلك مصلحة البلاد والعباد ورجوع كل الأطراف إلى خط الوسطية والاعتدال.

التجديد : ع : 55
9 فبراير 2000

جاء في بيان الجماعة الصادر سنة 1407هـ.

العدل برنامجنا الواضح، لتتحد عليه جهود الصادقين، وتلتلف حوله جماهير الأمة - وتقول مذكرة إلى من يهمه الأمر تحت عنوان :

ميراث ثقيل :

«ها نحن أحسنا الانطلاق بتركيز جميع الآمال في شخص وجه جديد يظهر على الخشبة» وهي عبارة استخفافية بدليل قول المذكرة في آخر الفقرة لا أحد يجهل أن النظام بأكمله في تحلل سريع، ولا يكفي لتطبيب وضعه المعتل إرسال الإشارات القوية.

فأين العدل في الحكم على من لم تظهر أعماله، ولا بدأ بالإصلاح وأعطى إشاراته لتحريك دواليب الدولة ومؤسساتها ؟ يقول الله تعالى في سورة المائدة.

﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾

وهل يتماشى العدل وهذه النعوت التي جاءت بها المذكرة عندما تقول : «يحاول القصر أن يبدي حزمه ويشيد سلطته برد مظلمة أو إلقاء خطبة موشية - ألم يقل الله تعالى : **﴿وقل اعملوا، فسيرى الله عملكم ورسله والمؤمنون﴾** - ألم يقل الرسول ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق ثمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة» رواه البخاري.

تقول المذكرة -هذا الشعب الأمي ينتظر اليوم أفعالا هذه الشبيبة تتعاطى أنواعا من المخذرات هربا من المجتمع الذي يتجهمها وتفر من ظل مستقبل معتم... ماذا في مقدور فتى الأحلام أن يفعله لتدعيم سلطته وتقوية مركزه يقول الله تعالى : **﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾** هود : 118-119.

وقال جل من قائل : **﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾** المائدة - : 48، فكيف جاز لصاحب المذكرة أن يجمع شعبا ويصفه بالأمية قاطبة، وهو يعرف كما أورد في إحصاءاته بأن هناك بطالة متعلمة، وشبيبة ينعتها بالانحراف لانسداد الآفاق في وجهها، وهو يدعوها إلى التعبئة حول برنامجه، ومجتمعا رافضا لا بنائه، ويجمع جميع تلك المشاكل ليضعها في كفة ولي الأمر مقابل سلطته ومركزه الشرعي ليتسائل في أي شيء سيتم التفكير؟ ومن أين البداية مذكرا بقصة العنزة والذئب والكرنب أيهما يجب تعديته مع الحفاظ على الجميع.

بعيدا عن المنهج النبوي :

أيستقيم هذا مع المنهاج النبوي الذي يقول : «من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» رواه البخاري في صحيحه.

ثم من قال : إن الرزق بالطلب ؟ ألم يقل الله تعالى : **﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾** وقوله جل من قائل **﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾** الشورة : 27، من قال أن الرزق يدرك بالحيل؟

تقول المذكرة ما الذي على الشاب محمد السادس الذي يمنحه جيله التأييد بكل سخاء أن يفعله ؟ **لن نجيب بأن المحبة لا تكون مشروطة، وأن جيل محمد السادس ككل الأجيال المغربية صبور وفي، مومن، عامل يستمع القول فيتبع أحسنه، لأن ذلك معلوم بالضرورة، كما هو معلوم أن محمد السادس ملك للمغرب وأمير المؤمنين، ومعلوم بالضرورة في دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، قال الحسن** البصري رحمه الله في الأمراء : هم يلون منا أمورنا خمسنا :

الجمعة والجماعة والعيد، والثغور والحدود، والله لا يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون مع أن طاعتهم والله لغبطة، وأن فرقتهم لكفر - من آداب الحسن البصري لابن الجوزي.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لفقهاء بغداد : «عليكم بالإنكار في قلوبكم ولا تخلعوا يدا من طاعة، لاتشقوا عصا المسلمين.. وانظروا في عاقبة أمركم واصبروا حتى يستريح بر ويستراح فاجر».

وقال الفضل بن عياض : «لو كان لي دعوة ما جعلتها إلا في سلطان فأمرنا أن ندعوا لهم بالصلاح ولم نؤمر أن ندعوا عليهم» وإذا كان الله يقول : **﴿وقولوا للناس حسنا﴾** فكيف نجهل في مخاطبة من أوكل الله إليه أمور الناس، ناهيك عن كونه من سلالة سيد الأولين والآخرين.

قال الماوردي قال بعض الحكماء : «الأدب أديان : أدب شريعة وأدب سياسة، فأدب الشريعة ما أدى الفرض وأدب السياسة ما عمر الأرض وكلاهما يرجع إلى العدل الذي به سلامة السلطان، وعمارة البلدان، لأن من ترك الفرض فقد ظلم نفسه، ومن خرب الأرض فقد ظلم غيره».

والجرأة على الإمام ووضعه موضع الريبة ليس من فعل العقلاء ناهيك عن البررة المصلحين، بل إن المذكرة تحت عنوان :

واجب مقدس تقول :

هل للملك الشاب الحق في الإصغاء لأصوات غير انتهازية قبل أن يحوله الميل الغريزي لكل أمير إلى طاغية غشوم ؟

وتحت عنوان أسئلة محرجة تقول :

«مسكين هذا الملك الشاب ماذا يريد أن يفعل ؟ ماذا يمكنه أن يفعل ؟ هل.. هل.. ما الذي يستطيعه ملك مبتدىء مثقل الأعباء بنوء به وزر نظام يقوم على فكرة أن الملك قادر على فعل أي شيء ويجب أن يفعل كل شيء، لن يستطيع شيئا إذا استسلم لترانيم سدنة العهد القديم، لكنه سيحقق الكثير إذا تسلح بالجرأة وأظهر للجميع قولا وفعلا أن الذي يقود القافلة ليس شخصا مائعا مدجنا بين ديماغوجية عصرية ونخوة علوية ترعاها دار المخزن - ترى ما علاقة عصرية بعلوية في سياق النصح ؟

ترى أين قول الله تعالى : **﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾** الأنعام : 69، وقوله جل من قائل : **﴿قل هو القادر على أنه يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويديق بعضكم بأس بعض﴾** الأنعام : 65.

قال ابن عباس رحمه الله في تفسير الآية إن العذاب الذي هو من فوقهم أمراء السوء، والذي من تحت أرجلهم عبيد السوء، وقال مجاهد رحمه الله فيها : إن العذاب الذي هو من فوقهم الرجم، والذي من تحت أرجلهم الخسف، وفي قوله تعالى : **﴿أو يلبسكم شيعا﴾**.

قال الأول : إنه الأهواء المختلفة.

والثاني : قال إنه الفتن والاختلاط وللنجاة من هذا العذاب أمر الناس بالجماعة ومناصرة الإمام لإقامة الحدود، قال ﷺ: «خير أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشر أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم» وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن الله تعالى إذا أحب عبدا حببه إلى خلقه، فاعرف منزلتك من الله تعالى بمنزلتك من الناس، واعلم فيما أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله ملائكته عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل أن الله قد أحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في أهل الأرض».

بعض إفلاسات المذكرة :

أليست المقابة بين خيارين غير متكافئين ولا متماثلين هو من باب ترجيح تأييد القبيح وترجيح المشين وإعلان الإفلاس ؟

ماذا يعني التأسف في الأول والوصف القدحي في الأخير إلا نذيرا للذين يستبشرون خيرا ؟ أليس ذلك مخالفة صريح لقوله تعالى : **﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدا﴾** تقول المذكرة لنكن صرحاء ! لنتكلم بلغة الأرقام الواضحة والمعطيات الواقعية المحسة : «يشتهر المغرب بكونه أسرة واحدة يغدق عليها نعمة ملك شع نوره على سائر أرجاء البلد السعيد، أب عم حذبه كل المغاربة عقل تستلهمه الحكماء.. دعاية مخزنية حادقة تعرض في مسرح البهتان الأدلة الدامغة والصور المشرقة لمغرب الأمن والرفاهية ولتكيل للجياع الوعود والأحلام... أي أسرة تلك التي خرجت من رحم القبضة الأفقيرية ثم تزمامارت الاختفاءات والمحاكمات.. والانتهاكات الصارخة لحقوق المعاندين المتصلبين.. من أهل اليسار البارحة وهم اليوم الملتحون والمحجبات من أهل الإسلام اغتنت الذئاب المحتمية بصاحب الصولة والصولجان بما أنك خليل صفي للنظام فأنت في مأمن كلما طفح الكيل أخرج لهم من كمه ارنبا كما يفعل البهلوان تفتت في الأنعام على المقربين وللعصاة المتمردين العصا» **أين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الإنشاء الصارخ بالتقديح والتجريح لملك أفضى إلى عفو الله ؟**

التوهيم بالأرقام والمحاسبة بالكلام :

للقارىء أن يتسائل أين هي الأرقام ؟ وما علاقة الحسرة التي أبدتها المذكرة على الملك الشاب بالأوصاف التي تتحدث عنها لمغرب الأمن والرفاهية ؟ وبأي حق أدخلت الحقبة الأوفقيرية إذا لم يكن المراد هو بأن لا شيء قد تغير. ثم هل نظال أهل اليسار بالأمس ومرجعيتهم هي جهاد أهل الإسلام ومرجعيتهم اليوم

وهل لهم نفس الأهداف ؟

يقول مرشد الجماعة انكشف كذب المغربين الفاجرين وفقدوا ثقة الأمة وآن للأمة أن تعرف أن أبناءها

الذين يتمنون لقاء الله لا أن يكونوا أذنابا لأعدائنا هم المؤمنون الصادقون.

غيرنا يعتمد الدعاية الكاذبة والتهريج والتهييج والحركة الجوفاء نحن طريقنا الطبيعي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص : 44 الجماعة 1981 فهل في الفقرات السالفة ما تنطبق عليه هذه الأوصاف.

قال الإمام الغزالي : درجات الأمر بالمعروف : الوعظ التخشين في القول المنع بالقهر في الحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجائز في جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الأوليان وهما التعريف والحظ... وأما التخشين في القول إن كان يحرك فتنة يتعدى أثره على غيره لم يجز».

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله فقال : - الإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده. يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا، ويكتسب لهم في حياته، ويذخر لهم بعد مماته.. واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك فتزود له بما يصحبك - يوم يفر المرء من أخيه - الآية لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لايرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة...

إني يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولوا النهي من قبلي، فلم أل شفقة ونصحا، فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته».

فانظر أيها القارئ للحسن البصري، بجلاله ومقداره كيف يتواضع في نصحه وإرشاده لولي الأمر ليكسب وده ويفتح عقله وقلبه لتقبل المعروف والإبتعاد عن المنكر، **وقارن ما جاء في المذكرة من استيعاب للرائج من القول، وقد قيل في الأثر : كفى بالمرء حماقة أن يحدث بكل ما يسمع. ناهيك إذا كان ما يحدث به لا يسلم من الدخن، لبيان مصادره وأهدافه، ودواعي ترويجه، والغايات المتوخات** منه وهو ما تبرزه هذه العبارات :

دهاليز القصر المظلمة، جنون العظمة، زواج بثيس، الآلة الدعائية المخزنية، مسرح البهتان - الأوضاع البوليسية.. وقارنها بما في الأحاديث ونصائح السلف من حض على المعروف وتدليل عليه، ورفع من شأن الصالحين المصلحين والداعين إلى البذل والعطاء. قال ابن أبي شميلة لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لاينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه».

وقال الإمام الأوزاعي للخليفة أبي جعفر المنصور - يا أمير المؤمنين إن الذي لين قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله(ص)، وقد كان بهم رؤوفا رحيما مؤاسيا لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس، فحقيق بك أن تقيم له فيهم بالحق، تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس لما أصابهم من سوء».

فإذا كان هذا حال أمير المؤمنين محمد السادس مع شعبه يرثي لحال المستضعفين ويأمر بمواسات المحتاجين، أيوصف عمله بأنه قصد به غير وجه الله؟ وإقامة العدل والرفق والإحسان لا يحمد له؟ ألا يعتبر مواسات المحرومين من القضايا الملحة. التي تحصرها المذكرة في أمرين اثنين : مسألة الصحراء وانفتاح السوق العالمي بعد عشر سنوات ؟

أليس هذا مخالفا لما يقول مرشد الجماعة بأن الملح والعاجل وهو : «لا تعايش تحت الإسلام بين الفقر المدقع والغنى الفاضح» الجماعة، فلماذا تترك المذكرة هذه القاعدة الذهبية وتركن إلى تصنيف الذين ظلموا فتصف مسألة الصحراء بالإرث المسموم» وتصف خصوم الوحدة الترابية ونداءات العصابات المسلحة بخطاب العزة، (وأن الصحراويين ذووي الأنفة والآباء أصحاب عزة ما برحوا متمسكين بالإسلام)، وباقي المغاربة أليسوا كذلك ؟ هل ضيع المغاربة إسلامهم؟ حاشا وكلا.

حاطب إثارة وطارح اعتباره :

لا حول ولا قوة إلا بالله. من قبل جمعت المذكرة كل الشعب في خانة عشاق الهتاف، وكل الشباب المغربي في خانة المدمنين على المخدرات، ثم تأتي الآن لتعلق أن الحكم العاض يلقي للمسلمين الأمر بالركوع لغير الله، كما تتحدث المذكرة عن مغرب في الغد القريب موحد مسلم، الله أكبر ! ما هذا التناقض؟ كيف يصبح المذموم في بداية المذكرة ومنطلقها، مثار إعلاء وحمد في وسطها؟ وكيف جاز لكاتبها أن يتسائل عن الموقف الذي سيتخذه المواطنون المغاربة الصحراويون يوم الاستفتاء التأكيدي؟ هل سيصوتون في الغد القريب لمغرب موحد مسلم حقا ؟ مغرب تعاد صياغته وبناؤه، أم أنهم سيعتبرون من الإهانة التي لحقتبهم سالفا ومن القمع الوحشي الذي مورس عليهم مؤخرا فيختاروا الكرامة والحرية وينضووا تحت اللواء الآخر ؟ / كيف صارت الأقاليم الجنوبية إرثا مسموما عند صاحب المذكرة وهو يعلم حق العلم **أن تلك الأقاليم مغربية تاريخا وجغرافية ودينا وأرومة !كيف صارت تنمية الأقاليم المحررة فخفخة واستكبارا، وتعميقا للهوة بين عضوين من جسد واحد، من شعب واحد ؟ كما تقول المذكرة.**

لن نتحدث عن الأرض المسترجعة التي افتدى استرجاعها للوطن بدماء المغاربة قاطبة والتي لايتطرق الشك في أنها ستبقى مغربية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولكن سنذكر فقط بمنهج شيخ الجماعة الذي يستند قديما إلى ما جاء في القرآن الكريم حيث قال تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ آل عمران : الآية: 103.

قال ابن مسعود - حبل الله الجماعة - وروي عن أنس بن مالك عن النبي (ص) أنه قال : إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، وان أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فوقة كلها في النار إلا واحدة.

قال فقيل : يارسول الله وما هذه الواحدة ؟

قال فقبض يده وقال :

الجماعة وقرأ : ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾ آل عمران : 103.

وقال قتادة رحمه الله : حبل الله الذي أمرنا بالاعتصام به هو القرآن.

والقرآن موحد ويدعوا إلى نبذ الفرقة، قال تعالى : ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ آل عمران : 104.

أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان عن قتادة رحمه الله أنه قال في قوله تعالى : ﴿**ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم**﴾ إن الله عز وجل قد كره لكم الفرقة وقدم إليكم فيها وحذركموها، ونهاكم عنها، ورضي لكم السمع والطاعة والألفة والجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضي الله لكم... وهذا مصداق لقوله (ص) : «إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال» أخرجه الإمام مسلم في كتاب الأقضية.

وقد أخرجه مالك في الموطأ وأحمد في المسند.. وفيه «وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم - ولم يذكر مالك - ولا تفرقوا - قال الحافظ بن عبد البر في التمهيد على هذا الحديث : وفيه الحظ على الاعتصام والتمسك بحبل الله في حال اجتماع وائتلاف» قال ابن المبارك رحمه الله:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا
منه بعروته الوثقى لمن دانا
كم يرفع الله بالسلطان مظلمة
في ديننا رحمة منه ودنيانا
لولا الخلافة لم تؤمن لنا سبل
وكان أضعفنا نهبا لأقوانا

فكيف يأتي واحد للمغاربة بعد أن ابلو البلاء الحسن في استرجاع أراضيهم ويزعم بأن سكانها لفرية وبهتان تلقى هنا وهناك سيختارون العزة عند المرتزقة الذين شقوا عصا الطاعة وأعلنوا الحرب عن أمتهم بدعاوى إلحادية أقاموا عليها ترهاتهم وافكهم، بدعم من أعداء الله والوطن، اللهم إن هذا منكر من القول وزورا قال تعالى : «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لايهدي القوم الظالمين» إن هذا المنحى الذي اتخذته المذكرة تجعلنا نقول بأنها خرجت عن إجماع الأمة وظاهرت على الإمام وخرجت عن أمر الله في الحظ على التمسك بالجماعة ومناصرة ولي الأمر في الدفاع عن حمى الوطن، والرباط مع المرابطين لرد العدوان الذي يشنه أهل البغي والفساد.

قال عليه الصلاة والسلام : «من أراد بحبوحة الجنة فاليزم الجماعة» أخرجه الترميذي في كتاب الفتن من سننه.

شتان بين التصوف والتشوف :

بعد هذه القضية تتحدث المذكرة عن قضية كبرى ثانية هي الحرب الاقتصادية التي خصص لها سطران 35 كلمة بينما خصص للقضية الأولى الصحراء، الوطن، الإجماع، 16 سطرا مع العلم أنها مثار إجماع وطني ومساندة دولية موثقة بالتاريخ والجغرافية ومحكمة العدل الدولية، بينما الثانية التي تناهض الأمم المنظمة الباهرة على تحريرها، اكتفت المذكرة بالحديث عنها في بعض كلمات لتخلص إلى إدانة النظام والتباكي على مستقبل المغرب انطلاقا من أرقام لا سند، لها وإن وجد السند، لم توجد المصداقية، وإن وجدت المصداقية، لم تسلم من الاختزال الذي هو صفة التكميم، ناهيك إن كان التكميم بهدف إلى الكيد والدسيسة.

وبذلك تنقلنا المذكرة من المطلق إلى الجزئي، فتحوله مطلقا وقاعدة تبني عليه أحكاما قطعية ما أنزل إله بها من سلطان.

انظر أيها القارئ» إلى هذه التوطئة لما سمي إحصاءات تنذر بالإفلاس والتي تستند إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما تزعم المذكرة.

تقول المذكرة :

«منذ فترة ليست بالقصيرة ونحن ندين الأساليب الجبرية التي تنصب على قمة الحرم السلطوي رجل يحتكر الحق في تسيير شؤون البلاد

والعباد حسب هواه... وهكذا بحكم الدم يجري في عروقي والإنجاز العظيم الذي حققته حين تفضلت على الناس ببروزي للوجود مقدسا لي الحق في أن أتحكم في مصائر العباد وألا يكون خلاصهم إلا على يدي!!! «هل يختلف هذا الكلام عن كلام منظري عصر التنوير وأصحاب النظريات الاشتراكية التي تناهض الإقطاع وتحرض على الكنيسة ؟

يقول مرشد الجماعة : «أول العلم التوحيد، يتلوه عبادة الله سبحانه، وحدة العقيدة تلزم وحدة المعبود، وهذه تلزم وحدة السلوك الإيماني ووحدة الولاية ووحدة الغاية والهدف... إذا كان أمر الله لنا واحدا، ومسؤوليتنا عن تنفيذه واحدة، وإرادتنا لتنفيذه صادقة فمالنا أن نتوحد لنكون تلك الأمة المنعوتة بالخيرات الشاهدة على الناس بالقسط» الجماعة 82.

لنقارن بين هذه الفقرات الإيمانية وبين سابقتها الموجهة إلى الهيئة الديبلوماسية والإعلامية لنرى الفرق فأين المعروف في القول السالف وأين المنكر؟

لمن الحديث موجها ؟ ألولي الأمر ؟ سليل الدوحة النبوية ؟ أم لمطلق الناس ؟ المسلمون يومنون بالشرف ويقدمون العشرة النبوية، ويعرفون أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ؟

هل من المعروف أن يتقول على أي إنسان بأنه تفضل على الناس ببروزه للوجود مولودا مقدسا أليس هذا تدخلا في خاصية من خصائص الله الذي يبدأ الخلق ثم يعيده؟ هذا من صلب والآخر من صلب ؟ وهذا بر وهذا فاجر.

أليس هذا مضاد لقوله تعالى : **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾** النساء : الآية : 1، وقوله عز من قائل: **﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾** الروم الآية : 20.

وقوله (ص) : «كلكم من آدم وآدم من تراب ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى». والتقوى تؤدي إلى العمل الصالح والعمل الصالح يقتضي الاحتكام إلى ما أمر الله به ورسوله، وقد أمر الله ورسوله باحترام أولي الامر وعدم تأخير من قدمه الله ومنهم آل البيت.

قال (ص) : «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعرتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» ؟ أخرجه الترمذي في المناقب.

فهل هناك إسلام دون محبة لأهل البيت ؟ وهل هناك إسلام دون العمل على التخلق بأخلاق القرآن ؟

يقول مرشد الجماعة ناصحا اتباعه : بشروا بعالمية الإسلام وبينوا ضيق الإيديولوجيات وإقليميتها... علموهم أن الإسلام ليس مسؤولا عن تدهورنا التاريخي بل خروجنا عن الإسلام وابتعادنا عن تعاليمه هو السبب» رسائل.

وتأتي المذكرة لتتحدث عن عكس هذا تماما، وتأخذ من تأريخ الغرب للمشرق ما تراه مثالب : الفرمان التركي إشارة الخلافة العثمانية الرجل المريض. نبالة الدم التي راجت في عصر الأنوار، وما درها أنها تطعن في قيم إسلامية ومحددات دينية تتلى كل صلاة وبين الأوقات وهي الصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وذريته.

بلاغ الإحصاء وفتنة الإنشاء :

فهذا هوالمنزلق التي أرادت المذكرة أن تؤسس عليه قراءة، لما عنونته بـ:إحصائيات تنذر بالإفلاس قالت المذكرة بأنها ثمرات هذا المنهج المديع، منهج التحكم الاستبدادي اعتمادا على تصنيف الأمم المتحدة ساخرة من رتبة المغرب 125. و10 ملايين مغربي يعيشون فقرا مدقعا بأقل من 10 دراهيم يوميا وثلاثة أرباع العاملين لايحصلون على الحد الأدنى للأجر وهو 1660 درهما شهريا، وتضاعف إحياء الصفيح وتفاوت الأجور ما بين 1 و 1000، و 23٪ من الشباب عاطل و 100000 متخرج من التعليم العالي عاطل و 53٪ أميون.

تلك هي حصيلة أرقام المذكرة. أفرزها منهج التحكم الاستبدادي كما تدعي فأين الوجه الآخر من الإحصاء، إذا كانت المذكرة تتوخى المعروف؟ وتريد الإصلاح ؟ ابن السدود والمدارس والمعامل والطرقات وهلم جرا؟

ألا يقول الله تعالى : **﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم ؟﴾**.

ألم يقل الرسول الكريم : «لا تكونوا امعة، تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا».

لقد جاءت هذه الإحصاءات معضدة بعنوان آخر هو: «بين سندان الرشوة ومطرقة العولمة».

تلك التركيبة الغريبة المتنافرة التي تدين الداخل والخارج، بالفساد، وتدين الخارج بإلغاء العوالم وتحويلها إلى عالم واحد هو الغرب، بيد أن العنوان موحي لتناغمه مع إنذار الإفلاس، الناتج عن خوف المذكرة من توجس المستثمرين الأجانب إذا ما خاطروا بأموالهم في بلادنا، ورغبتها في تشجيع إقلاع اقتصادي يضمن لنا حضورا تنافسيا في السوق العالمية، كيف نقنع الأجانب بالاستثمار، أن قانون القهيوة وأوضاع جهازنا القضائي الإداري مخزية.

من أين أتى هذا المنطق للمذكرة ألا يقول مرشد الجماعة بأن الأمة تنتظر ما يأتيها من خير عن طريق الإسلام بعد أن جربت أساليب التغريب والظلم الطبقي والهزائم العسكرية والتبعية للجاهلية.. ولن يستطيع جند الله القيام بتلك المهام إلا بنصر الله وتأييده. الحماية ص : 104.

أليس هذا بعيد بعد السماء عن الأرض لما جاء في المذكرة من التباكي على عزوف المستثمرين الأجانب والخوف من تيار العولمة القادم. فمن الذي أدخل الوهن في القلوب وأزال طمأنينة الإيمان والتوكل على الله والإيمان بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ؟ فأين العدل في الحديث والصدق في الاستنتاج والرواية ؟ ألم يقل الله تعالى : **﴿أعدلوا هو أقرب للتقوى﴾**

ألم يقل الرسول الرحيم : «إنما الأمر رحمة من الله لأمتي ولولاه لما غرس غارس شجرا ولا أرضعت أم ولدا» وقال عليه السلام: «المرء مع من أحب» وقال : «من كثر سواد قوم فهو منهم».

المرء مع من أحب :

إن تبني المذكرة لمقولة المنظمات والهيئات بقدر ما يفيد أصحابها يضر ببلدنا، ويفقد متبني ذلك مصداقية آرائهم المنبنية على أسس مغايرة تؤدي إلى إحصاءات أخرى، لا ترضاها البعثات الدبلوماسية التي لاترى القناعة والتعاطف والمواسات والتراحم، والرضا بالقضاء والقدر وغير ذلك من المبادىء الروحية التي لا علاقة لها باقتصاد السوق، والتي تريد العولمة دحرها والإجهاز عليها بأشكال مختلفة تبتدىء من موضة الملابس وأنواع الإشهار الخاصة بالسلع الاستهلاكية مرورا بتحويل الأذواق والعلاقات وانتهاء بتفكيك المؤسسة الأسرية وتأتي المذكرة لتناقش المخدرات متسائلة : كيف تجابه عولمة تدق على الأبواب بشباب تعبث به المخدرات، مستشهدة بإدانة وسائل الإعلام الأوربية للمشاركة المخزية لشخصيات مقربة جدا من النظام في تجارة المخدرات، مؤكدة أنها تنقل معطيات وإحصاءات استقتها من الإعلام الغربي، بدعوى جفاف الشفافية بديارنا، وتكميم الأفواه الحرة ببلادنا، وبدل أن تناقش المذكرة علاقات اهتمام الإعلام الغربي بزراعة القنب الهندي ببلادنا، وتبرز المستفيد الأول من تصنيع المادة، وعلاقة ذلك بالنظام الدولي الجديد، ونهب ثرواتنا السمكية وكيف يريد ذلك الإعلام محاصرة البلاد، تنتقل المذكرة للحديث عن علاقة الإصدارات الأجنبية بجلالة الملك الراحل طيب الله مثواه وما كتبت حوله، لا لمعالجة موضوع المخدرات ولكن لمهاجمة النظام بدعوى تعريف الشعب حقيقة ما يجري. لماذا ؟ لينحسم كما تقول المذكرة كل حبل يعلق قلبه بحكم الجبر، ويدرك مدى فظاعة جرائم الحكم المتسلط ليلفظ الطواغيت ويتسلح بتعاليم الإسلام المقدسة ليتحرر من نيرهم.

فعن أي إسلام تتحدث المذكرة؟ وعن أي إسلام تريد من الشعب أن يتسلح بتعاليمه ؟

قال (ص) : «حسن الظن من حسن العبادة»، وقال أيضا : «لاتسبوا أمراءكم ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا، فإن الأمر قريب»، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : «إياكم ولعن الولاة، فإن لعنهم الحالقة وبغضهم العاقرة»، وأخرج ابن رنجويه عن أبي ادريس الخولاني أنه قال : (إياكم والطعن في الأئمة، فإن الطعن عليهم هي الحالقة حالقة الدين ليس حالقة الشعر، ألا أن الطعانين الخائبون وشرار الأشرار»، وثبت عن رسول الله (ص) أنه قال : «ثلاث لا يضل عليهن قلب امرىء مسلم : إخلاص العمل لله ومناصحة ولا الأمر ولزوم جماعة المسلمين»، أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

فانظر إلى تعاليم الإسلام التي لا تلتزم المذكرة مع الأسف بها، وتأتي بأخبار تناولها الناس في كتاباتهم وبينوا غثها من سمينها وزيفها من صدقها، فإذا بالمذكرة تريد أن تؤسس عليها قاعدة لإصدار أحكام في إمام رحل عن الدنيا وترك أعمالا ومنجزات تشهد له بالاجتهاد لخير الإسلام عامة والمغاربة خاصة، وأبرزها الدب عن الدين في زمن تكالبت فيه قوى الشر عليه في زمن لم يكن فيه صاحب المذكرة ولا أنصاره، بل لولا وقوف هذا الذي ينتقده بعد موته لما كان له رأي يسمع.

إذا أخذنا بمنهج المذكرة التي لم تؤلف من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قالت، ولكن من أجل دفع الشعب كما تقول للفظ طواغيت الحكم المتسلط، كما تدعي فإننا نستنتج انطلاقا من تعرفه على المنجزات المخزية كما تقول لحكامنا التي تصوغها بالتعابير الحادة والألوان القاتمة.

إن المذكرة لم تؤلف من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قالت، ولكن من أجل دفع الشعب كما تقول للفظ طواغيت الحكم المتسلط، كما تدعي.

غير صادقة ولا محايدة ولا ناصحة، وإنما لها هدف محدد وغاية **تريد الوصول إليها عن طريق الإعلام الأجنبي والبعثات الدبلوماسية. وهو**

التحريض على الفتنة في زمن لم يعد أحد يأبه بالشعارات والعبارات الطنانة. مما يمثل نكوصا لكاتبها ونزولا إلى الدرك الأسفل من الإسفاف والممالأة.

فأين نحن مما قاله مرشد الجماعة ذات يوم شارحا قوله(ص): «الدين النصيحة». فإذا رضينا أن يغلبنا على العامة وعلى إمامة الشعب المسلم أحزاب فاسقون، فقد عطلنا النصيحة» ص : 52، فإذا بنا اليوم نرى أن مراجع المذكرة مستقاة من تلك الأحزاب التي تعتمد عل التقارير الدولية التي تنوه بصدقها المذكرة، لتصادم بذلك ما قاله المرشد لمريديه عندما تحدث عن القلب السليم حيث قال : «القلب السليم كما تبينه السنة المطهرة هو قلب المومن الذي يحسن الظن بربه، يرجو رحمته ويخاف عذابه، يحبه ويحب رسوله لايتجسس على المسلمين ولا يحسد ولا يغتاب ولا ينم، وبسلامة القلب وصلاحه يتفاضل المومنون» ص : 53. لنقارن بين هذا الكلام الصادق الصافي الإيمان وبين ما سلف، لنتبين الفرق الصارخ.

هكذا نرى أن العناوين لا تثبت على دلالاتها ولكنها تكون منطلقا لتخسيس نظام وكشف عورات ونهش لحوم نهى الإسلام المسلمين عن القيام بها من خلال النهي عن الغيبة والنميمة

قال تعالى : ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾، وقال (ص) : «لا يدخل الجنة قتات».

وعنه (ص) قال : «من يضمن لي ما بين رجليه وما بين لحييه وأضمن له الجنة» أخرجه البخاري.

وقال (ص) : «ملعون من ضار مومنا أو مكر به»، أخرجه الترمذي، وقال عليه السلام : «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بألا يرفعه الله بها في الجنة، وأن العبد ليتكلم بالكلمة ممن سخط الله لا يلقي بالا يهوى بها في جهنم» أخرجه البخاري.

فأين هي المذكرة مما جاء في هذه الأحاديث الكريمة التي لاتخفى على كاتبها ومريديه؟ هل هناك ضرر أكبر من الضرر الذي تريد المذكرة إلحاقه بالأسرة المالكة والشعب المغربي لدى أعدائهما وخصومهما عندما تبنت رأيهم وقالت قولهم واستشهدت بما بيتوه وعملوا على تنفيذه سرا وجهرا طوال القرن الماضي، فكان الاحتلال وكان التقسيم، وكانت المحاولات المتكررة للتنصير والتغريب والتمزيق، فكان العرش دائما مع الشعب وكان الشعب وفيا للعرش، وكان وعد الله قدرا مقدورا، نصرا مؤزرا، ضد الاستعمار وضد الشيوعية وضد المغامرين من العسكريين والمدنيين، وتم وعد الله بنصر جنده وتحقيق وعده لأن العزة لله جميعا. وحاق المكر السيء بأهله.

لو أن صاحب المذكرة أعاد قراءة ما كتب في مذكرته السالفة للعاهل وتأمله لما خط حرفا واحدا مما سيحاسب عليه يوم القيامة، قال صاحب المذكرة فيما أشرنا إليه آنفا : «كان عمر يقول لجلسائه من صحبني منكم فليصحبني بخمس خصال. يدلني من العدل إلا مالا أهتدي إليه، ويكون لي على الخير عونا، ويبلغني حاجة من لايستطيع إبلاغها ولا يغتاب عندي أحدا، ويؤدي الأمانة التي حملها بيني وبين الناس».

إنها خمس خصال نبذتها المذكرة كلها، فلا هي هدت الإمام إلى إقامةعدل لم يهتد إليه، ولا إعانته على خير أراد إنجازه، ولا هي أبلغته حاجة محتاج عجز عن رفعها إليه، بل اغتابته، وأباه وأسرته عند الأعداء جهارا واستكبارا ومكرا، وسعت إلى تفرقةالناس عنه بدعوى أنه لن يقوى على فعل شيء لا هو ولا شبيبته المنبهرة به، على حد قولها.

وبذلك تكون المذكرة قد تجاوزت الحدود والضوابط الشرعية بدعوى التنقيب عن الحقيقة والصدع بها، فمتى كانت الحقيقة تخفى عن الناس ؟ أليس الحق أبلج والباطل لجلج ؟؟

الدوافع النكراء لمزاعم الحقائق المرة :

تحت عنوان حقائق مرة، عقدت المذكرة مقدمة من سطرين، أخبرت فيهما بأنها ستعرض على النفوس الأصيلة الحقيقة الصريحة العارية، راجية أن يكون عاهل البلاد من ذوي النفوس الأصيلة، هكذا بوقاحة ضدا عن كل الآيات والأحاديث، جاعلة من باقي الأمة حصب جهنم ما لم يتوبوا إلى الله، ثم تخلص إلى القول عن وقوف الإمامين الراحل والحالي أمام رب العزة يسألهما عن السور المضروب بين شعب مستضعف، وحفنة من الانتهازيين المتملقين، من الذين بناه ومن الذي رعاه ؟

فأين قوله تعالى : ﴿إن بعض الظن إثم﴾، وقوله جل من قائل : ﴿ولا تقف ماليس لك به علم﴾، وقوله وهو أصدق القائلين : ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى﴾. ألا يعتبر هذا تاليا على الله، وتطاولا على جلالته.

ونقرأ ما تحت العنوان متلهفين عن الحقائق المرة فلا نجد إلا اتهامات باطلة تكال للملك الراحل وأوصاف تقديحية للشعب المغربي دون استثناء حتى مريدي صاحب المذكرة التي تقول مثلا : «الكل يعلم باستثناء الشعب الأمي الذي أذهلته لقمةالعيش عما يدور في بلده!!».

أليست هذه فرية كبرى وتجني على الشعب المغربي الذي قاوم المحتل وقاوم الإلحاد، وقاوم التجزئة.الشعب الذي تضيق به رحاب المساجد كل جمعة، الشعب الذي تصنفه المذكرة وفق هواها، الشعب الذي وكلت أمره إلى شركة حاكمت البلاد على ضوء أرباحها والتي لم تقو المذكرة على تحديدها، مجرمة ملك البلاد بسبب ذلك الجهل بعدما نسبتها له، ومصنفة الشعب مع الدواب لأنه لايهمه إلا البحث عن لقمة العيش بعدما وصفته في البداية بحب التصفيق والانخداع بالمظاهر.

هل المغرب بهذا الصغر وهذا الضعف بحيث استطاعت شركة أن تهيمن عليه وتحتكره، وهو الذي قاتل في مطلع القرن دولتين عاتيتين وألحق بعض سكانه هزيمة قاسية بالمحتلين في أنوال.

لقد بحثنا في المذكرة عن الحقائق الموعودة فلم نجد إلا حديثا عن أرباح شركة أونا، بينما هناك العديد من الشركات المربحة العاملة في البلاد، لم تذكرها المذكرة، فهل يعني أن ذلك يدخل ضمن المنافسة بين الشركات كما هو معلوم في الدول التي لجأت إلى مخاطبتها المذكرة ؟ هل هو إنذار إلى باقي الشركات من أجل الحصول على مغنم ؟ والهيمنة على السوق ؟ وهل ما قيل في الشركة يعتبر ضمن الدراسات الاقتصادية ؟ وهل الربط بينها وبين الملك الراحل يدخل في إطار البحث عن الحقيقة ؟ تقول المذكرة : «من يجهل من المثقفين المطالعين للصحافة الأجنبية أن الأونا ONA تمثل قسطاها ما من الثروة الحسنية.. كان المغرب بأكمله ملكا للوحش المقدس أونا أي الملك. واليوم تنتقل هذه الثروات المكدسة طيلة أربعة عقود إلى الورثة الذين سيضيق عليهم الخناق يوم أن يسأم الشعب المستنزف من الهمس ويحطم جدار الصمت مطالبا الأحياء بحسابات الأموات ويومها سيكون محمد السادس على رأس المطلوبين.

كانت أونا رأس حربة الممتلكات الحسنية المقدرة بملايير الدولارات لم يفلت أي قطاع من قبضة الجشع الملكي، كانت الأرباح الخيالية من المداخيل والأموال الملكية اتخذت الغرب لها مستقرا، وحين أستبد جنون العظمة بالفلاح المسكين تاق إلى بناء واحد من أضخم وأضخم المساجد في العالم».

أين الحقيقة في هذا الكلام الإنشائي الحاقد الذي تبرأ من الفضيلة والأخلاق ؟

كيف يقول بأن الأونا تمثل قسطا فقط من الثروة الملكية وفي نفس الوقت والسطر تقول بأنها بأكملها ملكا للملك !! ثم من قال للكاتب أن ثروة «أونا» مكدسة ! لو سأل عن أسهمها في البرصة لعلم أنها عاملة وليست جامدة، وعلم أنها من أهم المشغلين في البلاد. وأن إفلاسها مثلا يعني قطع رزق الكثير من عباد الله. وأن قطع الأرزاق كقطع الرقاب.

وهل يدخل تهديد الورثة بمطالبة الأحياء بحسابات الأموات في إطار الحقائق أم في إطار النصح أم في إطار النهي عن المنكر. أم في إطار التحريض على الفتنة ؟

في أي قاموس ندخل العبارات :

الوحش المقدس.

سيضيق عليهم الخناق.

يسأم الشعب المستنزف من الهمس.

يحطم جدار الصمت.

على رأس المطلوبين.

الجشع الملكي.

الفلاح المسكين.

هل في قاموس الفقهاء ؟ أم المحدثين أم المتصوفية ؟ أم الشيوعيين أم الإمبرياليين أم الليبراليين أو الانقلابيين ؟ أم في قاموس الذين في قلوبهم مرض أذكاه وفاء الشعب الغربي للملك الراحل فخرج عن بكرة أبيه يبكيه ويشيع جنازته، والتفاف هذا الشعب قاطبة حول وارث سره وخليفته من بعده جلالة الملك محمد السادس أيده الله ونصره.

عناوين تضليلية، ومرجعية تحريضية :

ترى لماذا لم تتحدث المذكرة عن تاريخ تأسيس شركة «أونا» وملاكيها ومقدار رأسمالها ومجالات استثمارها مع العلم أن الأرقام موجودة وممكن معرفتها لأنها ليست من الأسرار، ولماذا لم تقارن بباقي الشركات الأخرى المتواجدة عبر التراب المغربي؟ وهل كان يحتاج الملك الراحل لهذه الشركة كي يملأ وقته وينهك جهده وفكره ما دام شعبه كما تقول المذكرة لاهيا في جمع القوت ؟ إنها إهانة للشعب المغربي قبل أن تكون موجهة لغيره.

ثم كيف يحاسب ورثة على مال انتقل إليهم بالإرث ؟ وهل في الشريعة ما يقول بأن يحاسب الأحياء بأعمال الأموات ؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾.

ثم لماذا سكت صاحب المذكرة عن علاقة بناء مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء بشركة أونا، وسيطرتها على المقدرات الاقتصادية في زمن البناء أو بعده مباشرة على الأقل، ألا يعتبر هذا هذيانا وسوداوية أرادت ارتداء لباس النصيحة وصاغت لها عناوين باعدت بينها وبين مطلوبها فكان العنوان في واد وما تحته في واد ناهيك عن اغترافه من قاموس حاقد كما في :

الحذائق الشيطانية.

جنازة رجل.

موعظة وعبرة.

تفاؤل كبير وتحديات أكبر.

القطيعة المرجوة.

تغيير عميق.

عقبات.

سبعة عناوين تضم أكثر من نصف المذكرة كلها مخصصة للملك الراحل الحسن الثاني طيب الله ثراه، تحاكم ما تراه يتناسب مع الإدانة التي تريد أن تدين بها عهده من خلالها إفكا وبهتانا.، موجهة الخطاب لخلفه بالواضح قائلة : «فلتخاطب ولي العهد، الذي أصبح فجأة ملكا بعد رحيل أبيه العبد المذنب خطاب الحكمة والعبرة، لتتحدث عن الأمس والغد، عن الخلود بعد الموت، لننظر هل له من الهمة ما يؤهله لأن يكون بانيا لعهد جديد أم أنه مجرد ابن لأبيه ؟ ظل عابر للتاريخ شخصية انتقالية ؟

لقد تناسى صاحب المذكرة قاعدة أساسية لنظام الحكم في المغرب أنه ملكية وراثية، وأن الحكم آيل لولي العهد، كما تناسى أن الأمر لله وهو الذي يرفع من يشاء ويخفظ من يشاء، وأن ما يريد من الآخرين تطبيقه عليه أن يلتزم به هو.

لننظر في خطاب الحكمة والعبرة المفترى عليها ماذا جاء فيه :

1 - جنازة رجل :

استعرض فيها الموعظة التي تقدمها الموت وكيف أن الحسن الثاني المسكين ! كان يحلو له أن يحدث ضيفه عن الدرس الكبير الذي تلقاه أمام جثمان أبيه رحمه الله، ثم يجتهد بعد ذلك في نسيانه...» أليس هذا وحده كاف لتزكية العاهل الراحل ؟

فهل هذا خطاب الحكمة والعبرة ؟ أمن الحكمة توجيه النصيحة لميت أم أن المقصود هو الحي ؟ أم هو التطلع لشيء آخر ؟

2 - موعظة وعبرة :

«إن الحسن الثاني الذي رفع الشعار الثلاثي الله الوطن الملك أصبح مكفنا داخل تابوت مذهب «فهل التابوت حقا من ذهب ؟».

إن الشعار لم يصنعه جلالة الملك الحسن الثاني ولو أن صاحب المذكرة راجع أبسط كتب التاريخ لعلم الأمر، كما أن التابوت لو سأل أبسط مريديه لأخبره بأنه ليس من ذهب ولا فضة، فأين العدل وأين

الحق، وأين الصدق في القول ؟

لقد اجتهد صاحب المذكرة بأن يجمع بين الملك الراحل والملك الجديد في مزاوجة الهدف من ورائها كما هو واضح إدانتهما معا. لذلك تطالب المذكرة من الملك الجديد أن يختار بين طريقين :

– إما أن يخلص لعرف عفى عليه الزمن فيتبع خطوات إسلامية»، انظر كيف انتقل من قضية خاصة هي طريقة البيعة، إلى قضية عامة هي : «وأما أن يعقد العزم عن التكفير عن الجرائم التي كان أحد شهودها».

فالزمن لم يعد له وجود في المذكرة، والمدة التي شهدها المطالب بالاختيار لا ضوابط لها، إنه شاهد على كل ما وقع في عهد أسلافه من الملوك، وهو مطالب بالتكفير عنهم، فهل هذا مقبول عقلا وشرعا ؟ ثم كيف سيكون ذلك التكفير ؟ وما مرجعيته ؟ أهو الدين أم الأهواء ؟

3 – **تفاؤل كبير وتحديات أكبر:**

بالرغم من المذكرة أقرت بأن الملك الشاب : «كسب الجولة الأولى في معركته مع امبراطورية الشرحين طرد الوزير المكلف بكل جرائم الحسن، وكيله في عملياته الخسيسة» ثم تتدارك المذكرة وتقول «لم يكن الوزير سوى شخص مسكين منفذ كبش فداء... فمادام مشروع المجتمع المحدد بوضوح المعبي، للشعب كل الشعب غائبا فلا أمل في الإفلات من طوفان يوشك أن يحل «فلماذا إذن هذه المذكرة؟؟!».

4 – **القطيعة المرجوة :**

فما هو المطلوب يا ترى ؟

تقول المذكرة : «ستتوارى ظلال مراكز القوة من الساحة ليحل محلها جلا وزة يخدمون العرش كما خدمه الوزير الطريد، لا أمل لملوك الحكم المطلق في الانعتاق من قبضة الشيطان إلا بالتمسك بحبل الله.. فلا نطمح في أن تنجح إشارات صغيرة في تجفيف مانه الراكد وتفريغ وحله العفن...» ألا يعتبر هذا رجما بالغيب؟؟ أين الحكمة والموعظة ؟ وأين الإيمان والإحسان ؟

5 – **تغيير عميق :**

تقول المذكرة : «يبدو أن العاهل الشاب ينتمي إلى الطينة التي يأرق جفنها لتعاسة الفقراء، هل يستطيع الملك الطيب الجواد أن يتوغل في هذا الطريق المضيء ؟ هل هو مقتنع به ؟؟ بهذا هذا التشكيك التوليدي يخلص الكاتب لغرضه فيقول : – الصياغة معادلة الوضع المخزني لابد من الاستناد إلى معطيين اثنين :

1 – الدين الخارجي.. عاهة مغرب حكام الجبر.

2 – تركة الملك الشاب والأمراء والأميرات في شركة الرجل الهالك.

وتعطى الحل كالتالي : لنقرن المعطيين حتى تتبدى لنا بدهية الحل الجذري لمشكلة الفقر الذي يقض مضجع المغاربة. أن تخصيص هذه الثروة الهائلة لتسديد هذا الدين.

ودون أن تنتظر المذكرة نتائج الفصل المقترح تقول :

حل صعب للغاية فالعالم الذي نعيش فيه ليس مدينة فاضلة، ستتوجس الهيئات المالية الكبرى وشركات الإيداع من عكس مشروع ما يقول في منهاجه ويطبقه على مريديه سيهدد مصالحها ولن تلبث أن تقوم مطالبة بالإفصاح عن الرقم الدقيق أو التقريبي لمبلغ التركة، أي أن صاحب المذكرة لا يعرف ومع ذلك يعتبر تحت عنوان : «المفاهيم الجديدة بأنه نطق بالكلمة السحرية بالكلمة المفتاح لكل المغاليق تصفية ملف الدين بالثروة الملكية التي يرى أن اللسان يعجز عن عدها وإن كانت غير معروفة، وانتهاج مسطرة الديمقراطية في حق الشعب كما يقول في اختيار حاكمه بكل حرية للخروج من ظلمة الحكم المطلق.

ظهر السبب ولا داعي للعجب :

تقول المذكرة :

«لقد طال تهميشنا من الساحة السياسية فلنا الحق إذن في التحفظ على إمكانية أن يكفر الملك الشاب عما سلف في حقنا لكننا انسجاما مع حكمة الإسلام التي تقبل التدرج في التوبة والإنابة لانستعجل، وسنظل ثابتين على مبدإ الافتراح الرصين من موقع القوة الهادئة التي تقترح وتدعو.

فليس هناك أمر بمعروف ولا نهي على منكر ولا حكمة ولا إرشاد، وإنما هناك إثارة انتباه إلى طول تهميش الجماعة عن الساحة السياسة وإن كان مرشدها يقول بأنها ستصل إلى السلطان بالزحف وليس بالمنح أو المشاركة في اليات تداول السلطة. كماأنها تحمل العاهل الجديد ما سلف ارتكابه في حق الجماعة ومرشدها مهددة إياه بأنها ستبقى هادئة لا عن ضعف وإنما عن حكمة.

فهناك إذن مطالب مقدمة إلى أمير المؤمنين لكن عن طريق السفارات الأجنبية وبلغة أجنبية، نوع من الحماية واستقواء بالعدو على ولي الأمر، أي الولاء للكافر ضد المومنين ضد أعلى قوله تعالى : ﴿**يأيها الذين امنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزؤا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء**﴾ المائدة الآية : 578 وقوله عز من قائل : ﴿**لايتخذ المومنون الكافرين أولياء من دون المومنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير**﴾ آل عمران الآية : 28.

إنها مطالب مشروعة لكن جاءت في غير سياقها، وما نضن أن المذكرة جاءت فقط لتقول بهذه المطالب فقط والتي كانت تكفيها أقل من صفحة أو أكثر دون سب وتحريض وتشكيك وإهانات مست الشعب والعرش وما يربطهما من ولاء ومحبة وتقديس مبني على الكتاب والسنة وما أجمع عليه السلف الصالح.

لقد أثرت المذكرة خاصة الفصول السابقة أن تغتاب كما تقول: «رجل رحل فانطلقت ألسنة السوء. تنسب إليه ثروات وهمية» وتشكك في نجاح ملك شاب وتطالبه بتحقيق ما تفرضه الجماعة فيما لو أتيح لها الحكم.

يقول مرشد الجماعة : سنجد أنفسنا في فترة الانتقال مضطرين للتدرج في إحلال المضاربة الإسلامية محل الاقتراض الربوي فترة الانتقال بمثابة زمن الغيش يختلط فيها حلال نطالبه بحرام نحن مضطرون لأكله» ص : 114 الجماعة.

هذا التدرج الذي تطيقه الجماعة ترفضه من الملك الشاب الذي تريد منه بجرة قلم إلغاء الدين الخارجي والقضاء على البطالة، ودمقرطة الشعب، وهذا مخالف لما تربى عليه مريدوا شيخ الجماعة الذي قال : – لن تكون دولة إسلامية ولا خلافة إسلامية ولا جهاد إسلامي إن لم تحدث في إرادة جند الله وفكرهم وقلبهم وجوارحهم نقلة الهوية والشخصية والسلوك ص : 18، الجماعة.

وعليه فمهما فعل الملك الشاب من إصلاحات فإنه لن يحقق مبتغى صاحب المذكرة الذي يرى له وجهة أخرى في السلطان الذي يمكن أن ينزع الظلم الاجتماعي ويقيم العدل، كما يرى أن مقالة عمر بن عبد العزيز – ليقض كل قوم بها اجتمع عليه فقهاؤهم – لا تلزمه ولا تطبق على المغاربة، مع أن مرشد الجماعة يقول بها في ص : 89 حيث يقول : – ترك الخليفة الراشد أمر الاجتهاد لكل مصر، ولم ير في الخلاف بأسا، كذلك نحن ما دمنا في مراحل الزحف قبل الوحدة – وهذا يعني أن المذكرة أداة من أدوات الزحف، لذلك استخدمت اليات جديدة، ووجهت إلى الخارج لتطويق الداخل ونادت بعزة فرعون وهي تعلم أن العزة لله ولرسوله وللمومنين، لذلك فهي عندما أفاضت في نهش مسلم رحل إلى الدار الاخرة، لم يكن يهمها ما جاء في الكتاب والسنة من زجر على مثل ذلك، بقدر ما كان يهمها تأليب الشعب وتأليفه.

تقرن المذكرة حل مشاكل البلاد بالثروة الملكية فترى أن الاستثمار سينطلق والبنية التحتية ستتحسن، ويتراجع الفقر وتنتهي البطالة ويقضي على الرشوة والفساد الإداري وتخلق السياسة والإدارة والمجتمع وتدخل عهد الديموقراطية وإنهاء عهد الحكم المتجبر، وهكذا ولا في الأحلام يتحول المغرب بين عشية وضحاها، فقط بإلغاء الدين الخارجي، أية مدينة فاضلة هذه وأي سحر هذا الذي سيغير النفوس والعقول والعلامات ورحم الله شيخ الجماعة وهو حي على قوله في كتاب محنة العقل المسلم : لاخلاص لنا من أوهام السياسة والحداثة والعقلنة وإعلانات حقوق الإنسان ما لم نتبين بالفحص المعمق أي إنسان هو الإنسان، وأي حق هو الحق لدى هذا المولود وذاك، خرج العقل المسلم من المسجد إلى الساحة ودخلت الساحة في العقل الآخر دخولا متمكنا، واحتضن الوحي الإنسان المسلم وكيف آلة العقل المعاشي وصبغه بصبغة الله – ص : 16 و 17 فكيف انقلب هذا المفكر الداعية إلى القول بأن العقل الغربي هو المرجعية لحل مشاكل المغرب هذا العقل الذي لايستثمر الا لربح ولا يعطي إلا لتأكده أنه سيأخذ بربح هذا العقل الذي يومن أن جنته يجب أن تكون حاضرة في دنياه وإنه لا علاقة له بالثواب الأخروي، إنه العقل الذي يومن بإزاحة من يرى أنه عقبة أمام مصالحه، فالحق لديه ما واقف مصالحه والأدلة كثيرة، فكيف انزلق صاحب المذكرة لهذا الدرك الأسفل من التبعية للاخر الذي لم يرقب في المسلمين إلا ولا ذمة ؟

مذكرة كلام لبلوغ المرام، وإصدار أحكام لا يقرها الإسلام ؟

تحدث صاحب المذكرة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحث عن الحكمة والعبرة، ولكنه لم يأمر بمعروف ولا نهى عن منكر لأنه جانب الحكمة ولم يعتبر لا بمركزه ولا بسنه ولا بتصريف الله لملكوته، ولا ما قال الله ورسوله.

قال الإمام النووي فيما أورده الإمام القسطلاني في كتابه إرشاد الساري : إن من مات فألهم الله الناس عليه الثناء بخير، كان دليلا على أنه من أهل الجنة سواء أفعاله تقتضي ذلك أم لا، فإن الأعمال داخلة تحت المشيئة، وهذا الإلهام يستدل به على تعيينا، وبهذا تظهر فائدةالثناء اهـ. ص : 458.

وقال (ص) : «لا يرى أحد من أخيه عورة فيسترها عليه إلا أدخله الله الجنة» وقال أيضا : (لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة) وقال أيضا : (كل معروف **صدقة والدال على الخير كفاعله) فأين نضع المذكرة التي تفضح الناس وتسيء للمسلمين وتبرز عورات البلاد، بل وتعطي المصداقية لأعداء الإسلام في دعواهم الباطلة قال رسول الله (ص) : (إن أحبكم إلى** الله أحسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون، وأن أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة الملتمسون العثرات المفرقون بين الإخوان) وقال عليه السلام : (من كف غضبه كف الله عنه عذابه، ومن خزن لسانه ستر الله عورته، ومن اعتذر إلى الله قبل عذره).

هذا هو المنهاج النبوي الذي يطبق على ضوئه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأين هي المذكرة وما جاء بها من وعد ووعيد وشتم وتسفيه وشك ولمز وغمز من هذه التوجيهات النيرة لسيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصدق الله العظيم الذي قال: ﴿إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾.

ادريس كرم

الرد المبين على مذكرة ياسين

مدخل لقراءة موضوعية في شرعية المذكرة ودلالتها اللغوية والمعرفية

بقلم الحسن بلا(1)

نشرت جريدة المستقل في عددها 308 ليوم 3 فبراير المنصرم نص المذكرة الكامل للأستاذ عبد السلام ياسين شيخ جماعة العدل والإحسان تحت عنوان "إلى من يهمه الأمر" والموجهة أصلا إلى ولي الأمر. ورغم أن المذكرة تطالعنا منذ القراءات الأولية بانزياحاتها الخطابية، التي تفسر انحراف النص عن تحديد أسس الخطاب. وما تستوجبه هذه الأسس من مرسل ومرسل إليه ووحدة موضوع وتحديد أفكار. وذلك لتسبح في شطح صوفي بعيد عن النقل الذي يبرز في النصوص الدينية من قرآن كريم وسنة نبوية. بعيد اعن العقل الذي يتأسس عنه الاجتهاد الفقهي واستنباط الأحكام ومعرفة منطلقاتها وحدودها.

وتقدم المذكرة نفسها كحقل لتضخمات الأنا، ترتع فيها الأساليب الفضفاضة، والمهاترات الفارغة التي تشبه دردشات اليافعين والمراهقين على صفحات الأنترنيت، والقابلة للذوبان بين الفينة والأخرى.

يظهر الإنزياح الدلالي السيميائي بشكل جلي وواضح في المذكرة، إذ يعمد كاتبها إلى التأرجح بين التخصيص والتعميم مما يفقدها أبسط تجليات الحوار، ومظاهر آداب النقاش مبتعدة في ذلك عن أخلاق النصيحة كما يحددها الشرع والعرف والتقليد، وعن التربية والذوق السليم الإسلامي الذي يتوجب استعماله أثناء مخاطبة أولي الأمر. ورغم أن صاحب المذكرة يريد أن يخفي هذه العيوب وراء الكلمات الطنانة، والأساليب المضخمة والكلام المطبل فإن ما سبق أن أشرنا له من عيوب يظل سافرا جليا بالمذكرة.

والحق أن هذه العيوب تزيد من تيسير قراءة المذكرة بشكل موضوعي، يحتم وضع كلماتها وجملها وفقراتها الثمانية عشر وملحوظتها الفاضحة، على محك كتاب الله ورسوله ﷺ من جهة. ومناقشتها من الوجهة الموضوعية والمعرفية واللغوية من جهة ثانية.

أ ـ الإطار العام للمذكرة : أزمة الجماعة وأزمة الخطاب :

يقدم نص المذكرة نفسه كمنتوج سياسي فكري. ويعطي الانطباع منذ القراءة الأولى أنه خارج عن التغييرات السياسية والاقتصادية والسوسيو-ثقافية التي بدأ يعرفها مجتمعنا المغربي منذ أواسط التسعينيات من القرن المنصرف وهي بذلك تمارس انزياحا فكريا وثقافيا، يضعها مباشرة في خانات الشعرية والخيالات الصوفية والتجليات وإرسال الأحكام بشكل أجوف، يفتقد إلى منطلقات واقعية وبدائل واضحة المعالم. وذلك نتيجة أسباب موضوعية وذاتية يمكن ملامستها في النقاط الآتية :

1 ـ الأسباب الموضوعية : قراءة في الظرف العام الوطني :

إن الأسباب الموضوعية التي تبرز من خلال القراءات الأولية للظروف العامة التي تحيط بجماعة العدل والإحسان، والتي نجملها في أربع نقاط.

أولا : تحقيق مبدأ التناوب السياسي وارتقاء المعارضة السياسية السابقة لتسيير الحكم، وحصولها على الأغلبية في الغرفة التشريعية الوطنية. كسابقة بارزة في الساحة السياسية التاريخية بالمغرب خاصة والعالم العربي عامة.

ثانيا : انبثاق المفهوم الجديد للسلطة، كأحد أهم الرموز الواضحة التي تدشن العهد المحمدي بالبلاد، وضمان التحديث في الشكل العلائقي الذي يربط المواطن بالسلطة، وتموقع هذه الأخيرة بشكل أحادي ومنضبط ومتوازي مع باقي السلط (السلطة القضائية والسلطة التشريعية). ينم على بداية القطيعة المنهجية بين المغرب التقليدي والمغرب الحديث، الساعي نحو الحداثة وتمثل روح العصر على جميع المستويات بدءا من إحقاق الديموقراطية الكلية وانتهاءا بمحاربة كل أشكال الدجل والتدجيل والتطرف السياسي والثقافي.

ثالثا : الانتعاش الإيجابي الذي أصبح يعرفه المضمار الحقوقي والإعلامي والجمعوي بالساحة الوطنية، والدعوة إلى كشف الحقائق وإعادة إنتاج التصورات والأعمال السابقة إيجابية وسلبية، اعتمادا على مصداقية البحث ونزاهة التحليل. واستنادا على النزوع نحو العلمية في المنهج والمعرفة والرؤية.

رابعا : التطور الملحوظ الذي عرفه المجتمع المغربي في العقدين الأخيرين والمتمثل في مجموعة من الإصلاحات الدستورية (دستور 1996) والقانونية والاقتصادية (تشجيع المبادرة الحرة) والتربوية التعليمية (ميثاق التربية والتكوين). والتفاعل التلقائي لمجموعة من هيئات وجمعيات المجتمع المدني في انكبابها على دراسة حول مجموعة من الأخطار التي تهدد التنمية الوطنية (الفقر ـ الأمية ـ الرشوة ـ الشطط في استعمال السلطة ـ الاهتمام بالمرأة من خلال الخطة الوطنية لإدماج المرأة...) وذلك بتنسيق كلي أو جزئي مع حكومة التناوب. أو ببادرة شخصية من طرف هذه الجمعيات والهيئات مشكورة.

والواقع أن هذه الأسباب الموضوعية وهذا الانتعاش الحقوقي الذي عرفته الساحة الوطنية استغل استغلالا سلبيا من طرف زعيم جماعة العدل والإحسان لتحبير مذكرته والتي سيتضح ترهلها وعتاقتها عندما نعرض إلى الأسباب الذاتية.

2 ـ الأسباب الذاتية : تحليل وضعية الجماعة مقارنة بالحركات الإسلامية الأخرى :

تبرز الأسباب الذاتية الكامنة وراء إصدار مذكرة «إلى من يهمه الأمر» في النقاط الآتية التي سنعمد من خلالها إلى قراءة وتحليل وضعية الحركات الإسلامية خصوصا والهيئات السياسية المغربية عموما :

أولا : استغلال جماعة العدل والإحسان صراعها مع النظام، واللعب على أوراق البطالة والفقر اللذين يعاني منهما مجموعة من فئات المجتمع المغربي خاصة الشباب الذي تحاول استقطابه بشكل لا يتوافق قطعا مع تطلعاته نحو الحداثة من جهة أو نحو أفكار الاعتدال الديني والبحث عن المكان المشرف للدين والفكر الإسلامي داخل منظومة العولمة وأمواجها التي تسود العالم.

ثانيا : تتزامن وفاة أمير المؤمنين الحسن الثاني رحمه الله، مع بداية مرحلة الانتشار عند الجماعة. ومع جذوة تخميناتها العبثية في وقوع ما يمكن أن نسميه تجاوزا إن لم نقل تحقيقا «بالنهضة الصوفية».

وهو الشيء الذي كذبه واقع الحال، حينما اعترى نفوس الشباب المغربي الأسى العارم غداة وفاة

موحد الأمة ومحرر الصحراء باني السدود، مهندس التناوب، العالم المجاهد، مولانا الحسن الثاني رحمه الله.

وهو أسى! أبرزته كل وسائل الإعلام الوطنية والدولية بل إن أحد الإخوة حدثني عن اهتزاز مشاعره وجيوش خواطره، عندما شاهد جحافل الشباب تتجه نحو محطة القطار بمراكش - المعقل الابتدائي لجماعة العدل والإحسان - وهي تريد التوجه للرباط وإلقاء آخر النظرت على الجثمان الطاهر قبل إيوائه الضريح المنور.

ثم إن البيعة الحضارية والمسؤولة لأمير المؤمنين بن أمير المؤمنين سيدي محمد السادس. تلك البيعة التي أجهضت الحلم الصوفي لدى الجماعة ودفعت الأستاذ ياسين إلى إعادة ترتيب أوراقه من جديد، وإعادة النظر في مبادىء ولاية الفقيه وغيرها، والاستعداد قصد الدخول للمرحلة الجديدة بإصدار مذكرة الفظاظة وانعدام اللباقة.

ثالثا : غياب جماعة العدل والإحسان عن الساحة السياسية بالوطن، نتيجة فقدانها لأي مشروع سياسي اقتصادي سوسيو ثقافي يمكنها من الوقوف جنبا إلى جنب مع باقي الهيئات السياسية بالبلاد. في الوقت الذي يبرز فيه منافس قوي وعقلاني لها يتمثل في حزب العدالة والتنمية (حركة الإصلاح والتجديد) حاملا للواء الحركات الإسلامية داخل مؤسسة الدولة والمتفاعل مع المستجدات الوطنية جزرا ومدا، تقلصا وانكماشا. مما جعل جماعة الأستاذ عبد السلام ياسين يخبو وهجها المزيف، وتنقص مصداقيتها المكذوبة وتنحصر أعداد أتباعها ومريديها «العاشقين للهتاف والتصفيق» على حد تعبيره.

رابعا : محاولة نفض الغبار العالق بالجماعة (على مستوى التفكير والتنظير وعلى مستوى طرح البدائل والمشاريع) كي يدفع شيخها بالجماعة إلى الواجهة السياسية والإعلامية، خاصة بعد التفاعل الذي عرفته حركة التوحيد والإصلاح والمساهمة الفعالة والفعلية مع المستجدات الوطنية الأخيرة على سبيل المثال (محاربة الفقر، الخطة الوطنية لإدماج المرأة...).

عندما يتعلق الأمر بالتحليل الموضوعي لثنايا الواقع.

يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في «المنقذ من الضلال» واصفا حيثيات منهج الصوفيين : «... ومن أول الطريقة تبتدىء المكاشفات والمشاهدات حتى أنهم (يقصد الصوفية) في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء. ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد. ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها النطق، فلا يحاول معبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطإ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه». وإذا كان الغزالي يؤسس بمثل هذا القول نمطية الصوفية منذ القرن الرابع وهو ياسين نفسه منذ بدأ مساره الفكري الإسلاموي في خانة التصوف. مما يجعلنا ملزمين إلى استحضار المنهج الصوفي، وتمثل مقوماته خاصة من هو في الثقافة المنهجية والتراتبيات السكولاتية التي عرفها عصره، بدءا من معانقته للفقه الشافعي وأصوله ولعلم الكلام الأشعري ومرورا باطلاعه على فكر الباطنية الإسماعيلية والعقلانية الفلسفية. فإن الأستاذ عبد السلام ياسين يسقط من خلال مذكراته في الخطأ الصريح الذي لا مفر من الاحتراز عنه إلا باحترام المقدسات الوطنية والدينية. كما يعزف على نقاط الحاجة لدى القراء ومن خلالهم الشعب المغربي، بشكل «بودشيشي» ومنحرف. وللزيادة في التوسع بهذا المجال لابد من طرح المسائل الآتية :

1 - المسألة المنهجية :

يلتجأ الأستاذ عبد السلام ياسين إلى اللغة الفرنسية في تحرير أوراق مذكرته، مدعيا قابلية هذه اللغة عند «السادة والسيادات المفرنكين» متخطيا القراء المغاربة نحو الهيئات الديبلوماسية، والحقيقة أنه يهرب من الاستدلالات الشرعية الفقهية التي تنقصه، والتي سوف يجدها تشجب الطعن في ولي أمر أمة المسلمين. خاصة وأن كل المصادر الإسلامية تتفق في ذلك. وحتى يقرر أفكاره الذوقية وتجلياته الصوفية تجاه فقهاء المسلمين الداعين إلى طاعة ولي الأمر، والمستمدين لها من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

والواقع أن التكوين المعرفي للأستاذ عبد السلام ياسين يجعله في منأى عن استنباط الأحكام الشرعية واستقصاء الأمور الفقهية التي يتطلب الأمر فيها المعرفة الدقيقة بالقرآن الكريم وبآياته وأحكامه، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، إضافة إلى المعرفة الكاملة بمصادر التشريع الإسلامي المتمثلة في القرآن والسنة والإجماع والقياس، وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وتركيب وإعراب وتحويل وبيان وبديع وأسلوبية ودلالية وما إلى ذلك. الشيء الذي يجعله يعمد إلى آفاق التخييل وإرسال الأحكام الجزافية المنزاحة (بمفهوم اللسانيات المعاصرة). والمرتكزة على الشعرية والوصف الجزافي وتركيب النعوت والتلاعب بالأضداد وتضخيم

II - القراءة الشرعية للمذكرة فكر عبد السلام ياسين تحت محك القرآن والسنة :

يخندق الأستاذ عبد السلام

الألفاظ، بشكل يوطد ملامح المعرفة الذوقية لديه والمستندة قصرا على الوجد والشطح و«الجدبة» في بيان سحري منمق.

2 – المسألة الاستدلالية :

تغيب الاستدلالات الشرعية – الدينية عن مذكرات الأستاذ عبد السلام ياسين بشكل فجائي. لتبقى عبارته متسترة وخجولة على المستوى التركيبي وراء الكنايات – LES METONY MIES والاستعارات LES METAPHORES. ويمكننا أن نلاحظ منذ القراءات الأولية للمذكرة خلوها من الآيات القرآنية، أو الأحاديث النبوية، أو الآراء الفقهية الأصولية، والتي كان من شأنها أن تعمل على توطيد العلاقات الاستدلالية والبرهانية – إن كانت ثمة علاقة استدلالية أو برهانية – والتي تمثل تقليديا جزءا من البلاغة العربية خاصة وحتى الفرنسية في إطار ما يعرف بالعلاقات السياقية Les rela-tions singhagmatiques داخل النص على حد تعبير مدرسة دوسوسير. وتفتقد المذكرة إلى جانب ذلك الاتساق المعجمي. والذي من المفروض أن تحيل عليه العلاقات السياقية. وتعمد المقومات البيانية إلى تعويض النقص الحاصل في مجال الاستدلال، ولتحتل **النصيب الأكبر على طول الصفحات الستة عشر التي تشملها المذكرة، في نفاق فاضح وتملق واضح للعاهل الشابت، أمير المؤمنين محمد السادس. وفي مساس وتشهير بالراحل المغفور له** جلالة الملك الحسن الثاني، وبكيفية أدبية مثلى Litterarite Ideale وفي سحر بياني يوازي السحر الذي رآه على حد زعمه في **«العربة التليدة والأحصنة ذات الحوافر المذهبة» وكذلك في «فجر سحري يعلن عن مقدم ربيع طال ترقبه».**

والواقع أنه لمن البيان سحرا!! وقد أحسن الأستاذ عبد السلام ياسين استعمال هذا السحر البياني في مذكرته... ولكن هيهات أن يصمد عندما نعرض للمسألة الشرعية.

3 – المسألة الشرعية :

ذكر ابن عبد البر عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «إن من البيان لسحرا».

والبيان هو البلاغة والفصاحة. قال صعصعة بن صوحان : «صدق نبي الله، فإن الرجل يكون عليه الحق، وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق، فيسحر القوم ببيانه فيذهب الحق» وحد القول هنا أن البيان شقين :

شق بيان يوضح الحق ويقرره ويبطل الباطل ويبينه. وهذا هو الممدوح، كحال بيان الرسل وأتابعهم من أئمة المسلمين.

وبيان شيطاني يسعى نحو الفرقة وإشعال الفتنة وتحريض المبايعين لخليفة المسلمين على نقض بيعتهم والنبش في كرامة وشخصية ملوك المسلمين رضي الله عنهم أجمعين.

ذكر الشيخ عبد الرحمان بن حسن في مصنفه فتح المجيد : «إن هذا البيان الشيطاني يقع من تآلف روح الشيطان القرين مع روح قرينه الإنسان الخبيث، فيتناجيان ويتوادان. فيخبر شيطان الإنس بما أوحى له شيطان الجن... فيظن الجهلة والمغفلون أن ذلك عن صلاح وتقوى وكرامات، وأنه بصلاحه قد كشف الحجاب عنه. وهذا من أضل الضلال ومن أعظم الخذلان وإن اعتقده وخدع به كثير ممن ينتسب إلى ظاهر العلم والصلاح. وكما قال تعالى : ﴿**ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم**﴾ صدق الله العظيم. وروى أحمد بن حنبل وأبو داوود رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها».

ذلك أن الغاية من البلاغة كما ذكر أبو هلال العسكري هو التبليغ والانتهاء المعنى في قلب السامع ليفهمه بعد توحيد الله تعالى ومعرفة عدله والتصديق بوعده ووعيده. وعلى لسان الإمام الطحاوي رضي الله عنه نقول للأستاذ ياسين :

إننا لا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة ما لم يأمرو بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة وأن ولاة أمورنا وأمور أبنائنا وأجدادنا من المولى إدريس الأول إلى المولى الحسن الثاني رضي الله عنهما كانوا على هذا النبراس، وأن هذا اعتقادنا ظاهرا وباطنا ونحن براء إلى الله من كل من خالف الذي ذكر (برفع الذال) وسعى نحو الوشاية والتزلف وحب الشهرة والحظوة.

ياسين أن يطلع على دينه، وأن يعرف أن في القرآن الكريم دينا وأحكاما، وأنه النبراس القويم الذي أخذ منه الصحابة واستقى منه التابعون علمهم وتشريعهم، وفي سنة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، من أقواله وأعماله لمعين الذي لا ينضب، وليعلم أن القرآن والسنة هما أساس الأحكام الفقهية، ومنهما يستمد المسلمون معاملاتهم وعباداتهم ومعالجة واقعهم وقضاياهم، وطاعة ولاة أمورهم لما في ذلك من صلاح لدينهم، ثم بعد ذلك الاجتهاد والقياس الذي يتأسس لزاما على القرآن الكريم والسنة النبوية ولا يزوغ عنهما.

ومن واجبي كمسلم أن أحيل الأستاذ على كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما خصوصا إلى قوله «ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك، وهديت فيه لرشدك أن ترجع الحق، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، الفهم الفهم في ما تجلجل في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة.

وإن يتوجه الأستاذ ياسين نحو الحق المبجل والشرع القويم فذاك خير له، فكيف يعقل أن نقبل ما يكيله من اتهامات للراحل وهو الذي وصفه في رسالة الإسلام أو الطوفان «... وأنا كنت ولاأزال أرجو أن يبعث الله لنا رجلا في إيمان عمر بن عبد العزيز وقوته وها أنا أرشح لهذا الأمر الجليل حفيد النبي الذكي الألمعي المؤمن الصوفي».

III – خلاصات عامة :

وإذ نقدم هذه الخلاصات العامة نرى من واجب الأستاذ عبد السلام كيف يعقل أن نترك الأحكام الشرعية ونقبل على الأحكام الذوقية الصوفية؟ كيف نقبل من مرشد جماعة العدل والإحسان مشروع رؤيته الجديدة في غياب إيمانه بأوضح الضوابط والثوابت التي تحدد علاقة العرش بالشعب شرعيا ودستوريا وأخلاقيا وعرفا؟

تلك هي الأسئلة التي تظل عالقة تنتظر رد الأستاذ!

(×) نائب برلماني
عضو اللجنة الوطنية
لجبهة القوى الديمقراطية
(الأحداث المغربية)
20 مارس 2000

المصادر والمراجع المعتمدة

ـ القرآن الكريم.
ـ الإمام الغزالي أبو حامد : «المنقذ من الضلال» ت د. جميل صليبا ود. كامل عياد دار الأندلس 1981.
ـ الإمام الجرجاني عبد القاهر : «أسرار البلاغة»، دار المعرفة ببيروت، لبنان، 1978.
ـ الإمام الجرجاني عبد القاهر : «دلائل الإعجاز»، دار المعرفة بيروت 1978.
ـ الإمام الزمخشري : محمود بن عمر : «الكشاف عن حقائق التأويل...» دار الفكر ط. 1، 1977 بيروت لبنان.
ـ ابن طباطبا محمد بن أحمد : «عيار الشعر» دار الكتب العلمية 1982 بيروت، لبنان.
ـ العسكري أبو هلال الحسن بن عد الله : «الصناعتين» ت. د. مفيد قميحة دار الكتب العلمية بيروت 1984.
ـ القرطاجني حازم أبو الحسن : «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» تحقيق د. محمد الحبيب بن الخوجة دار الغرب الإسلامي ط. 2، بيروت 1981.
ـ الإمام السيوطي جلال الدين : «تناسق الدرر في تناسب السور» : ت. د. عبد القادر أحم عطا دار الكتب العلمية بيروت ط. 1، 1986.

المراجع

ـ د. خطابي محمد : «لسانيات النص»، مدخل إلى انسجام الخطاب. ط 1. 1991 المركز الثقافي العربي. بيروت لبنان.
ـ آل الشيخ عبد الرحمان بن حسن : «فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد» : تحقيق محمد حامد الفقي أنصار السنة – لاهور باكستان دون تاريخ للطبع.
ـ د. قدري حافظ طوقان : «مقام العقل عن العرب» دار القدس. ط 1 بيروت بدون تاريخ.

على هامش مذكرة عبد السلام ياسين

خطاب خارج الزمن الديمقراطي

■ لا يمكن أن يجادل إثنان في كون المغرب بقيادة جلالة الملك محمد السادس، دخل عهدا جديدا بكل قيم الحداثة والديمقراطية وحقوق الإنسان، ومواصفات الدولة العصرية المؤسسة على مرجعية دستورية كأسمى قانون في البلاد منبثق من توافق وطني ومن عقد ديني وحضاري تاريخي.

والنقاش الذي تحاول مذكرة عبد السلام ياسين المعنونة «إلى من يهمه الأمر» إدخال المغرب فيه، نقاش لا يجد سندا لدى أية جهة من مكونات الشعب المغربي المعتزة بدينها الإسلامي وبقيمها الروحية والمتشبثة بمؤسساتها الدستورية وبعرشها وبملكها.

ويأتي تشبث المغاربة كافة سواء النخبة السياسية والفكرية أو مكونات المجتمع المدني الفاعل في الحياة الوطنية، بالملكية والشرعية الدينية لروابط البيعة، من كون المؤسسات كانت دائما وستظل، فوق المزايدات الشعبوية، والنقاشات الزائفة، لأنها كانت دائما مع الشعب في السراء والضراء، وفي جميع محنه لأنها منه وإليه.

ومؤسسة الملك التي يقدسها المغاربة بكل فئاتهم وعلى اختلاف مشاربهم السياسية والفكرية، يشهد التاريخ القديم أو المعاصر، على أنها كانت رمز الوحدة الترابية للبلاد وحامية عزة هذا الوطن وملته ودينه. ولن نذهب بعيدا في البحث عن الشهادات الحية، خير من امتزاج الملك والشعب في المقاومة ضد الاستعمار حتى نيل الاستقلال الذي اعتبره آنذاك جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، جهادا أصغر بالرغم من معاناة المنفى، ودعا حينها جلالته إلى الجهاد الأكبر، الذي واصله وارث سره آنذاك لمواجهة تحديات كبرى تنموية وديمقراطية وحداثية، نجح جلالة المغفور له الحسن الثاني في إقرارها من خلال جعل المغرب يتبوأ مكانة طليعية في منطقة المغرب العربي والعالم العربي والعالم الثالث، ويعتبر كمثال يحتذى في الأمن الداخلي والاستقرار السياسي الذي بدونه لا يمكن تحقيق استقرار اقتصادي، وتنمية تتأسس على دعم الاستثمار وجلبه من الخارج.

ويمكن الوقوف فقط على تجربة التناوب السياسي على الحكم الذي أرسى قواعده جلالة المغفور له الحسن الثاني، وما حققته للمغرب على الصعيدين الداخلي والخارجي، لتؤكد دور المؤسسة الملكية في ضمان الاستقرار وفي حماية الديمقراطية، وفي البحث المتجدد نحو تطويرها وفق مقومات العصر وإمكاناته.

إن الشعب المغربي مثلما قاوم الاستعمار وأكد خيبته، فإنه اليوم كما عاهد دائما، لا يمكنه إلا أن يصد كل متربص بمؤسساته الوطنية ذات المشروعية التاريخية، والتي يضعها الدستور الذي صادق عليه الشعب فوق كل نقاش، لأن محاولات حجب الرؤية عن الشعب المغربي، الذي يعيش اليوم تحت قيادة جلالة الملك الشاب محمد السادس فورة عطائه وفورة آماله من أجل تكريس الممارسات الديمقراطية وحقوق الإنسان، ومن أجل التغيير الاجتماعي والاقتصادي، لن تقف المذكرات ولا المزايدات الشعبوية في جعله على هامش قطار التنمية.

فمذكرة عبد السلام ياسين لا تبقي على أي شيء خارج انتقاداتها اللاذعة، فهي تحاول النيل من جميع المؤسسات، ومن عطاء المغرب عبر عقود، فلا شيء تحقق في نظرها منذ استقلال المغرب، وأن «البديل الحضاري والاجتماعي والسياسي» لبلادنا، تقدمه أفكار عبد السلام ياسين وجماعته.

وإن اللوحة السوداء القاتمة التي تحاول المذكرة التعبير عنها، من خلال ضرب إرث جلالة المغفور له الحسن الثاني طيب الله ثراه، لا تجد لها صدى لأن هذا الإرث ضخم ومهم جدا، وجلالة الملك محمد السادس والشعب المغربي، عازمان على استثماره في الاتجاه الذي يكرس مزيدا من الديمقراطية وحقوق الإنسان، ومزيدا من المكتسبات التنموية.

فجلالة الملك منذ اعتلائه عرش أسلافه المنعمين، وهو يشتغل بحماس وجدية في اتجاه الإصلاح والتحديث، وأن الشعب المغربي ملتف حوله ومتحمس لهذا المشروع الحضاري الكبير.

صحيح أن المغرب منخبط في العديد من المشاكل، لكن الشعب المغربي قادر على التغلب عليها، بمزيد من الالتفاف حول جلالته، ومساعدته على إنجاز مشروعه الكبير.

الميثاق الوطني
2000/4/2

تتمة ص: 15 .

في الثقافة والسياسة

نموذج «التوبة العمرية» بين الواقع والتاريخ

محمد يتيم

يمكن اعتبار «توبة الحاكم» مدخلا للإصلاح الشامل؟ ما هي الجدوى من تلك الدعوى خاصة أنه في ضوء تمكن الفساد في أعلى السلم وأسفله – لن تكون سوى صيحة في واد ونفخة في رماد باحتراف الاستناد؟؟!

** الملاحظة الثانية : تتعلق بكون الأستاذ ياسين واع تمام الوعي بمآل مثل هذا المقترح وصعوبة تنفيذه وهو أمر يشهد له إقراره بعدم التفاؤل وتأكيده على جسامة المهمة «وب» القبضة التي تخنق الحاضر وتحول الأمل في التقدم الحثيث إلى أضغاث أحلام «ويتمكن الفساد الإداري سواء في أعلى السلم السلطوي أو أسفله. ولعل المنطق الذي يتناسب مع هذا الإقرار هو الدعوة إلى توبة شاملة تمس النظام السياسي والاجتماعي والتربوي والأخلاقي والفردي والجماعي، وتطال القاعدة والقمة والموظف المخزني السامي وأسفل السلم السلطوي انطلاقا من التصور الإسلامي للمسؤولية وشموليتها الذي يقرره حديث رسول الله(ص): «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وللنصيحة وشمولتها الذي يقرره حديث رسول الله(ص): «الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله. قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم».

ولاشك أن الخطاب الذي يتناسب مع هذه الحالة هو الخطاب الإصلاحي الشمولي القائم على التدرج ومراعاة عنصر التراكم التاريخي ودوره فيما آلت إليه أوضاعنا الاجتماعية والسياسية والأخلاقية، وخطاب المشاركة والتدافع القائم أولا على المحافظة على مكتسبات الإسلام في وقت تتعرض فيه هذه الأخيرة لهجمة علمانية حادة والقائم ثانيا على توسيع دائرة هذه المكتسبات والتمكين لها، وتأمين القنوات التي تمكن من الإسهام في الأوراش الكبرى للإصلاح في المجالات التربوية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها وخطاب البلاغ المبين القائم على اللين والرفق والدفع بالتي هي أحسن خاصة في زمن تمكن فيها خصوم الإسلام من تشويه صورة الإسلام وبرعوا في تقديم الحركة الإسلام في صورة المتعطش للسلطة الساعي لإرباك الأنظمة السياسية التواق للانقلاب على الديمقراطية وبالبطش بالمخالفين، وغدا انقلابيو الأمس يبدون بمظهر الحريص على الاستقرار والمدافع عن المؤسسات بعد أن فشلت نظرياتهم الثورية وانتهت مغامراتهم الانقلابية إلى الطريق المسدود.

لا شيء في الواقع والتاريخ يدل على أن «توبة عمرية» من شأنها أن تحدث المستحيل وإن كنا لا ننكر ما يمكن أن يفتحه صلاح السلطان من إمكانات لإصلاح الأحوال إذا اقترن بالقرآن وينفي جوهر الإصلاح إصلاحا شاملا بالقرآن وتمكينا لمبادئه وأحكامه وأهله والمومنين به في الواقع بعد أن يكون قد نشأ في الأمة حد أدنى من القابلية للعمل بالإسلام والتحاكم إليه، وهو عمل من اختصاص الدعوة إلى الله المتوسلة بالحكمة والموعظة الحسنة والمتسلحة بالرفق والبلاغ المبين.

■

التجديد ع. 56 - 16/2/2000

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول إذا رأى بن محمد بن أبي بكر «لو كان لي من الأمر شيء لوليته الخلافة» ولو أراد أن يعهد عليه لفعل ولكنه كان يخشى بني أمية أهل الحل والعقد لما ذكرناه، فلا يقدر أن يحول الأمر عنهم لئلا تقع الفرقة».

وقد ذكر الدكتور عماد الدين خليل في كتابه «ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز أن عمر قدم حاول تحويل الخلافة عن بني أمية وأن وفاته لم تكن طبيعية وأنه ربما تكمن وراءها أيد أموية خشيت أن يخرج الأمر من بين أيديها.

فإذا كان ذلك هو مآل «التوبة العمرية» وفي ذلك الزمان الذي كان أحسن حالا بمقاييس الدين في حالنا، فهل الداخلي الذي كان سائدا آنذاك، وهو المنطق الذي أشار إليه ابن خلدون في محاولة منه – لتقديم فهم علمي اجتماعي للانتقال من طور الخلافة إلى الملك، لا إلى تبريره كما قد يظن البعض وفي ذلك يقول ابن خلدون : «ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستئثار الواحد به. ولم يكن لمعاوية أن يدفع عن نفسه وقومه، فهو أمر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها، واستشعرته بنو أمية ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحق من أتباعهم، فاعصوصبوا عليه واستماتوا دونه. ولو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالأمر لوقع في اختراق الكلمة التي كان جمعها وتأليفها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة.

الشيخ ياسين بين زعم «النصيحة» ووهم الزعامة

بقلم محمد الاخصاصي(1)

إن الحالة الاستثنائية لوضع الأستاذ عبد السلام ياسين، شيخ جماعة العدل والإحسان – وضع الإقامة الجبرية – من جهة، والحملة الإعلامية التي أطرت إعلان وتوزيع ونشر مذكرته : «مذكرة إلى من يهمه الأمر» من جهة أخرى، ليعطيان الانطباع بأن الأمر يتعلق بصرخة مصلح إسلامي نذر نفسه، في سياق المبدأ الإسلامي الراسخ : مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للإرشاد والتربية وجند شخصه لمحاربة أوضاع سياسية شاذة، أنتجت أوضاعا اقتصادية واجتماعية وثقافية، تجمع القوى السياسية على وخيم عواقبها وخطورة انعكاساتها على حاضر ومستقبل البلاد والعباد...

بيد أن النظرة الفاحصة والمتأنية لنص المذكرة من جانب، وإدراك الترابط الحاصل ما بين توجهاتها من جهة، وطبيعة الظرفية الوطنية القائمة، من جهة أخرى، من جانب ثان، وتحليل عناصر الاستراتيجية السياسية المؤطرة لأقوال الشيخ والموجهة لأفعال جماعته، من جانب ثالث، لتضع حدث «المذكرة» في إطاره الصحيح وتسائل القوى الحية بالبلاد، السياسية منها والاجتماعية، في موضوع الإدراك السليم لما يجب أن تكون عليه علاقة الديني بالسياسي في بلد مسلم كالمغرب وفي ظل نظام سياسي يكرس قانونه الأسمى، الدستور، ما بلوره التاريخ على مدى العصور، من إزدواجية المشروعية، الدينية والسياسية، للمؤسسة الملكية بالمغرب.

1 – ممارسة الالتباس ما بين الديني والسياسي في خطاب الشيخ:

يوظف الأستاذ ياسين مبدأي «التربية الإسلامية» والنصيحة في تأطير موقفه السياسي، لدرجة يومي، هذا التوظيف بالتطابق ويوحي بالتماثل ما بين مفهوم «النصيحة» الإسلامي وصميم موقفه السياسي. ومنهج المذكرة هذا ليس جديدا في مقاربةالشيخ، بل هو منهج يؤطر «دعوته الدينية – السياسية في جل كتاباته وخطاباته الأساسية («المنهاج النبوي». «الإسلام بين الدعوة والدولة»، «حوار مع الفضلاء الديمقراطيين» الخ...)

وفي غمرة هذه الممازجة الملتبسةما بين الديني والسياسي، يطلق الشيخ العنان، في مذكرته، لغرائز الغضب والضغينة وكوامن الحنق والتبرم بمكونات المشهد السياسي الوطني عموما، وبتجربة «وإمارة» المغفور له، جلالة الملك الحسن الثاني، خصوصا.

وإذا كان المجال لا يتسع هنا لمناقشة مبدأ وشروط وقواعد النصيحة في الإسلام، نصا وتراثا ونماذج، فإن زعم الشيخ، عفا الله عنه، بممارسته لواجب النصيحة، وهو يكتب ما كتب في مذكرته، سرعان ما يتبدد في ظل مضمون وأسلوب مرافعته السياسية.

فالمذكرة بنزعتها القدحية في شخص الملك الراحل وتحقيرها لأفعاله وأعماله جملة وتفصيلا، والمذكرة بتشكيكها في نوايا خلفه الشاب، جلالة الملك محمد السادس، واستخفافها بـ:«الإشارات» الواعدة التي دشن بها عهده، والمذكرة باستهانتها بمكونات المجتمع السياسي كافة وتشكيكها في سياق التحول الذي يطفح بآيات الخير والتفاؤل، إنما تبتعد كل الابتعاد، روحا وأسلوبا، عن دائرة الوعظ والإرشاد وتجافي كل المجافاة مبدأ فعل النصيحة، بأحكامها المقررة وشروطها المعلومة وآدابها المعروفة، وتزج بالشيخ في حلبة الممارسة السياسوية... ذلك أن النصيحة في مبدئها هي إعانة على الحق وتذكير به وتنبيه إليه في رفق واعتدال دونما شطط أو مغالات. وللداعي الناصح لذوي السلطان حدود لا تتجاوز «التعريف والوعظ» ولا تتعداهما إلى «الإذلال» والتشهير.

ثم إن مذكرة الشيخ ليست موجهة إلى «ولي الأمر» وحده، حتى تندرج في باب النصيحة لذوي السلطان، بل هي بالأساس خطاب سياسي موجه «إلى الصديق القارىء» وإلى «الأخت في العقيدة» أي إلى عموم الرأي العام المغربي، بل إلى الرأي العام الدولي، عبر اللغة التي كتبت بها ووسائل «الاتصال» التي اعتمدتها.

وهكذا، فإن الشيخ بتجاهله لقواعد وشروط ممارسة «النصيحة» وإمعانه في تطويع مبدئها، لتضحى مطية لخدمة أغراض سياسية واضحة المعالم، إنما زج بنفسه وبجماعته في وضع لا يحسدان عليه : وضع الإدانة والاستنكار من قبل أهل «الحل والعقد» في حظيرة المجتمع، ووضع الريبة والنفور وفقدان المصداقية من طرف القوى السياسية والاجتماعية المناضلة بالبلاد.

ويبدو أن سعي الأستاذ ياسين إلى احتلال موقع متميز ومتفرد على المسرح السياسي الوطني، في ظل العهد الجديد الذي تطبعه تحولات سياسية واجتماعية متسارعة، هو الذي يفسر إقدامه على اتخاذ هذا الموقف الشاذ بكل المقاييس الدينية والسياسية والمجتمعية.

2 – البحث عن موقع سياسي متميز :

I – وهكذا، فإن أحد التوجهات الأساسية التي ينطوي عليها نص المذكرة، ينصب على نفي مشروعية المؤسسة الملكية، بالاستناد إلى مرجعية «إسلامية» متضمنة.

وعلى الرغم من أن هذا النفي لا يتم بصيغة «فتوى» فقهية صريحة يمكن أن تؤسس لجدل فقهي – قانوني في الموضوع، على منوال أطروحة «ولاية الفقيه» الخمينية – فإن منازعة مشروعية المؤسسة الملكية تؤثث مع ذلك مرافعة الأستاذ عبد السلام ياسين في أكثر من مقطع من مقاطع المذكرة، ولعل أكثر فقرات النص تعبيرا عن هذه المنازعة ما ورد في مدار الصفحتين 12 و 13 (الترجمة العربية للنص) حين يكتب الشيخ على لسان الملك الراحل : «(...) وهكذا بحكم الدم الذي يجري في عروقي والإنجاز العظيم الذي حققته حين تفضلت على الناس ببروزي للوجود مولودا مقدسا، لي الحق في أن أتحكم في مصائر العباد وأن لا يكون خلاصهم إلا على يدي!!!»

وفي سبيل تسويغ وتبرير هذا الموقف المنازع المشروعية المؤسسة الملكية، يعمد الشيخ إلى توظيف محاجتين، ظاهرهما التناقض، وباطنهما التوافق.

أما المحاجة الأولى فهي التي تنصب على إدانة عهد الملك الراحل جملة وتفصيلا، دون قصد في القول ولا عدل في الحكم ص : 16–21، وهو موقف ينتصب على طرفي نقيض مع رسالة «الإسلام أو الطوفان» التي أذاعها الشيخ عام 1974 والتي يكيل فيها المديح لجلالة المغفور له، الحسن الثاني، ويفتي فيها بأهليته لقيادة الإسلام والمسلمين : «قم ياحبيبي، يا حفيد رسول الله إلى نصرة الله، ينصرك الله ويثبت أقدامك...»، يقول الشيخ.

أما المحاجة الثانية فهي التي تشيد بشخص الملك الشاب، محمد السادس، الذي أثارت مبادراته تفاؤلا شعبيا كبيرا، ولكنها ما تلبث أن تصب في بحر من الظنون والشكوك حول مستقبل أعماله ص : 22–24.

وهكذا، فإن المحاجتين رغم تناقض ظاهرهما، ترومان معا تبرير فحوى المنازعة الجذرية لمشروعية المؤسسة الملكية، ذلك أن منطق هذه المحاجة المزدوجة يسعى إلى ترسيخ فرضية سياسية قوامها أن عهدي الخلف والسلف وجهان لعملة واحدة.

ومما لا ريب فيه، فإن بيت القصيد في هذه المقاربة الراديكالية أن الشيخ عبد السلام ياسين يبدو حريصا على أن يتموقع **خارج الشرعية الدستورية** وأن يلتحف بعباءة متميزة تضفي على معارضته السياسية – الدينية طابعا راديكاليا.

II – أما ثاني التوجهات التي تبثها مذكرة الشيخ، فإنها تنصب على موقف الاستخفاف بالقوى الديموقراطية المناضلة بالبلاد في سبيل الإصلاح والتغيير والتحديث.. ذلك أن منطق الأستاذ ياسين في هذا الصدد، يكشف عن عجوزات مذهلة في النزاهة الفكرية والأمانة الدينية، بل ينطوي على مسلكية مخلفة بفضائل الورع والتقوى.

ذلك أن الطبقة السياسية المغربية في نظر الشيخ، لا تعدو أن تكون «طبقة من محترفي السياسة» وطغمة من «المخادعين» الذين

انقطعوا إلى التدليس على «الشعب الأمي»، بصيغة «الإجماع التوافقي!» ص : 6، بل إن صاحب «حوار مع الفضلاء الديمقراطيين» لا يتورع عن تسفيه أهل النضال الديمقراطي الذين «نبذوا» إسلام المسلمين و«دانوا بإسلام الشعارات الخاوية».

وكما تمثل «مذكرة» الشيخ نزوعا راديكاليا في توصيف المؤسسة الملكية، فإنها تسجل شططا في الحكم على الأحزاب السياسية، فالأستاذ ياسين الذي يعطي لنفسه، في كتابات سابقة، حق تصنيف المجتمع السياسي المغربي في دائرة «الأعرابية القاعدية»، نسبة إلى المفهوم القرآني حول «الأعراب» الذين أسلموا ولم يؤمنوا (المنهاج النبوي ص : 374-375، فإنه، في إطار «المذكرة» يمعن في الشطط إلى درجة توحي بإقصاء الأحزاب السياسية من دائرة الإسلام نفسه. فالرجل لايتورع إذن عن تكفير كل من خالفه الرأي ولو كان مسلما مؤمنا مجاهدا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

وكما يحاول الشيخ، في إطار التوجه الأول(1) أن يبرهن عن راديكالية مزعومة، فإنه يسعى في إطار التوجه الثاني(2) إلى أن يستوصف بـ:«ثورية» مفقودة، عن طريق تسفيه الديمقراطية ومحاولة نفي دعائمهما.

وفي سبيل إعطاء هذه «الثورية» المفقودة قدرا من المصداقية والمعقولية يوظف الشيخ نداء تلو النداء وتزلفا تلو الآخر إلى الشبيبة المغربية التي يراها «معرضة» نهائيا عن «طبقة سياسية شاركت طوعا أو كرها المخزن الشائخ بهناته وخيانته وكسب رهانات المستقبل.

وقد شكلت حكومة التناوب بمشاركة أو دعم ثلة من القوى السياسية والاجتماعية الحية بالبلاد، بما فيها قوى إسلامية مستنيرة، خطوة هامة وواعدة على طريق التقدم والتواصل بمسيرة الإصلاح والتجديد...

2 - وقد اكتسبت هذه الديناميكية الوطنية دفعة قوية في ظل العهد الجديد، عهد الملك محمد السادس، الذي بث بحيويته الشابة ومبادراته المتعددة روحا قوية وسرعة متنامية لهذه المسيرة الإصلاحية التي تستقطب انخراط القوى الشعبية وتستثير ترقب وتفاؤل الشبيبة..

3 - وفي ظل هذا المناخ السياسي الجديد، بما يطبعه من حركية متنامية ويشيعه من تفاؤل وترقب، داخل البلاد وخارجها، فإن بروز جناح معتدل في التيار الإسلامي، واحتلاله لمواقع هامة على صعيد المسرح السياسي، بفضل ما أبداه من قدرة على التكيف مع حقائق البلاد ومن إرادة في الانخراط في دينامية التحول الديمقراطي الجاري بالمغرب، أمسى يشكل معطى سياسيا جديدا، وهو الأمر الذي يشكل، ولا شك، مصدر قلق وانزعاج للشيخ ياسين وجماعته.

4 - وبتزامن مع هذه التحولات التي جرت وتجري في جو من الرصانة السياسية والاستقرار الاجتماعي والطمأنينة العامة، يتماثل للشفاء عدد من الأقطار الشقيقة والصديقة، على الصعيد الإقليمي والدولي، بعد أن ابتليت بمحنة الفتنة التي تسببت فيها حركات متطرفة، لم تتورع عن تكفير المسلم، وتذبيح المؤمن واستحلال أموال الغير وانتهاك عرضه.

5 - ومن جهة أخرى، فإن التحولات السياسية الجارية بإيران الشقيقة، في ظل نهوض شعبي عارم من أجل إصلاح المؤسسات ودمقرطة «النظام الإسلامي» والانتفاح على العالم الخارجي - لتحمل أكثر من دلالة. فقد اقتحم التيار الإصلاحي حظيرة «مجلس الخبراء» - وهو المؤسسة الدستورية الحساسة التي تتولى تعيين «الفقيه الولي» - خلال الانتخابات الجزئية لتجديد أعضاء هذا المجلس، كما انخرط الملايين من المستضعفين والشباب والنساء في تيار الإصلاح والتحديث مما يؤشر على تطلع جماهير الشعب إلى تطوير وتحديث النظام السياسي في اتجاه ضمان وتجذير ممارسة الحريات العامة وتفعيل القيم الأصيلة للإسلام في حنفيته واعتداله وتسامحه...

وتشكل الانتخابات التشريعية الإيرانية الأخيرة، بما طبعها من مشاركة جماهيرية قوية (نحو 80٪) وما تمخض عنها من نتائج سياسيةباهرة (فوز ساحق لتيار الإصلاح) وبرنامج التحديث...

وهكذا، ففي ظل هذه التطورات الهامة بدلالتها السياسية، والإيجابية، بطابعها الحضاري، يبدو أن الأستاذ ياسين لم يعد يحتمل الإلتزام أو الاكتفاء بدور الإرشاد والتربية، كما دأبت جماعته على توصيف دوره، بل أضحى يبحث عن دور سياسي بالمكشوف يتجاوب ومتطلبات «القومة» «الثورة الإسلامية» التي يستشرفها، ويتفاعل ومقتضيات معتقد «القيادة الإسلامية» التي يدعو إليها، وفي أفق هذا التوجه السياسي / العقدي، فإن المذكرة تشكل انعطافا في المسار السياسي للجماعة وشيخها، إذ لم يعد الأمر يتعلق بإرادة التغيير من داخل النظام، على منهاج «التوبة العمرية»، توبةعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه غداة استخلافه - أي في إطار مرجعية «رسالة الإسلام والطوفان» 1974 - بل إن خيار المذكرة الجديد يروم ممارسة التغيير من خارج النظام ويتجه إلى إحداث انقلاب جذري يستوحي مرجعيته العقدية من تجربة آية الله الخميني في إيران الثورة الإسلامية.

4 - سنانة «ولاية الفقيه» :

وفي سبيل شرعنة هذه المنازعة الراديكالية للنظام السياسي وإسناد مآلاتها المؤسسية على مرجعية «إسلامية»، فإن الأستاذ ياسين يبدو مشدودا إلى التجربة الخمينية، منشغلا بـ:سنانة المفهوم الشيعي «الولاية الفقيه»، وهو المفهوم الذي وظفه آية الله الخميني، رحمه الله، في تسويغ زعامته الدينية وشرعنة قيادته الدنيوية (انظر استفاضة الشيخ ياسين في شرح نظرية «ولاية الفقيه» لآية الله الخميني في العدد الثالث من مجلة الجماعة).

ولئن كان الإمام الخميني قد نظر لمشروعية رئاسة «الفقيه» للدولة الإسلامية، في انتظارظهور الإمام الغائب، انطلاقا من ضرورة بل من وجود تولي «الفقيه» العالم والعادل، لقيادة الدولة الإسلامية، وذلك عبر مقاومته للطاغوت، فإن محاولة الشيخ ياسين لـ:سنانة هذا المفهوم يقوم على فرضية وجوب «قيادة الفقيه» للتصدي لدعائم الفتنة (= التفسخ الاجتماعي + الحكم الجبري) في المجتمع.

وبما أن «ولاية الفقيه، تستمد مشروعيتها من مواجهة الطاغوت ومقاومته باتجاه استئصاله، فإن هم الأستاذ ياسين لشرعنة «قيادة الفقيه» أصبح منصبا على ضرورة إيجاد وتوصيف طاغوت يشرعن قيادته ويسوغ مناهج «جهاده».

وهذا ما يفسر، إلى حد كبير، إمعان صاحب «مذكرة إلى من يهمه الأمر» في التحامل على المؤسسة الملكية والاستغراق في التشهير بشخص وحاكمية المغفور له، جلالة الملك الحسن الثاني، والتشكيك في نوايا وجدوى مبادرات خلفه، جلالة الملك محمد السادس.

فالشيخ يبدو وكأنه مصدوم بتجدد إجماع الأمة على استمرار الدولة في ظل المؤسسة الملكية، يوم وفاة السلف ومبايعة الخلف، ذلك أن تجدد هذا الإجماع، و«الأمة لا تجمع على ضلال»، يقوض من الأساس فرضية مماثلة المؤسسة الملكية المغربية بالطاغوت وينسف بالتالي الأساس العقدي / الإيديولوجي

لموقف المنازعة «الإسلامية» للشيخ ياسين.

وفي ظل هذه المفارقة الصارخة ما بين الواقع السياسي – المؤسساتي بالبلاد، من جهة، ومتطلبات شرعنة مشروع «القومة» من جهة أخرى، فإن الأستاذ ياسين وجماعته، يبدوان متجهين نحو صياغة استراتيجية تعبوية جديدة، تأخذ بعين الاعتبار المعطى الجديد في المشهد السياسي الراهن.

5 – أية استراتيجية إسلاموية ممكنة ؟

على ضوء المعطيات السابقة الذكر، يبدو جليا أن مواقف وأطروحات الشيخ ياسين تندرج في إطار استراتيجية سياسية جديدة، تقوم على ركيزتين أساسيتين :

أولاهما : المراهنة على استملاك واحتكار دور المعارضة في إطار المشهد السياسي الراهن في أفق الاستحقاقات الانتخابية المقبلة.

وثانيهما : تركيز الصراع على حقل المؤسسة الملكية، باعتبارها القطب الأكثر وزنا وفاعلية في قوام الميثاق الوطني الموجه والمؤطر لحركة الإصلاح والتغيير والتحديث الجاري بالبلاد.

وفي غياب مشروع مجتمعي واضح ومتكامل في الرؤية والمقاربة لمعالجة إشكاليات الدولة والمجتمع، في ظل التحولات التاريخية الجارية على الصعيد الوطني والإقليمي والدولي على السواء، فإن الأستاذ ياسين يراهن – في سبيل تحقيق مشروع جماعته – على موقف القلق والحيرة والتذمر الذي يطال فئات شعبية مهمة يسحق كرامتها الفقر المدقع ويلغم وعيها الجهل المطبق ويغذي حنقها واقع التهميش والإقصاء...

ولعل حنق الشيخ المعلن على حملة التضامن الوطني ضد الفقر التي يقودها عاهل البلاد بمثابرة وطوعية، راجع بالأساس إلى كون هذه الحملة، بما تمثله من تفعيل لقيم التآزر والإحسان، وتنطوي عليه من مظاهر إعادة الارتباط بسير الصلحاء من خلفاء العهود الإسلامية الزاهرة، مثل سيرة العمرين، عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما – قد أخذت تخترق الحواجز الآثمة المحيطة بهذه القاطعات المهمشة من الشعب، وتقتحم الأسوار العازلة التي أعلتها سنوات من الحيف الاجتماعي وكرستها عقود من مفارقات التنمية الإنسانية والجهوية والاجتماعية.

وإلا كيف يمكن لشيخ نذر نفسه للتربية والإرشاد ونصب شخصه مدافعا مستميتا عن المرجعية الإسلامية أن يسفه، كما فعل، أعمالا للبر والإحسان، وأفعالا للتكافل الاجتماعي على قاعدة «أخذ فضول الأغنياء» وتوظيفها في سد رمق الفقراء ؟

ومتى كان فعل التضامن والتآزر الاجتماعي ضد الحاجة والفاقة ترسيخا لدعائم «ثقافة التسول ؟».

وفي أية خانة يمكن تصنيف مبادرات «الإحسان» التي تواظب جماعة الشيخ ياسين، تقبل الله عملها، على القيام بها هنا وهناك، في عدد من أحياء الفقر والمسغبة بالمملكة ؟

ومما يثير الريبة ويبعث على الشك في خلوص نوايا الإرشاد والتربية في خطب وكتابات الشيخ كل القرائن تشير إلى أن المراهنة على كسب ولاء الكتلة الشعبية العازفة عن الاهتمام بالشأن العام – سواء بفعل ثقل أوضاعها المزرية أو بسبب ضيقها درعا بتأخر إنجاز وعود تخليصها مما هي فيه من ضيق وتعاسة – تشكل حجر الزاوية في استراتيجية الشيخ وجماعته.

وفي هذا المضمار، فإن تجربة «غزو» بعض المؤسسات الجامعية من قبل أنصار الشيخ، حيث تسيطر أقلية ناشطة ومستكبرة، في ظل عزوف وانطواء أغلبية الطلاب الصامتة، ليشكل نموذجا مصغرا لما يمكن لاستراتيجية الشيخ أن تحققه على المدى الوطني، ويبدو أن استلهام تجربة وسيناريو الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالجزائر في بداية التسعينات لإعادة إنتاجهما بالمغرب، ما فتيء يغذي روح المغامرة لدى أوساط إسلاموية معينة ببلادنا – هذه الأوساط التي عميت أبصارها وغشيت قلوبها عما تكبدته الجزائر الشقيقة من مآس وآلام لم تنقض آثارها بعد.

ففي ظل امتناع الكتلة الشعبية عن المشاركة في الاقتراع (50٪ امتناع)، لأسباب متعددة، يفوز حزب جبهة الإنقاذ في الانتخابات بنسبة لاتتعدى ربع أصوات الناخبين وهو وضع شاذ أحدث تصدعا عميقا في الدولة والمجتمع وقاد إلى اندلاع فتنة رهيبة أودت بحياة مائة ألف جزائري وجزائرية وخلف زهاء مليون من الضحايا الآخر.

ياسين، ذلكم الزعم المتكرر بالاعتصام بحبل مرجعية الإسلام وذلكم الإدعاء المتجدد بالصدور عن فهم وتأويل تعاليمه.

ذلك أن خطاب الشيخ يتجاهل على الدوام أن مخاطبيه المغاربة، حكاما كانوا أو محكومين، هم مسلمون يدينون بتعاليم الإسلام ويحتمون بظلاله الوارفة ويغارون على مبادئه السمحة ويجتهدون للتحلي بفضائله والسير على منواله. وبصفتهم الإسلامية – الإيمانية تلك، فهم متساوون أمام ربهم بدرجة التقوى، إذ لا رهبانية في الإسلام، ولا وصاية على المسلمين، بل إن الرسول نفسه، ﷺ، أمر بنبذ السيطرة، وهو في حمأة النضال من أجل نشر الدعوة : ﴿إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾ صدق الله العظيم.

ومن جهة أخرى، فإن خطاب الشيخ ينزع إلى الغلو وإصدار الأحكام في قضايا دينية دقيقة لا يحق أن يفصل فيها إلا ذوو الاختصاص من أهل الاجتهاد.

فهل يعتبر الشيخ ياسين أن تخصصه وعلمه وتفقهه في أمور الدين يؤهله لأن يتربع على كرسي الاجتهاد وأن يتصدر مراكز الفتوى؟

إن ما نعرفه من الاختصاص المهني والتكوين المعرفي للأستاذ عبد السلام ياسين لايمنحه أهلية الاجتهاد ولا يعطيه أحقية الفتوى. ذلك أن توظيف هذين المفهومين الحيويين المؤطرين لعمليات تكييف مقتضيات المبادىء والتعاليم الإسلامية مع مستجدات الظرفيات والأحوال الطارئة، يقوم على قواعد علمية ومناهج استقرائية لاتستقيم ممارستها إلا للفقهاء الضالعين في العلم.

ومن جهة ثالثة، فإن طابع الحدةفي القول، والمغالاة في التوصيف والشطط في الرأي، وهي الصفات التي تطبع أسلوب «المذكرة» وتكيف محتواها، لا تمت بصلة إلى المسلكية الإسلامية في الحوار بل تنأى عن القيم الأساسية المتميزة لديننا الحنيف، قيم التسامح، وفضائل المجادلة بالحسنى، وواجبات الابتعاد عما يفرق الأمة ويبث الفتنة بين أفرادها.

6 – من أجل توافق استراتيجي وطني :

ومن أجل تخليص الحقل السياسي الوطني من مكامن الألغام ومواطىء الانزلاقات التي قد تحوله من فضاء هادئ ورصين لتفاعل الأفكار وتلاقح الآراء إلى ساحة اصطدام يحكمها التعصب والتطرف وتسودها الجهالة والفتنة – فإن القوى السياسية الوطنية والديمقراطية مطالبة اليوم أكثر من أي وقت مضى بالعمل المشترك من أجل تطويق البواعث وإزالة العوامل التي قد تساهم في لغم الحقل السياسي الوطني.

وفي هذا المضمار، فإن التحام القوى السياسية والاجتماعية المغربية، أغلبية ومعارضة، حول ثلاثة أهداف استراتيجية وطنية تمثل خطا دفاعيا أساسيا في وجه نزعات التعصب ومخاطر التطرف، أضحى يمثل ضرورة حيوية :

أولها : صياغة ميثاق وطني يحدد الأصول والمرجعيات والثوابت الأساسية التي تمثل قاعدة إجماع الأمة، من جهة، ويعلو بهذه الثوابت عن أن تصبح موضوع توظيف سياسي أو ابتذال عقائدي من طرف أي مكون من مكونات المجتمع السياسي أو المدني من جهة أخرى.

وفي هذا الإطار، فإن المرجعية الإسلامية التي تشكل عصب الهوية المغربية وقوام الضمير الجمعي الوطني على مدى العصور والقرون، يجب أن تكون في مقدمة الثوابت التي تسمو عن التوظيف السياسي.

ومنعا للتجاوزات الحاصلة في مجال الاجتهاد والفتوى في الإشكاليات الدينية، فإن إحداث مجلس أعلى من العلماء والفقهاء والمختصين تحت رئاسة أمير المؤمنين للنظر فيما يعرض عليه من القضايا التي تتطلب اجتهادا أو فتوى دينية بات ضروريا لمنع استغلال الدين في قضايا السياسة.

ثانيها : اعتبار قضية محاربة الفقر والتهميش مهمة وطنية عاجلة لا ترتبط معالجتها بأغلبية سياسية معينة ولا بحكومة محددة، بل تناط بمجموع المكونات الوطنية، دولة ومجتمعا، في إطار برنامج طوعي وطني يحقق حدا أدنى من التكافل الاجتماعي والتوزيع العادل للثروة الوطنية ويعمل على امتصاص الفوارق الاجتماعية والجهوية المتفاقمة.

ثالثها : تعميق وتدعيم المنجزات المحققة في مجال الحريات العامة وحقوق الإنسان، وذلك بتسوية كافة الوضعيات السياسية الشاذة، بما فيها وضعية الإقامة الجبرية التي تطال الأستاذ ياسين، وكذا تسريع وتيرة الإصلاحات السياسية والدستورية والمؤسساتية بما يمكن المملكة المغربية من تحقيق الطفرة الديمقراطية المنشودة في جو من الاستمرار والاستقرار والتوافق■

---

*) عضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي عن جريدة الاتحاد الاشتراكي
11 مارس 2000
العدد : 6057

مذكرة «إلى من يهمه الأمر» في ميزان العدل والإحسان(*)

بقلم
محمد بولوز

ما أصعب أن يتصدى الإنسان لنقد من يحبه ويقف منه موقف التلميذ من أستاذه ويكون له في القلب ما يعلمه الله من المكانة والتقدير، غير أن الحق ينبغي أن يكون أحب إلينا من الأشخاص مهما علا شأنهم عندنا، وإن مهمة النصيحة والإصلاح إن كان فيهما إخلاص ينبغي أن نتوجه بهما للجميع داخل دائرة أهل التدين أو خارجها.

ولا شك أن المذكرة المفاجئة للشيخ عبد السلام ياسين «مرشد جماعة العدل والإحسان» تحتاج إلى جهد كبير في فهم مقاصدها والاجتهاد في فهم مراميها وتحليل آثارها ونتائجها.

وبغض النظر عن تلك المقاصد التي لا يشك أهل الإيمان بأنها نبيلة، وعن تلك الآثار والنتائج التي لا نشك أن في حكمة ونضج مؤسساتنا وفي سعة صدرها ما يمكنها من تحويل ما قد يبدو ضعفاً إلى عنصر قوة وما يظهر سلبيا إلى عنصر إيجابي، وبعيدا عن إنتاج خطاب سياسي يمتدح المذكرة أو يتحامل عليها، فإنها تفرض بعض ملاحظات نجملها فيما يلي:

1- الرسالة ثورية في الشكل إصلاحية في المضمون :

الناظر في العبارات الملتهبة والألفاظ العنيفة والكلمات القوية يبدو له أنه أمام بيان ثوري يحرض على هدم الموجود وإقامة بناء جديد تمام الجدة على أنقاضه، في حين أن الرجل يدعو إلى الإصلاح داخل النظام الملكي القائم، ويضع أمامه نموذج عمر بن عبد العزيز في منظومة الحكم الأموي أو نموذج يوسف بن تاشفين في منظومة الحكم المرابطي.

2- الأسلوب العنيف يضيع المقاصد النبيلة :

لا يخفى ما في الرسالة من الاعتراف بفضل الملك الشاب محمد السادس سواء برصيده من المودة التي يكنها له الشعب عموما والشباب على الخصوص، والتأييد الكبير الذي يتمتع به والذي تفسره الاستقبالات التلقائية الهائلة التي تخصص له، وعطفه الكبير على المحرومين وتواضعه وبساطته وحفاوته الكبيرة بذوي الحاجات والعاهات، وشجاعته وجرأته في اقتحام عقبة الإصلاح والتي تجلت في إقالة وزير الداخلية وغيرها من الإشارات، وتؤكد الرسالة أنه بريء من أخطاء الماضي وأنه طيب جواد تعقد عليه كبير الآمال.

وكان من المفروض أن يشفع هذا الاعتراف بهذه المنحة الربانية في هذا الظرف العصيب، فيبدي الشيخ تشجيعه لهذا المسار ويبدي استعداده للتعاون ويفرح أشد الفرح بالخير ولو جاء على يد غيره ويقوي الجبهة الدينية على اختلاف واجهاتها أو يقتضيه واجب النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي تقرر في حق الأمة وعلى رأسها العلماء.

2- الأسلوب العنيف يضيع المقاصد النبيلة :

لا يخفى ما في الرسالة من الاعتراف بفضل الملك الشاب محمد السادس سواء برصيده من المودة التي يكنها له الشعب عموما والشباب على الخصوص، والتأييد الكبير الذي يتمتع به والذي تفسره الاستقبالات التلقائية الهائلة التي تخصص له، وعطفه الكبير على المحرومين وتواضعه وبساطته وحفاوته الكبيرة بذوي الحاجات والعاهات، وشجاعته وجرأته في اقتحام عقبة الإصلاح والتي تجلت في إقالة وزير الداخلية وغيرها من الإشارات، وتؤكد الرسالة أنه بريء من أخطاء الماضي وأنه طيب جواد تعقد عليه كبير الآمال.

وكان من المفروض أن يشفع هذا الاعتراف بهذه المنحة الربانية في هذا الظرف العصيب، فيبدي الشيخ تشجيعه لهذا المسار ويبدي استعداده للتعاون ويفرح أشد الفرح بالخير ولو جاء على يد غيره ويقوي الجبهة الدينية على اختلاف واجهاتها الرسمية والشعبية والتي تواجه هذه الأيام أشرس هجمة علمانية سواء من طرف أربابها في الخارج أو بسدنتها في الداخل على آخر معاقل الإسلام على مستوى القانوني، ويلين من خطابه وكلامه إعمالاً لتوجيه ربنا **﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾** واختيارا لأحسن القول : ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ واستحضارا للقاعدة الشرعية الذهبية ما دخل الرفق شيئا إلا زانه وما دخل العنف شيئا إلا شانه.

غير أن الشيخ ركب التي هي أخشن اعتقادا منه بأنها الأنسب والأبلغ، فجاءت الرسالة مليئة بما شئت من الكلمات الحادة والعبارات العنيفة، فهو يلمز النظام بأنه «يتقن منذ قرون فن التلاعب بالألقاب والرموز» وأن الناس «تحت حكم نيرون أحسن حالا» وأنه يعتمد «تقاليد البيعة المخزنية المقيتة» وهلم جرا من الأوصاف والنعوت التي لن تكون نتيجتها إلا إيغارا للصدور والانصراف عن الجوهر والمضمون للوقوف عند سلبيات الصياغة والخطاب.

أما الملك الراحل رحمه الله الذي أفضى إلى ربه، فقد نال الحصة الوافرة من النعوت القدحية، فهو عند الشيخ ياسين «ليس له من الجلالة سوى الإسم والسوط»، وأنه «لم يفلت أي قطاع من قبضة الجشع الملكي» وبأنه «المتأله» «المعصوم». هذا إلى تحقير بعض أعمال المعروف والخير ووصفها بأنها تشيع فينا «ثقافة التسول».

ثم يتساءل «من يخدع من؟ هل نحاول أن ندلس على الشباب...» وعن الملك هل «ينوي حقا القطيعة مع الماضي؟ وهل يستطيع؟» و«هل له من الهمة ما يؤهله لأن يكون بانيا لعهد جديد. أم أنه مجرد ابن أبيه؟ ظل عابر للتاريخ؟ شخصية انتقالية؟».

ويصف كل ما فعله الملك محمد السادس لحد الآن بأنه مجرد إشارات صغيرة! و«يبشر» الناس بخيبة الأمل فيما يأملون «لكن ما أبشع الخيبة حين تستفيق الشبيبة بعد حين من الأماني المعسولة على مرارة الواقع التعس!...» ويستمر في أسلوب التيئيس «لا يمكن للنية الحسنة المتفتحة أن تصمد أمام دهاء الثعالب العجوزة» ويسلك سبل التخمين والظن ويذكر أن الدروس الحسنية الرمضانية «ترسد لها ميزانيات خيالية مما تدره الأوقاف» ويصف ذلك بخيانة تركة الموتى! في حين أن وزير الأوقاف في استجوابه الأخير مع جريدة «الصحيفة» ذكر بأن الدروس الحسنية تمول من مال الملك الخاص، **ويعتمد في معلوماته عن الملك الراحل وثروته على المصادر الأجنبية ويصر إن لم تكشف الحقيقة كاملة للناس بأنها ستبقى مصادره المفضلة بغض النظر عما يمكن أن يكون فيها من تحامل.**

كما أنه يعمد إلى أسلوب المبالغة والتعميم، فعنده أن «النظام بأكمله في تحلل سريع»! وأن العاهل الشاب يرث «مشهدا تسوده الفوضى العامة»! ويصف بطانة الملك الراحل بقوله «وبطانته الفاسدة المفسدة» وقد يكون فيها بعض أهل الخير والصلاح.

فبدا الرجل وكأنه كما قال «دقت ساعة الحساب» وحان أوان المعركة ليسلك كل سبيل متاح ولو كان هو التهديد بـ«الطوفان» فلا أمل في الإفلات من طوفان يوشك أن يحل!» ويوم يسأم الشعب «سيكون محمد السادس على رأس المطلوبين طبعا»!! هكذا تكون النصيحة في عرف «مذكرة إلى من يهمه الأمر»!.

3- أين المذكرة من النصيحة الشرعية ؟

ميز الله الأمة الإسلامية بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل النصيحة فيها رأس الدين وأساس الإسلام. فعن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «الدين النصيحة (ثلاثا) قلنا لمن يارسول الله؟ قال : لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم» (رواه مسلم). وللنصيحة بعث الرسل، وقال عمر رضي الله عنه : لا خير في قوم ليسوا بناصحين، ولا خير في قوم لا يحبون الناصحين. وفي الحكمة : من نصحك فقد أحبك ومن داهنك فقد غشك. والنصيحة : إرادة الخير للمنصوح كله وإرشاد الخلق إلى مصالحهم. وبخصوص توجيهها لأئمة المسلمين وحكامهم قال صاحب «جامع العلوم والحكم» في شرح الحديث السابق «وما النصيحة لأئمة المسلمين : افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إعزازهم في طاعة الله عز وجل» (ص : 79).

وقال : أبو عمر بن الصلاح : «والنصيحة لأئمة المسلمين : معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه وتذكيرهم به وتنبيههم في رفق ولطف ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك» (ص : 79) وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرا حتى قال بعضهم : من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه، وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر فقال : إن كنت فاعلا ولابد ففيما بينك وبينه (ص : 81).

وقد ناقش الإمام الغزالي رحمه الله في باب شروط الأمر بالمعروف من كتاب الإحياء الدرجات التي ينبغي أن يسلكها الداعية إلى الله مع ذوي السلطان وذكر بأنها لا ينبغي أن تتعدى التعريف والوعظ من غير أن يكون مقصوده بالتعريف الإدلال وإظهار التمييز بشرف العلم أو الشجاعة، وأما الوعظ فيكون بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر إليه نظر المترحم عليه، ولا يلجأ عادة إلى القول الغليظ الخشن إلا «عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح...و (2/ 358 من الأحياء) وبخصوص السلاطين فإن التخشين لهم في القول : «إن كان يحرك فتنة يتعدى شرها إلى غيره لم يجز، وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه» (2/ 371 الأحياء) فهل صدر من الملك محمد السادس في هذه الأشهر من حكمه ما يستوجب التخشين؟ وهل ظهرت منه مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح؟ وهل أمن الشيخ تعدي شر الفتنة إلى غيره وهو الذي يرأس تنظيما يضم الالاف؟ وهل لم يكن في الإمكان تصريف النصيحة في قالب حكيم؟

ثم إن الشيخ يدعو إلى ما يدرك هو نفسه صعوبة الانتقال إليه، فهل طاق زمان عمر بن عبد العزيز صرامة عدله وقوة زهده أم أنهم لم يصبروا عليه أكثر من سنتين، فقتل مسموما رغم أن صلاح المجتمع كان أفضل حالا بكثير من حالنا وللعلماء وزن لا

يقارن بواقعنا والمعين على الخير يومئذ كثير. فهل هيأنا المجتمع بالتربية ليقبل أمثال عمر؟ فما الغرض إذن من هذه الأمثلة التعجيزية إذا كنت تقول «والذي اقترحت اليوم دون كثير تفاؤل أعترف بذلك»؟.

ولست بحاجة إلى تذكير الشيخ بقولة لداود الطائي رحمه الله عندما قيل له : أرأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر؟ فقال : أخاف عليه السوط، قال : إنه يقوى عليه، قال أخاف عليه السيف. قال : إنه يقوى عليه، قال : أخاف عليه الداء الدفين وهو العجب.

عليه أن يركز في خطابه على إقامة الدين وسياسة الدنيا به.

فالدنيا ليست بحاجة إلى من يذكر الناس بها وإنما غفلتهم تكون أساسا عن الدين والدار الآخرة، وهو ما يلمس في المذكرة ضعفه فليس فيها من آية أو حديث وإنما بعض الكلام المحتشم عن الزاد الروحي هنا والدعوة إلى التمسك بحبل الله هناك، وفصل يتيم عن «جنازة رجل» وما فيها من موعظة وعبرة، وسط زخم من الكلام عن الصفقة السياسية والإكراهات الاقتصادية والاجتماعية والاستبداد وحقوق الإنسان والصحراء والسوق المفتوحة والعولمة والرشوة ونهب الثروات وإحصائيات عن الأمية والفقر وأزمة السكن والبطالة وحديث عن المخدرات وإعادة الثروة المهوبة وتسديد الديون والتذكير بسنوات زحام سوق الحريات العامة الذي يتسع يوما بعد يوم، وتثبيتا للأتباع حى لا يجرفهم التيار أو يخطف بعض البريق الأبصار.

موقف أمير المؤمنين محمد السادس أعزه الله بالإسلام وأعز الإسلام به لحد كتابة هذه السطور هو موقف الاقتداء بسنة نبينا عليه الصلاة والسلام وبموقف خلفاء وملوك المسلمين في كظم الغيظ والعفو وهما من أعلى مقامات الإحسان، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله. قال : كان النبي ﷺ يقبض للناس يوم خيبر من فضة في ثوب بلال، فقال له رجل : يارسول الله أعدل : فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل فقد خبت إذن وخسرت إن كنت لا أعدل» فقام عمر فقال : ألا أضرب عنقه فإنه منافق فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي».

وهذا معاوية حبس العطاء مرة عن الناس فجاء يخطب فيهم.

فقام إليه أبو مسلم الجولاني فقال له : يامعاوية إنه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك، قال : فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم : مكانكم! وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال : إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفىء النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل» وإني دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم أنه ليس من كدي ولا من كد أبي فهلموا إلى عطائكم» (2/ 372 الأحياء).

ومواطن الحلم عند السلاطين عديدة سجلها التاريخ في حسناتهم وإن المجتمع قد بدت فيه بوادر النضج وإن الثوابت في طريقها نحو الرسوخ فلا خوف عليه من الحرية وسيهب الناس للدفاع عن الأصوب ربما بغير ما حاجة إلى الدولة وخصوصا إذا تجاوزت الدول في علاقتها مع المواطنين والجمعيات والجماعات الأساليب العتيقة القائمة على القمع والإقصاء والحصار، وأزالت صفة المظلومية عن الجماعات وكشفت عن ساقها لمقارعة الحجة بالحجة والبرنامج بأفضل منه، سواء في تربية الرجال أو اقتراح الحلول، والتاريخ علمنا أن المآل لخط الاعتدال.

ونقول لشيخنا إن هذه كلمات محبة ونصرة ونصيحة ما كنا لنبدي بها جهرا لولا أنه قد سارت بذكر المذكرة الركبان، نذكر من خلالها أن أرفق في الخطاب، فقد بعث الله من هو خير منك إلى من قال للناس أنا ربكم الأعلى فأرشده إلى الرفق فقال له عز وجل : ﴿**فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى**﴾.

التجديد عدد 55
9 / 2 / 2000

4 - **تضخم المطالب الدنيوية على حساب المقاصد الدينية :**

لست هنا بصدد التمييز بين ما يدخل في الدنيا وما يتعلق بالدين، وإنما أشير إلى أن الداعي إلى الله

الرابطة
جريدة أسبوعية جامعة

المدير المسؤول :
الحاج أحمد ابن شقرون

رئيس التحرير :
محمد الخضر الريسوني

العدد 910

24 ذو الحجة 1420هـ
30 مارس 2000م

السنة الثانية والثلاثون

الثمن : 3دراهم

رقم الإيداع القانوني :
160/ 1994

الاشتراكات السنوية داخل
المغرب : مائة وخمسون درهم

العنوان: 107 شارع فال ولد عمير، رقم 7 أگدال ـ الرباط
الهاتف: 51 03 67(07)
الفاكس: 51 03 67(07)

الترقيم الدولي: ISSN 4348

الحساب البنكي:
25201015549,01
وكالة بنك الوفاء ـ حي أگدال

تصفيف وإخراج وطبع:
مطبعة فضالة ـ المحمدية
(المغرب)

رسالة مفتوحة من شاب مغربي إلى «الشيخ» عبد السلام ياسين

أما في الجبة غير الخطاب الشعبوي ؟!

■ لا أخفي أنني كنت من الذين يقدرون فيك سي عبد السلام ياسين ورعك، ومن الذين كانوا ضد ما أنت فيه من إقامة إجبارية.

لكنني فوجئت أيها الشيخ بما خطته يداك، أو استكتبته وعرضه أنصارك مؤخرا، ووجهته إلى من تعتقد أنهم من الذين «يهمهم الأمر»، فوجئت ودونما تقدير لإجماع المغاربة على احترام مقدساتهم الدينية الوطنية التي لم تأل جهدا في إيجاد كل الصيغ والمترادفات، والتنقيب عن كل أساليب البلاغة

ولا أخفيك أنني، رغم اختلافي مع العديد من التصورات التي هي لك، كنت دائما مع حريتك في قولك ما تشاء، وكنت ضد أولئك الذين وصلوا حد تكفيرك ممن هم محسوبون على عشيرتك و«حزبك»!؟

لأنني اكتشفت أن الخطاب الشعبوي هو نفسه لم يتغير في خطابك، وأن اللعب على ما تطرف من أمور السياسة هو أسلوبك لا يزال في استقطاب الأشياع والأتباع، هكذا دونما «نضج» رغم سنك وتجربتك، والبيان للتفنن في قدحها، وكأنه جلاد سادي يتقم لنفسه من ضحيته دون رأفة أو رحمة.

أيها الشيخ الذي كنا نعتقد أن الزمن كفيل بإنضاج أفكاره - إن كانت له - لقد تطاولت على مؤسستنا الملكية أيما تطاول، ونقبت في أرشيف التقارير الصحفية والاستخباراتية. الصادرة عن جهات معادية لبلادنا ومؤسساتنا فاغترفت منها ما يلبي حاجتك في المساس بمؤسسات لولاها، ولولا ما أشاعت من ديمقراطية وتشبث بديننا الحنيف وقيمه، لما عرف الناس رجل تعليم مغمور، بثقافة وفكر مغمورين، ولما أصبح له من شأن كذلك الذي صار لك أيها الشيخ، لقد أردت، كغيرك، أن تستغل التطرف في السياسة لحشد الأنصار، والتطرف كما لا يخفى عليك، وجه من وجوه الانتهازية، وضرب من ضروب الشذوذ السياسي، وانحراف عن «المحجة البيضاء» التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

ولم تقف أيها الشيخ عند المس بإحدى أبرز مقدساتنا بل تطاولت حد الخوض في قضية هي محط إجماع وطني فاعتبرت قضية الصحراء مجرد «إرث مسموم» واعتبرت روابط البيعة مجرد طقوس «بهلوانية» لا تمت بأية صلة إلى الميثاق الإسلامي، وكأني بك أصبحت صاحب هذا الميثاق وواضعه والساهر على ديمومته واستمراره، حاشا لله، واستكبرت على شيوخ القبائل الصحراوية التليدة أن يكونوا أوفياء لتاريخهم، كأني بك جاهل إباء هؤلاء الشيشوخ وعزة مجدهم هو ما يجعلهم متمسكين بتاريخهم وبأعرافهم، وأنك أنت من تنكر لتاريخه وأعرافه وتقاليده الممتدة قرونا وأصولا! ولولا ذلك لما أنكرت حق سكان أقاليمنا الجنوبية في تحديث مدنهم ورفاهية مواطنيها محاولا تضليلنا بانسياقك وراء الطروحات المعادية لوحدتنا الترابية بما أسميته وحدة الشعوب الإسلامية.

أيها الشيخ الذي أصبح يتبضع من أفكار «الغرب والدول الكافرة» أيها الشيخ الذي أصبح يكتب بغير لغة القرآن لغير أهل القرآن، لقد كتبت عن الشيوعيين وأخطأت لأنك لم تفهم أو أردت ألا تفهم، وكتبت عن الرأسماليين وأخطأت لأنك لم تفهم أو أنك أردت ألا تفهم وكتبت عن مقدسات المغرب وشعبه فافتريت لأن الحزبية الضيقة زينت لك الافتراء وأنارت لك طريقه الموصل إلى فقدان المصداقية والشعبية التي تبحث عبثا أن تتربع على عرشها - هيهات - أيها الشيخ، كنت ضد إقامتك الإجبارية لأنني كنت أعتقدك رافضا لها، لكل سلوكاتك تؤكد أنك عاشق لها متلذذ بمآسيها، لذلك أوجه نداء من مسلم شاب إلى كل الجهات المسؤولة وأصرخ به ملء حنجرتي، أطلقوا هذا الشيخ فإن سجنه الحقيقي في إطلاق سراحه !

رسالة الأمة
2000/2/7

مذكرة «إلى من يهمه الأمر»

تحت مجهر الكتاب والسنة

أبو إسحاق نور الدين

■ نشرت جريدة «المستقل» في العدد 308 الصادر بتاريخ 3 فبراير 2000، النص الكامل لمذكرة الأستاذ عبد السلام ياسين مذكرة «إلى من يهمه الأمر» التي وجهها لولي الأمر على إثر ذلك كثر الكلام حول هذه القضية وكثرت الانتقادات والتحليلات إلا أن العامل المشترك لجل هذه التحليلات هو ضعف الجانب التأصيلي الشرعي لها وعدم اعتبار المرجعية الإسلامية في الحكم عليها، فكل محلل يحلل الرسالة ويدرسها انطلاقا من إيديولوجية معينة فصاحب المذكرة يتحدث من منبر إسلامي، ويتحدث باسم الإسلام فهو مرشد جماعة يقال إنها من أكبر الجماعات الإسلامية في المغرب فلزم إذن أن نزن هذه المذكرة بميزان الشرع حتى نعرف مدى موافقتها للأصول الشرعية من مخالفتها لها فقد قال الله تعالى: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**﴾، 59 النساء.

فالقارئ لهذه المذكرة يجدها تخلو من أية آية قرآنية أو حديث نبوي من شأنه أن يجعل لها مكانة خاصة أم أن الرجل يعتبر الاستدلال بنصوص القرآن والسنة في هذا المقام وصمة عار، وعلامة تخلف، ودليل رجعية فأين الجانب الإسلامي في هذه المذكرة وأين العدل فيها والإحسان؟!

فإليك أخي القارئ بعض الملاحظات على هذه المذكرة ولن أستوفي كل الأخطاء التي حوتها فإني أرى في ذلك

يتبع في ص : 33

إطالة للمقام وإضاعة لوقت الكاتب والقارئ وإليك التفصيل والبيان:

1 - أنصيحة أم تشهير وفضيحة؟

كان على ياسين - إن كان يريد الله والدار الآخرة - أن يخفي نصيحته ويسربها إلى ولي الأمر ويستحضر قول الرسول ﷺ: «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده له علانية ولكن يأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه» رواه ابن أبي عاصم وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم 1096. فالمسلم يتبع الرسول ﷺ وإن خالف أمره النفس والهوى ألم يقل الله تبارك وتعالى ﴿**فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾ النساء 65.

وقد يقول قائل إنه ليس بمقدور هذا الرجل أن يخلو بولي الأمر فالحصار مضروب عليه، وحتى بغير الحصار فلا يمكنه ذلك، فأقول: هذا صحيح ولكن بإمكانه أن يراسله سرا دون أن يعلم الناس، وهذا مالم يحرص عليه هذا الرجل وإلا فما الذي دفعه إلى طبع آلاف النسخ منها بل وما الذي دفعه إلى إرسالها عبر «الإنترنيت» وكأنه يستعرض عضلاته أمام العام والخاص.

ليقول «ها أناذا فاعرفوني»، بل إنه يقول في مذكرته: «أنت ياصديقي القارئ أنت يا أخي في العقيدة، أنت يا أختي...» ويقول «عزيزي القارئ، أخي وأختي! يا من تقرؤون كلماتي...» فيا ترى! ما علاقة نصيحة موجهة لولي الأمر بالقارئ وبالأخ والأخت في العقيدة؟ فهذا الرجل يضع في حسبانه وهو يسود ورقات مذكرته أنها مكتوبة لا للولي فقط بل للعامة، وهذا يخالف النص الصريح المذكور آنفا، وقد سئل ابن عباس رضي الله عنه عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر فقال: «إن كنت فاعلا ولابد ففيما بينك وبينه» جامع العلوم والحكم شرح الحديث 34.

2 - أين المذكرة من الأسلوب الشرعي: ضمن ياسين مذكرته ألفاظا عنيفة وعبارات صلبة لا تتناسب مع مقام النصيحة ولا يخفى ما لهذا من أثر سلبي في منع المنصوح من الإذعان لما فيها من حق - إن كان فيها حق - وقد أمر الله رسوله موسى وأخاه هارون عليهما السلام بإلانة القول لفرعون فقال: ﴿إذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾ طه 43 - 44 فإذا كان موسى وهارون من أحب عباد الله إلى الله أمرا بإلانة القول مع عدو الله فرعون وهو من أبغض عباد الله إلى الله فما بال هذا الرجل مع ولي الأمر الذي نعد من الظلم مقارنته مع فرعون فأين العدل والإحسان يامرشد الجماعة؟ ويأبى هذا الرجل إلا أن يصف الملك الراحل بصفات لا تليق بنا كمسلمين خاصة وأن هذا الأخير قد أفضى إلى ما قدم وأحوج إلى الدعاء منه إلى القدح والسب والشتم فهو عنده «العبد المذنب» و«ليس له من الجلالة سوى الاسم والسوط» وهو ذو «الحماقات المهينة للدين والخلق» وهو لـ«بطاش بالمستضعفين» و«لم يفلت أي قطاع من قبضة الجشع الملكي» وهو «المتآله» «المعصوم» أقول: ماذا يريد هذا الرجل بهذه الشتائم التي لا جدوى منها ولا طائل من ورائها، فما علاقتها بالنصيحة؟ هل يريد من الراحل أن يقوم من لحده ليعلن التوبة؟ أم يريد أن يظهر لنا أنه قادر على الكلام ولا يخشى في الله لومة لائم؟ لكن حيل هذا الرجل لن تنطلي علينا وخاصة أننا نتذكر ما مدح به الراحل من الأوصاف في رسالته «الإسلام أو الطوفان» فقد قال فيها مخاطبا الملك الراحل: «وأنا كنت ولا أزال أرجو أن يبعث الله لنا رجلا في إيمان عمر بن عبد العزيز وقوته وها أنا أرشح لهذا الأمر الجليل حفيد النبي الذكي الألمعي المؤمن الصوفي» ويقول: «ياحبيبي ياحفيد رسول الله» ويقول: «قم ياحبيبي ياحفيد رسول الله إلى نصرة الله ينصرك ويثبت أقدامك» أقول: فلم هذا التناقض الواضح في الأوصاف والتمايل في الأحكام والاختلاف في الألقاب ويكفي هنا إيراد قول الشاعر:

خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري

وعن محمد بن زيد أن ناسا قالوا لجده عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «إنا ندخل على السلاطين فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم، قال: كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ: رواه البخاري.

3 - الحل عند ياسين: كان على ياسين إذا كان يرغب في النصح فعلا أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولاشك أن أعظم منكر من المنظور الإسلامي هو الشرك لقوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ ومغربنا مايزال ملوثا بالشركات فحيثما حللت إلا وتجد القبور والأضرحة تعبد من دون الله، ويذبح لها وينذر لها ويستغاث بها ومع ذلك لا نجد في النصيحة المزعومة أي إشارة لهذا الأمر والمشكلة عند ياسين هي كيف «الحل الجذري لمشكل الفقر الذي يقض مضجع المغاربة...».

والمشكلة أيضا هي «عجزنا عن منحهم - أي الشعب - تحت حكم نيرون أحسن حالا لأنه يؤمن لهم الخبز اليومي...» فلو غيرك يا ياسين قالها ألست حامل لواء الصوفية بالمغرب أليس الصوفية يزعمون الزهد في الدنيا فما هذا المطلب السخيف الذي تجعله على رأس المطالب التي تريدها من ولي الأمر؟

أخي القارئ: إن المشكلة عند الرجل هي تأمين الشغل والخبز والقضاء على الفقر وكأن هذه الأمور ستحول المغرب بين عشية وضحاها إلى دولة إسلامية كما كانت عهد عمر بن عبد العزيز فمتى كان الفقر هو المشكلة لدى المسلمين، قال رسول الله ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لاينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» رواه أبو داود.

فالحل يا ياسين ليس هو تأمين الخبز والشغل ولكن الحل هو الرجوع إلى الدين الذي كان عليه الصحابة والتابعون الذين ربوا لنا مثل عمر بن عبد العزيز، لا دين الصوفية الذين يدعون المسلمين إلى الرباط في الزوايا، والتي مافتئ ياسين يدعو إليها كلما أتيحت له الفرصة. الدين الذي يخرج الناس من عابدة العباد إلى عبادة رب العباد لا الدين الذي يلزم مريدي جماعة العدل والإحسان بالركوع أمام الصنم المتمثل في شخص ياسين، أو تقبيل صورته والتبرك بها باسم الإسلام وهو الذي يوهم الناس بأن ذلك الركوع «وصمة عار على جبين التاريخ الإسلامي» كما ذكره في مذكرته، وهذا على منطق «حلال علينا حرام عليكم».

4 - ماذا يريد ياسين؟ كان الأجدر بياسين أن يختصر الطريق ويأتي الدار من بابها ويكشف عن مراده من بداية الرسالة دون أن يضيع وقت ولي الأمر بثرثرة مزيج بين القضايا السياسية والألفاظ الأدبية والعبارات الثورية ليظهر للناس أنه يريد النصح والإرشاد ولم يفصح عن مراده إلا في الصفحات الأخيرة حيث قال: «لقد طال تهميشنا من الساحة السياسية، فلنا الحق إذن في التحفظ على إمكانية أن يكف الملك الشاب عما سلف في حقنا...» فليعلنها - أخي القارئ - صريحة أنه يريد تأسيس حزب سياسي صوفي بقناع إسلامي، أو أنه يريد منصبا مميزا يجعله من «صانعي القرار» في المغرب ونذكره بقوله تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾ القصص 83، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة» رواه مسلم.

هذا غيض من فيض ولولا خشية الإطالة لعرفت أخي القارئ مزيدا من الطامات والعظائم التي لا تمت إلى الإسلام بصلة.

أبو إسحاق نور الدين
كلية الآداب بالجديدة
(الأحداث المغربية)
8 فبراير 2000

جريدة «الأحداث المغربية» 21 فبراير 2000 .

عن مذكرة البهتان وعورة الأسلوب

الصراحة التي تصبح وقاحة

فاطمة كدو

قال لي أحد طلبتي : «إن ياسين من خلال هذه المذكرة يعمل جاهدا كي يظل رهن الحصار، لأنه يخشى الإفراج الذي قد يفقده تعاطف البعض معه، وبالتالي ستنجلي دائرة الضوء من حوله ليغدو مواطنا عاديا مكتفيا بالإرشاد داخل جماعته».

وطالب آخر قال لي : «محمد السادس رمز من رموز المؤسسات الدستورية بالبلاد. ولن نطالبه بالمستحيل من أجل تقدم هذا البلد؛ وسندافع عن هذا الرمز بكل ما أوتينا من قوة».

وطالبة أخرى تلاحظ : «إن تعاطف الملك محمد السادس مع الطبقات المحرومة ومساندتهم من خلال الحملات التضامنية قد ضيق الخناق على جماعته وما تقوم به من مساعدات للمحتاجين؛ الأمر الذي جعل طبقات من المحرومين تتعاطف مع الملك الجديد وتلتف حوله».

هولاء هم الشباب الذين توجه ياسين إليهم بالمذكرة، ومن خلالهم مرر خطابه للملك محمد السادس.

إن الشيخ لا يرضيه لا ملك البلاد «الشاب» ولا «الشباب» الملتف حول الملك، فجاء خطابه مناورة على واجهتين:

«الملك الشاب» و «الشباب» من أبناء هذه الأمة. فالشيخ لا يخاطب الكهول والشيوخ، بل يخاطب شباب المغرب الجديد/ مغرب محمد السادس.

فقد تكررت الكلمة ما بين شباب وشبيبة... الخ أكثر من 17 مرة : شبيبة مغربية/ الشبيبة الهاتفة.

1 - المستشارون الشباب/ البطانة الشابة .

2 - المستشارين الشباب/ الشبان والشابات/ الشباب اليائس/ الشبيبة العاطلة/ جيل الملك/ نفوس الشباب/ الشبيبة المتحيرة/ شباب تعبث به المخدرات/ الشبيبة/ شبيبة تنحدر/ الشباب العاطل/ المخدر/ الشبيبة المستبشرة.

وذكرت صفة الشاب في حديثه عن الملك محمد السادس أكثر من 23 مرة = 1 . الملك الشاب/ 2 . الملك الشاب / 3 . الملك الشاب/ الشاب محمد السادس/ فتى الأحلام/ 4 . الملك الشاب / 5 . الملك الشاب/ العاهل الشاب/ 6 . الملك الشاب/ 7 . الملك الشاب/ 8 . الملك الشاب/ 9 . الملك الشاب/ 10 . الملك الشاب/ 11 . الملك الشاب/ 12 . الملك الشاب/ 13 . الملك الشاب/ العاهل الشاب/ 14 . الملك الشاب/ 15 . الملك الشاب/ 16 . الملك الشاب / 17 . الملك الشاب.

إن الأرقام المعروضة غنية عن كل تعليق. وهي تبرز الأرضية التي انطلق منها خطاب الشيخ. إنه خطاب يقوم بعملية سرد لعدد من الأفكار والمعطيات والادعاءات، ويشرك القارئ/ الشاب في هذه العملية. وللسرد أهمية خاصة عند Ciceron كما عرضها في كتابه (*) de L'invention وهي الإيجاز والوضوح. وقد جاء خطاب الشيخ موجزا وواضحا في غاياته وأطروحاته. والسرد يستمد مقوماته من خلال الربط بين الأفكار والمواضيع. وإشراك المخاطب في عملية السرد هذه تظهر بين الفينة والأخرى من خلال التوقف عند مستوى معين، والانتقال إلى مستوى آخر؛ وهذا التوقف يتم خلال بعض الجمل ك: «أنت يا صديقي القارئ! أنت يا أخي في العقيدة! أنت يا أختي! يا من تشاطرونني حسرتي على بلدي....» (ص 7) و «لست هنا نذير شؤم تذعره المخاطر الواقعة والمحتملة، بل يدفعني إلى ما أقول واجبي بوصفي مسلما أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر» (ص 12) و «عزيزي القارئ! أخي وأختي... يا من تقرؤون كلماتي! لا تحسبوا أن حدة ألفاظي وشدة خطابي نابعتان من مرارة طالما كتمتها في العهد الغابر، بل هي الحسرة على الإسلام المكلوم...» (ص 18).

وتعتبر بداية الخطاب (exode) مكاشفة بين المخاطب والمخاطب، تعكس أن الشيخ يدرك ويحس هموم ومشاكل الشباب الذي يعقد آمالا على عاهله. لكنه في ذات الآن يمرر ضمنيا تنبيها لهذا الشباب، ويقزم آماله وتطلعاته بأسلوب استهزائي تحقيري «للملك الشاب محمد السادس رصيد من المودة تكنها له شبيبة مغربية اكتشفت فيه صاحبا لها، رمزا لتحريرها، بشرى لها بمستقبل يبش في وجهها بعد عبوس. فخلال الأسابيع الأولى من حكمه. وأينما ساقته حملته التدشينية، كان الملك الشاب على موعد مع الحماس «الفتى الجياش» (ص 3).

ثم يستأنف قائلا في (ص 4) : «جميلة تلك الوعود المنثورة على الرؤوس بسخاء لكن ما أبشع الخيبة حين تستفيق الشبيبة بعد حين من الأماني المعسولة على مرارة الواقع التعس!».

إن تقنيات الخطاب السياسي، ليست هي التوضيح Démonstration ، وإنما الإثارة والتأثير والإقناع، من أجل دفع المخاطب/ المستمع إلى تبني موقف معين أو أطروحة نريده أن يعتنقها ويؤمن بها . وعملية البرهنة (argumentation) لها دورها الفعال. بل هي قناة أخرى من قنوات الإقناع من خلال المعجم الديني مثلا : (الأحاديث النبوية «ص 15من المذكرة) «كتاب المظالم» (صحيح البخاري) والمعجم التاريخي : عمر بن عبد العزيز.

بل إن الشيخ يستدعي خطابات أثارت ضجة على المستوى الإعلامي والفكري والسياسي ليطعم بها ومن خلالها أسلوبه وتقنياته في البرهنة المفتعلة.

1 - الفقرة المعنونة بـ : الحدائق الشيطانية (ص 17) وهو عنوان يحيل على كتاب آيات شيطانية لسلمان رشدي، الذي كفر وأهدر دمه. وهو الأمر الذي يستدعي قراءة (ص 25) وما ورد فيها من اتهامات للشيخ في حق المغفور له الحسن الثاني واصفا إياه «بالمهين للدين» مع أننا نعلم جيدا رسوخ الراحل في العلم، وإعلاءه لكلمة الله على مختلف المنابر.

2 - استخدام كلمة «صديقنا الملك » في إحالة على كتاب : mon ami le roi.

فالشيخ لا يعجبه لا الملك الراحل الحسن الثاني ولا الملك محمد السادس وكأن الشيخ يرى في نفسه وجماعته، بديلا لهذه المؤسسة الراسخة في تاريخنا وقلوبنا رسوخ الإيمان في الصدر.

وإذا كان الشيخ يستهزئ من هذه الشبيبة، وهذا الشباب الذي منح الملك كامل الثقة والحب، فإن عورة أسلوبه قد تجلب عليه طوفانا من الغضب الشبابي من حيث لا يدري ولا يعلم.

فشبابنا ليس في حاجة إلى دروس. لقد نفر من الكلمات الخشنة الواردة في المذكرة في حق ملك البلاد محمد السادس. وأدرك جيدا أسلوب الاحتقار المغلف بالنصيحة والصراحة بدافع الغيرة على الوطن. وكأن هذا الشباب «مخدر» لا غيرة له على الوطن وعلى مؤسساته؛ وعلى «مرارة الواقع التعس» (ص 4)، فهل يا ترى يملك الشيخ العصا السحرية ليغير هذا الواقع بين عشية وأخرى؟ أم ترى أن ما رواه عن الثروة القارونية للعائلة الملكية هو الخيط الأبيض الوحيد الذي تراءى للشيخ في عتمة حصاره فأراد ركوبه ليدعو الشباب إلى «العصيان المدني» كما دعا أحدهم في مناسبة أخرى،(*) فالدعوة إلى العصيان المدني، والتكفير والفتنة، والطوفان، أصبحت موضة هذه الأيام. بل إن الشيخ يبث الانهزامية في نفوس الشبيبة المدرسية «لكن الإغراق في تقديم التحيات الصباحية واليد على الفؤاد واستنفاد الجهد في الصدح بالنشيد الوطني لن يلبثا أن ينهزما أمام جحافل البؤس لتفقد الصنمية الجديدة صدقيتها» (ص 5). وتثبيط العزائم هذا يتكرر مرارا كما سنوضح ذلك. وإذا كان الشيخ يتساءل من خلال مذكرته : من يخدع من؟ فإننا نعيد إليه السؤال، لنسأله بدوره : من يخدع من أيها الشيخ ؟

وهكذا يعرض الشيخ استهزاءاته عبر معجم يستقبل المستقبل ويقرب نهاية الحاضر المليء بالإشارات الجيدة :

- لن تلبث الصورة المزركشة والنية الحسنة للسلطة الرمزية الجديدة أن تخونهما الإكراهات الاجتماعية والاقتصادية (ص 4) .

- لا أمل لمحمد بن الحسن ولا لمغرب محمد ما دام الإثنان يخبطان في ليل الارتجال، ولا مخرج للجهاز المخزني من المتاهة التي يدور فيها مهما بلغت جرأة الملك الشاب، ومهما عظمت الآمال التي يجسدها في أعين الشعب المعبر عن ارتياحه. فمادام مشروع المجتمع المحدد بوضوح المعبئ للشعب، كل الشعب غائبا فلا أمل في الإفلات من طوفان يوشك أن يحل» (ص 23).

فما قام به الملك الراحل من إصلاحات دستورية وحقوقية هو خبط في ليل الارتجال، والإشارات القوية في العهد الجديد في إطار استكمال ما قام به الراحل من إصلاحات هو خبط في ليل الارتجال، ومغرب محمد السادس الذي تجاوب مع الإصلاحات بكافة أشكالها، وحافظ بوعي كبير على وحدته في أدق مرحلة من مراحل المغرب وهي الانتقال من عهد إلى عهد آخر، هي في رأي الشيخ خبط في ليل الارتجال...إلخ.

بل إن الشيخ لا يرضيه حزم وصرامة الأب في تربية ابنه : ملك المستقبل، وما ينبغي أن يتحلي به من عزم وقوة لا تنفع معها تربية التنازلات وغض الطرف....إلخ «يعلم محمد السادس - قبل أي شخص آخر -وهو الذي طالما قاسى من والده الأمرين....» (ص 24). فالشيخ لا تعجبه قوة الشخصية التي زرعها الملك الراحل في ابنه. بل يعمد إلى التحقير من خلال توظيف معجم يقلل من شأن هذه الشخصية القوية واصفا إياها بالمسكنة، وفتى الأحلام أن يفعله تلبية لنداء الشعب / مسكين هذا الملك الشاب/ ملك مبتدئ».

والصراحة التي يدعيها الشيخ في (ص 8)، تصل حد السب والقذف، ففي (ص 29) نقرأ مثلا : «أليس من العبث أن تملأ الدنيا تطبيلا وتزميرا لمؤسسة الحسن الثاني التي ما اختمرت فكرة تأسيسها إلا في رأس مخبول أو ذهن منافق مكار؟ أليس من المضحك المبكي أن نقرن إسم رجل يعرف الخاص والعام أنه من بين أكبر قوارين هذا الزمان بتدبير المليار اليتيم ثمن الرخصة الثانية للهاتف النقال؟» وقد استعمل أيضا في خطابه أسلوب المدح بغرض الدم : «يبدو أن العاهل الشاب ينتمي إلى هذه الطينة التي يأرق جفنها لتعاسة الفقراء، بدليل انحنائه المؤثر المتأثر على الصغير المعاق ليقبله، وعطفه على المحرومين المصطفين أمام بيته المغمورين بعطاياه ورعايته» (ص 26) و«هل للملك الشاب ذي القلب الرحيم همة الأبطال المراودين للمحال؟ هل يملك من الخيال «الساذج» ما يؤهله للتعالي عن منطق الانهزام....» (ص 27). فهل هكذا تكون النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين أيها الشيخ؟

وفي النهاية، ليس أجمل من أن نختم مقالنا هذا بما ختمت به مذكرتك، مع استئذانك في إدخال بعض التعديلات.

كفر عن مظالم دعواتك للنيل من شباب الأمة ما سلبته منه من عزيمة وإرادة واعتذر له! كفر عن خطاياك فليس أعظم من الخطايا الداعية إلى الفتنة. والفتنة أشد من القتل! والله يتولى الصالحين.

ملحوظة : *حررت هذه الأسطر باللغة العربية لأسباب واضحة، وهي أنها لغة القرآن. ولغة القرآن ليست ثرثرة ممجوجة، وهي لغة لا نخجل من استعمالها وتدريسها لطلبتنا. ونخبنا قبل أن تتعلم اللغات الأجنبية، حفظت آيات وسورا من القرآن في المسيد والمدارس الابتدائية وهي حديثة السن، وتشبعت بلغة القرآن.*

فاطمة كدو

على هامش مذكرة عبد السلام ياسين

دولة الحق والقانون تستلزم الضرب على أيدي من يهين المؤسسات الدستورية للبلاد

لهرناف إيمان

■ «المقلق بالنسبة للتطرف كيفما كان نوعه سواء كان يساريا أي ماركسيا لينينيا أو كان تعصبا يأخذ شكلا دينيا هو أن تنعدم الحرية، لأن أحسن مبيد لهذه الطفيليات هو الحرية ولا أقول الترخيص، بل الحرية المستوعبة جيدا والمتحكم فيها والممارسة بشكل جيد، فما دامت حرية في هذا البلد، وما دامت هناك ديمقراطية فأنا لا أخشى التطرف بكل أشكاله».

حديث ملكي للقناة الثانية الفرنسية بتاريخ 2 شتنبر 1992، انبعاث أمة ج 37 ص : 284.

على سبيل التمهيد : العدل والإحسان واستراتيجية الارتزاق السياسي بالحصار :

إذا كان ثمة من اختلافات تفرق القوى السياسية التي تشتغل في الحقل السياسي الرسمي حول أشكال تدبير انتقال مغرب هنا والآن إلى دولة ديمقراطية، وإذا كانت نظرة النخبة السياسية تتباين بل وتتصادم أحيانا حول أسلوب إدارة الشأن العام خاصة عقب تنصيب حكومة سياسية، توجد على رأسها شخصية حقوقية لا غبار على نزاهتها مما فجر نقاشات غير مسبوقة وخصبة حول أسئلة المنعطف السياسي الجديد خاصة ما يرتبط بتشييد دولة مؤسسات ونزع الحمولة المخزنية عن بنيتها التقليدية، وإذا كان العالم قد ترقب بإعجاب السلاسة التي تمت بها عملية انتقال الخلافة من الملك الراحل الحسن الثاني إلى الملك الشاب محمد السادس الذي تظهر شهوره الستة التي تسلم فيها مقاليد الحكم عن إرادته الصادقة في تعميق أسس دولة الحق والقانون وتجذير مفهوم جديد للسلطة، وإذا كان الشعب المغربي حسب ما جاء على لسان الوزير الأول عبد الرحمن اليوسفي - «يملك ما يكفي من النضج ليدرك أننا نسير في الطريق الصحيح»،(1) فإنه يبدو أن هناك مكونا سياسيا يتحصن وراء الشرعية الدينية لم يدرك بعد طبيعة التحديات التي تواجه المغرب فجر القرن : 21.

فقد شاء مرشد جماعة العدل والإحسان عبد السلام ياسين المحاصر منذ دجنبر 1989 إلى الآن بعزلته الصوفية بفيلا زنقة الخيزران بسلا أن يضبب الرؤية حول التسويات الجارية حول ملفه الذي يعد من أبرز ملفات العهد البائد المعلقة.

وإذا كان مناضل تقدمي كابراهام السرفاتي الذي قضى ما ينيف على 18 سنة من الاعتقال بسبب موقفه من قضية كانت ولا تزال محل إجماع المغاربة، قد أدرك بإيمان من يريد خدمة وطنه تقاسيم العهد الجديد ولم يتردد في طلب الإسهام في بناء دولة ديمقراطية ومغرب حداثي تحت قيادةجلالة الملك، وإذا كانت عائلة عريس الشهداء المهدي بن بركة قد حنت لرائحة تراب الوطن واختارت الدخول بإرادتها لإعطاء صورة حقيقية عن مغرب يعترف بكل أبنائه، وإذا كانت الإرادات الحية ما فتئت تعلن عن ضرورة التعبئة وراء ملك شاب حداثي لبناء مغرب الأجيال القادمة، فإن الأمر يبدو مخالفا لـ«شريف» مريدي العدل والإحسان الشيخ ياسين الذي أفلحت بلادة السياسة البصروية السيئة الذكر في أن تصنع منه بطلا قوميا وزعيما شعبيا بامتياز.

وهكذا طلع علينا الشيخ بترجمة مزيدة ومنقحة، من رسالته الشهيرة الإسلام أو الطوفان عنونها هذه المرة بـ«مذكرة إلى من يهمه الأمر»، في 32 صفحة مؤرخة في 14 نونبر 1999 وتوجد نسخة منها مبثوثة في دولة الشيخ المقامة على أسلاك الأنترنيث وتحمل هذه المفكرة بين طياتها تحاملا واضحا على المؤسسات الدستورية، وتريد أن تعطي الانطباع بأن لا شيء تغير في المغرب وأن الديناميكية الملحوظة التي يعيشها الوطن على علاقتها تبقى محض هراء ومجرد ذر للرماد في العيون.

قد لا نختلف مع ياسين حول استفحال الأزمة بمغربنا الحبيب، إلا أن ذلك لا يمنعنا أن ننبهه إلى أن ثمة ضوابط ينبغي الالتزام بها في إبداء الرأي وآداب يستوجب احترامها في إسداء «النصيحة»، فالديمقراطية وحرية التعبير كمكاسب ناضلت من أجلها القوى التقدمية وقدمت في سبيلها عرسا من الشهداء لاتسمح لأي كان بأن يجعلها مطية لخرق القانون والتحامل على رموز البلاد ومؤسساتها بدعوى الصدق العاري من أي تنميق.

وبالوقوف على نص المذكرة نجد - وإن كان الأمر من اختصاص القضاء - ما ورد في مطبوعه على أنه جريمة ينطبق عليها منطوق الفصل 41 من ظهير 15 نونبر 1958 بشأن قانون الصحافة والمعدل بظهير 10 أبريل 1973 الذي ينص على أنه :

«يعاقب بسجن تتراوح مدته بين سنة واحدة وخمس سنوات وبغرامة تتراوح بين 100 ألف فرنك و 10 ملايين من الفرنكات أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط على كل من مس بكرامة جلالتنا وكرامة أصحاب السمو الملكي الأمراء والأميرات وذلك بإحدى الوسائل المنصوص عليها في الفصل 38. فمطبوع ياسين المتحامل على مؤسسات البلاد الدستورية إلى جانب كونه مبثوث في الأنترنيث قدتم إشهاره في ندوة دعيت إليها الصحافة الوطنية والأجنبية، ويتم توزيعه بطريقة احتفالية في الجامعات المغربية، ولنا أن نتساءل هل القصد من وراء عمل كهذا النصح لولي الأمر أم أنه نوع من التسويق الإعلامي لوضع الشيخ الملتذ بحصاره الجسدي؟ ثم هل إجماع الطبقة السياسية حول كون حصار ياسين يتنافى ودولة الحق والقانون يبرر له أن يقول ما يريد ووقتما يريد وبالأسلوب والطريقة التي يريد ؟ أم أن ثمة حدودا قانونية مرسومة لا ينبغي لأي كان أن يحيد عنها ؟ وهل ستنال ممن يهمه الأمر استفزازات ياسين ويطالب بمتابعته بجريمة إهانة المقدسات ومنحه بالتالي شرف الاعتقال من جديد في مرحلة دقيقة من تاريخ المغرب الراهن، أم أن الحكمة تستدعي تجاهله وتركه يصيح في الخواء والانصراف إلى قضايا الأمة الحقيقية إيمانا بجواب جلالة الراحل الملك الحسن الثاني عن سؤال لأسبوعية لوفيغارو ومغازين حول التطرف الديني قال : «إن التطرف الديني عندما يكون فرديا يستدعي الاحترام، لأن الأصولي في الديانات المسيحية واليهودية والإسلامية هو الشخص الذي لايتبع التعاليم السماوية بدقة فحسب بل بنوع من الصرامة كذلك ؟.(2)

شيء من التاريخ : التيار الإسلامي والديمقراطية مفارقات بين الخطاب والممارسة

إن المتأمل في التاريخ السياسي لمغرب الاستقلال يجد أن من الأساليب الدفاعية التي التجأ إليها النظام المغربي لكبح جماح الحركات المتياسرة التي اجتاحت مغرب السبعينيات هو الدفع بالحركة الأصولية إلى الساحة السياسية وإخراجها من الظل وتيسير السبل أمامها لتعقب الماركسيين «والملاحدة الاشتراكيين» في الجامعات والثانويات على وجه الخصوص، وقد أسفر هذا الأسلوب المنتهج عقب محاولة أوفقير الإنقلابية الفاشلة عن بروز الشبيبة الإسلامية بقيادة عبد الكريم مطيع المحكوم بالإعدام غيابيا في ملف الشهيد عمر بن جلون، وهو التنظيم الذي سيبرز كسيف ذو حدين وسرعان ما سينفلت عن الحدود التي كانت مرسومة له آنذاك وهو مواجهة اليسار بالعنف الدموي، والتكفير اللفظي، ليكشف القناع عن نزعته الظلامية ومسلكه الإقصائي، وبعد أن استنفد جدواه وأدى مهمته بتلطيخ يده بدم فقيد الاشتراكيين المغاربة الشهيد عمر بن جلون في قضية اغتيال غامضة تقاطعت فيها مسؤولية الدولة بمسؤولية شخصيات لاتخفي ولاءها للحركة الإسلامية.

ويبدو أن مناصري الحل الإسلامي يعاودون الظهور في حلة جديدة بقدر ما تستفيد من الهامش الديمقراطي الممنوح للفاعلين السياسيين بقدر ما تنبيء ممارستها عن أفق ظلامي لا يبشر باقتناعها التام بجدوى الديمقراطية كأسلوب لتحصين الاختلاف وإدارة الصراع.

لقد تمكن النسق السياسي المغربي من أن يحتوي الاتجاه الإصلاحي في صفوف الإسلاميين المغاربة، وبدا أن ظهير الحريات العامة الذي يمنع تأسيس حزب سياسي على أساس ديني أو عرقي قادر على توفير حد أدنى من الحقوق والحريات تكاد تنعدم في عدة أقطار عربية وإسلامية (نموذج تونس وتركيا). وعلى الرغم من الطابع اللا أخلاقي للحرب الدينية التي يخوضها بالوكالة إصلاحيو العدالة والتنمية (الغطاء السياسي لحركة الإصلاح والتوحيد الأصولية) ضد خطة العمل الوطنية من أجل إدماج المرأة في التنمية، فإنهم يظلون لحد الساعة منضبطين لثوابت ومقدسات المملكة، مقارنة مع تنظيم العدل والإحسان بقيادة ياسين الذي ما فتئ منذ ولادته الروحية الثانية في خلوات الزاوية البودشيشية بمداغ (قرب بركان) على يد الشيخ العباس القادري يتجرأ على الملكية المغربية كمؤسسة دستورية لها وضعها الاعتباري المستمد من حقول ثلاثة:

- حقل إمارة المؤمنين المرتكز على الاعتبار الديني المدستر قانونيا (الفصل 19 من الدستور).

- حق التحكيم القائم على أساس الاعتبار والتقاليد المغربية.

- حقل إمارة المؤمنين المرتكز

على الاعتبار الديني المدستر قانونيا الذي يتأسس على اعتبار متطلبات العصر.(3)

ياسين أو ماو يخترق الحصار في جبة الحلاج :

إذا كانت كافة القوى السياسية بيمينها ويسارها تكاد تجمع على ضرورة رفع الحصار اللاقانوني عن ياسين، وجعله يعبر هو وجماعته عن آرائهما في ظل احترام للقانون، فإن الإجماع لاينبغي أن يطمس حقيقة مفادها «أن الشيخ ياسين لن يفيده في شيء أن يذهب الحارسان الواقفان على باب بيته ما دامت كلماته تقرأ وتسمع وترى مما يجعل أي أرض هي غير صالحة لكي تكون أرضا مشتركة للمفاوضة أو للنقاش».(4) وأن «محاصرة الشيخ ياسين، تفيد الجماعة، رغم أن الوقت لا يلعب لصالحها، ويلعب أساسا لصالح الشيخ، فمكانته المميزة كشيخ ممتنع عن المقايضة والتعامل مع النظام، تفيده في استقطاب شباب رافض بالأساس، وشباب متعطش شيئا ما لإطار لممارسة الرفض».(5) وإلا فما معنى ركوبه على بديهيات معروفة من قبيل استشراء داء الرشوة واليأس والبطالة وانسداد الأفق... وصياغتها في لغة صوفية معتقة من قواميس القرون الوسطى، وتوجيهها في شكل احتفالي ينم عن حب غير صوفي للنجومية والمزايدة إلى من يهمه الأمر، فبدون احترام القواعد الأولية لشكليات البروتكول وقواعد اللياقة. ومنطوق الدستور الذي ينص في فصله 23 على أن شخص الملك مقدس لانتهاك حرمته... لم تستثن مذكرة ياسين أحدا بما في ذلك المؤسسة الملكية مرورا بالحكومة والبرلمان والأحزاب السياسية، وحتى الدوار المتنورة داخل المجتمع المدني».(6)

فالطبقة السياسية في نظر صاحب «حوار مع الفضلاء الديمقراطيين» : «نبذت إسلام المسلمين ودانت بإسلام الشعارات الخاوية(..) وهم أصحاب همم خسيسة» وليست الحملات الإنسانية التي عرفها المغرب للتضامن ضد الحاجة في نظر صاحبنا «سوى حملات لترسيخ دعائم ثقافة جديدة : «ثقافة التسول» «أما التناوب حسب الشيخ فهو : «من صنع حاشية من المداهنين الخانعين المشتركين في جريمة التغرير بالشعب القاصر، هذا الشعب الذي طالما خدعة الإجماع التوافقي لطبقة من محترفي السياسة..» ليخلص «الشريف الإدريسي» : «بأن الملك الشاب لن يستطيع شيئا إذا استسلم لترانيم سدنة العهد القديم، وسلم مقاليد حكمه إلى الحسابات التناوبية لتتكفل بترشيد سير الأمور» وبشبه صيغة ملتبسة يبرر نصيحته قائلا : «وهكذا بحكم الدم الذي حققته حين تفضلت على الناس ببروزي للوجود مولودا مقدسا، لي الحق أن أتحكم في مصائر العباد وألا يكون خلاصهم إلا على يدي».(7)

وحين نستقصي الخلاص في كلمات الشيخ التي يعف القلم عن ذكرها، وفي أساليبه المعتقة في دنان البلاغة الصوفية لانظفر بسوى بجرد خجول لمعطيات متداولة وموثقة في أكثر من حوار ومداخلة للنخبة السياسية وعلى رأسها مداخلات الوزير الأول سواء في معرض رده على مناقشات الفرق البرلمانية عقب التصريح الحكومي في 17 أبريل 1998 حيث عبر بوضوح ومسؤولية عن طبيعة الإرث الثقيل الذي خلفته سنوات محاصرة خيرات المغرب، كما اعترف بأن أربعين سنة من الفساد والتسيب يصعب تجاوز آثارها في ظرف سنتين، فالمهم أن ثمة أشياء تتحرك وإن ببطء، وسنكون عدميين إن انسقنا وراء سوداوية ياسين المفتقدة لبديل واقعي.

خلاصات أولى : العدل والإحسان أو الطوفان :

لعل الخلاصات الأولى التي يمكن استقراؤها من مذكرة ياسين هو كون الرجل وهو على مشارف عقده الثامن، لا يميز بين وضعه «المقدس» داخل زاويته الجديدة «العدل والإحسان»، حيث يعتبره مريدوه منحة ربانية لاتحتاج إلى تزكية من أحد، في الوقت الذي لا يعدو أن يكون «حسب المرحوم محمد البشيري أحد المؤسسين الفعليين لجماعة العدل والإحسان : «دون كيشوطا يستبسل في منازلة الطواحين الهوائية بعد أن صور له خياله المريض أنها أبطال تتلقى طعناته البارعة القاتلة وتخر صرعى عند أقدام جواده»(8) وبين وضعه كمواطن مغربي ملزم باحترام القانون، والإلتزام بما ينبغي للمؤسسات الدستورية من توقير واحترام وإلا فإن المشرع واضح في ضربه على يد كل من سولت له نفسه أن ينطق عن الهوى وينشر في الناس مقالة السوء.

ثاني الخلاصات هي أن ياسين مطمئن على وضعه «كضحية لنظام جبري» وكبطل أسطوري لايهادن ولا يتنازل، مما يجعل من أمر رفع الحصار الجسدي عنه أمرا معقدا مهما خلصت النيات وصدقت الإرادات في تصفية ملفه، وقد سبق لرفيقه في الكفاح محمد البشيري أن بادره بالسؤال واضعا يده على مكمن علة افتعال الأزمات عند ياسين بقوله : «قل لي بالله عليك إلى متى ستستمر في سياستك التصعيدية القائمة على التحدي المتهور والرهان الخاسر، كأني بك - بل ذلك هو الحاصل في الواقع - تجد إثارة في إيقاظ الأعداء الغافلين عنك وتأليب أعداء جدد ضدك، وتفتح أبواب معارك جانبية استفزازية ومناوشات لا تنتهي لتحظى بالاهتمام وتكون في واجهة الأحداث وتحتل مكانة الصدارة(...) وربما التمست الشهرة بمقارعة المشاهير، لقد أورث هذا المسلك الجماعة تحديا أجوف، وتعاليا كاذبا، وانكماشا وتراجعا وانشغالا بالبحث عن العداوات عن تدارك النقائص،(...) لقد جر تضخم الأنا عندك - والكلام دائما موجه من البشيري لياسين - المصائب والمكائد على الجماعة فشغلتها بالإعجاب بك عن النظر إلى حالها نظرة تفحص ونقد، وأخذ رموزها يرددون أقوالك كالببغاوات، ومن ورائهم المستلبون المنبهرون بما لا يعرفون.

وهذا ما يستدعي التعامل مع نزعة ياسين التصعيدية بروح القوانين وعدم الإنسياق وراء استفزازاته مع الإقرار بما له من حقوق وبما عليه من واجبات، واعتبار جماعته كأي مكون سياسي لها الحق في أن تشارك في التعبئة لأفكارها بطرق مشروعة، وبما لايتعارض أو يمس بثوابت النظام المغربي.

أما ثالث الخلاصات فهو أن ياسين وجماعته تفتقد لرؤية مجتمعية اقتصادية وسياسية واضحة لإخراج المغرب من عنق الزجاجة، إذ باستثناء الطابع التربوي والروحي المحض لمؤلفات ياسين لانكاد نظفر بحلول واقعية قادرة على مواجهة تحديات العولمة والإدماج في مجتمع الإعلام التي تنتصب في وجه المغرب والمغاربة، وكما يرى الباحث ذ محمد الطوزي «هناك ضبابية في الرؤية، فلحد الآن لم يعط الشيخ برنامجا سياسيا واضح المعالم، فهناك تصور عام للمجتمع الإسلامي، ولكن هناك آليات واضحة تجاه الفرقاء السياسيين الآخرين، ولكن داخل الجماعة نفسها، هناك حركية سياسية على المستوى الطلابي ومستويات أخرى، ولكن هذه الحركية لاتدخل في مشروع سياسي متكامل».

فبدلا من الإغراق في تحبير رسائل وكتب تمتح من معين ميتافيزيقا التصوف يجدر بياسين أن ينزل إلى الواقع ويخالط الناس ويصبر على أذاهم ويسهم من موقعه في عملية البناء، إذا كانت لديه النية في خدمة الوطن، وإلا فدونه الزاوية حتى يكون منسجما مع مقام المشيخة حيث الصوفي المتجرد لا ينفك يحارب أناه وحب نفسه للرياسة.

إلا أنه يبدو أن الشيخ لربما اختار أن يترقب في شبه شماتة انهيار المغرب ليعيد كما يتوهم بناءه على منوال الخلافة على منهاج النبوة.

وبقي أن نشير إلى أن حكومة التناوب التوافقي وكافة القوى التواقة إلى التغيير العقلاني عليها أن : «تدرك أن الجهود التي بذلت خلال سنوات عديدة من أجل فرض التغيير لاتضاهيها إلا الجهود التي من الواجب بذلها اليوم لتجسيد هذا التغيير، فعليها تقديم المثل الأعلى، وتغذية الأمل في نفوس شباب ضائع وحائر وشعب ينتظر، من خلال مشروع ديمقراطي فعال ومعبئ وقادر في الواقع اليومي على ترجمة قيم التقدم والحداثة في إطار الوفاء لرصيدنا الثقافي».

وإلا فإن «أول خطوات العمل - في تصور ياسين لغد الإسلام - وأوسطها وآخرها استبداد تربوي، فلا مندوحة للإمام من اختيار بطانة له من نفسه، فأولئك أصحاب شوراه الأسبقون، وبعد ذلك في مرحلة التنظيم الوسطي حيث تدبر المؤسسات وتوضع للاختبار (...) يستبد الإمام وبطانته حتى تذوب العداوة ويستوي تنظيم الدعوة وتستوي النصيحة ويرشد المؤمنون (...) فالخلافة الإسلامية هي قوية بقوة المصحف والسيف».(9)

وقد سبق لياسين أن أكد : Demain C'est l'islam, aujourd'hui, le déluge emporte déjà bien des cadavres politques et, mettez vous bien ce la dans la tête.

لهرناف إيمان

الهوامش :

1) انظر ترجمة لحوار الوزير الأول مع جريدة «إيبل بابيس، جريدة الاتحاد الاشتراكي 2 فبراير 2000 عدد : 6090.

3) للاستفاضة في الموضوع يرجى الرجوع إلى رسالة محمد ظريف «تاريخ الفكر السياسي المغربي».

4) الاتحاد الاشتراكي 28 يناير 2000 عدد : 6014.

5) انظر حوار أسبوعية الصحيفة مع الباحث محمد الطوزي العدد : 64/ 25-31 دجنبر 1999.

6) نبيل بنعبد الله جريدة البيان عدد : 2977، بتاريخ 2 فبراير 2000.

7) جميع العبارات مقتطفة من مذكرة ياسين خاصة الصفحات 5 و 7 و 9.

8) شريط صرخة هابيل للمرحوم محمد البشيري عضو مجلس إرشاد العدل والإحسان الذي تم طرده من طرف ياسين.

9) من كتاب عبد السلام ياسين «الإسلام غدا» مطابع النجاح بتاريخ 20 غشت 1973 ص : 908 و 909.

10) ABDESSLAM YASSIN : Pour un dialogue islamique avec les élites occidentalises in littoral Rabat p 41.

(جريدة الأحداث المغربية) «الاثنين 14 فبراير 2000 العدد : 411»

***

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمذكرة المعلومة

م. الوكيلي

■ كلنا يعلم أن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منوط بكل مسلم ومسلمة، ولا يتخلف عن القيام بمسؤولياته إلا أصحاب الرخص الشرعية، كالقاصرين، والمعاقين ذهنيا، والسفهاء، والمجانين...

غير أن الإسلام أناط هذا الواجب، بشكل رسمي ومنظم ومضبوط، بعنق المحتسب، فجعله قيما على هذه المهمة متابعا (بفتح الباء) في تدبيرها ومحاسبا (بفتح السين) في حالة تقصيره في الاضطلاع بها كما يجب أن يكون الاضطلاع.

وقد أحاط المشرع الإسلامي هذه المهمة الجليلة للمحتسب بجملة من الشروط - كما ينص على ذلك حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في إحيائه - منها على الخصوص:

* التبرؤ من أي مصلحة أو منفعة سياسية كانت أو قبلية عرقية أو مذهبية أو نحوها؛

* التحلي بالعدل والنزاهة مع سعة العلم والمعرفة؛

* توخي اللباقة واللطف والتأدب في الخطاب باعتماد أسلوب الترغيب والمجاملة عملا بقول الحق عز وجل: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ وقوله سبحانه: ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾.

* الاحتراز من إحراج المرء الذي تنفذ عليه الحسبة أمام الملأ، حتى يترك له المجال فسيحا ليتراجع عن أفعاله دون أن يمس ذلك بكرامته أو يسود سمعته أمام الناس؛

* توخي امتلاك الأدلة والحجج الدامغة على إتيان مرتكب الفعل المحتسب عليه لما وقع اتهامه به؛

* الاستعانة بذوي العلم والرأي على رده بالليل واللطف قبل اتخاذ أي قرار بتعنيفه وزجره؛

* السعي من وراء تنفيذ الحسبة إلى تحقيق المصلحة العامة دون غيرها عملا بمبدإ تقديمها على المصلحة الخاصة.

هذه إذن، بعض الشروط التي يضعها الشرع الإسلامي أمام كل من يرغب في تحقيق مطلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخصوصا إذا كان هذا المنفذ محتسبا بالتعيين أو بالعادة والعرف. وقد اعتبر جمهور المسلمين الأئمة والأساتذة والمعلمين ورجال الفكر والعلم بمثابة محتسبين مكلفين من لدن المجتمع بالنيابة عنه في القيام بها في أحسن الظروف.

لنأت الآن إلى المذكرة الموجهة «إلى من يهمه الأمر»، كما ورد على لسان مهندسها، ولنركم من الشروط السابق ذكرها قد تم استيفاؤه فوق سطورها، وبين السطور ووراءها، دون أن يجرنا ذلك إلى تكرار ما ورد فيها من المقولات المبنية في معظمها على أفكار صاحبها وقناعاته الذاتية كما سيبدو أدناه:

نتفق أولا بأن صاحب تلك المذكرة تنطبق عليه أوصاف وشروط المحتسب، عرفيا، لكونه من أهل العلم والفكر والمعرفة، ولكونه إماما، ولو على الأقل لدى أتباعه ومريديه، واعتباراً لموقعه من الزعامة على رأس فئة تقل أو تكثر من المواطنين، إذ لا يهم العدد هنا وإنما المبدأ.

إذن، فهذا الشيخ في وسعه أن يعتبر نفسه مكلفا - من لدن فئة معينة كما سبق القول - بالقيام بمهام الحسبة، مادامت الهيأة التي يتزعمها وتنتظم فيها الفئة المذكورة معترفا بها رسميا أو على ساحة الواقع العملي.

لنر الآن إن كان ما أورده في مذكرته يعتبر يحق عملا من أعمال الحسبة وبعضا من اختصاصات هذه الأخيرة، ولنتناول ذلك نقطة نقطة قياسا على الشروط التي أوردناها أعلاه، والتي وضعها الإسلام - قولا وممارسة - أمام كل من يضطلع بتلك المهمة:

قلنا إن الشرط الأول هو التبرؤ من المصلحة والمنفعة الخاصتين سواء كانتا ذاتيتين أو حزبيتين أو مذهبيتين... والظاهر أن الصفة التي ينطلق منها صاحب المذكرة تنم بالواضح، لا بالمرموز، على أنه يدافع عن موقف جماعته، ويتبنى هذا الموقف وجوبا لأنه مهندسه الأول. ولو كان هذا الرجل مجرد إمام أو فقيه أو عالم أو معلم أو حتى محتسب مكلف بالحسبة بشكل وظيفي لكان موقفه مغايرا تمام المغايرة.

نفهم من هذا أن الشرط الأول لم ولا يسعه استيفاؤه نظرا لالتزامه المعروف، والذي لا يجهل أحد بأنه موقف حزبي سياسي وإن لم يطلق على جماعته لقب الحزبية.

- وقلنا إن الشرط الثاني يتمثل في التحلي بالعدل والنزاهة مع سعة العلم والمعرفة، وقد أبان صاحب المذكرة في غير ما مناسبة، وعن طريق كتاباته وكتبه، أنه على جانب غير يسير من العلم والاطلاع والموسوعية، فهل ناسب هذا الوصف الجليل ما جاء في المذكرة من أحكام تعسفية يلقيها إلى القارئ كما لو كانت أمرا مقضيا لا يحتاج إلى أي مناقشة؟ بالطبع لا. فصاحب المذكرة قال ما قاله بصيغة الخبر اليقين وهو يعلم أنه يخاطب فئات كثيرة أغلبها لم يسمع قط بما جاء في ذلك القول وذلك الخطاب. كيف إذن يعتبر القارئ، كل قارئ وأي قارئ، موافقا على طروحاته واتهاماته موافقة الموقنين، حتى يحلو له بعد ذلك أن يصدر أحكامه ويوجه نصائحه وهو مطمئن البال إلى تمثيله لإجماع القراء، أو على الأقل، إجماع «من يهمهم الأمر منهم»؟!

هكذا، يتضح لنا أن شرط العدل والنزاهة لم يكن هو الآخر مستوفيا في تلك المذكرة، لأن هذا الشرط يقتضي أن يصوغ الرجل كلامه بصيغة غير تقريرية ولا جازمة، وأن يطرح أفكاره في صورة فرضيات وافتراضات ليس إلا، خصوصا أنه اختار أن يخاطب مجهولا وليس معلوما كما يدل على ذلك عنوان الوثيقة.

وكيف يكون عادلا من يضمن مقدماته الأولى أحكاما مسبقة كان يفترض أن يدلل عليها في آخر كلامه ويثبتها بكل الحجج المتاحة؟!

- وقلنا إن الشرط الثالث يشخصه التأدب في القول واللباقة واللطف. والتي ما هي إلا بعض صفات وخصال العلماء والأئمة والمصلحين، فبالأحرى إذا رغب هؤلاء في الاضطلاع بمهام الحسبة، وبطبيعة الحال، فإن ما ورد في المذكرة المعنية لم يقم مطلقا أي وزن لهذا المطلب، ولم يحترم أي خصلة من خصال أئمة الإسلام ورجالاته ومصلحيه، وهذا يعتبر في حد ذاته منكرا مقيما، فكيف بالله ننتظر من منكر أن يغير منكر، هذا إذا سلمنا أننا فعلا بصدد منكر قائم فعلا.

أريد ها هنا أن أسجل ملاحظة لابد منها:

إنني لا أذهب إلى أن بلادنا لم تشهد أي مظهر من مظاهر الفساد والعنت والشطط... بالعكس، إن هذا البلد الطيب عرف ما لم يعرفه إلا القليل من البلدان في هذا المضمار، وذلك لظروف تاريخية وموضوعية وذاتية تحتاج إلى الكثير من المناقشة والحوار والمراجعة والتقعيد. غير أن الأسلوب الذي اتبعه صاحب المذكرة يصب كل روافد الفساد في حوض واحد وتحويل ذلك إلى مسؤولية فردية، مع علمه هو ذاته بأنه كان في مرحلة من مراحل عمره أحد صانعيها والمستفيدين منها، إنما ينم عن نرجسية بالغة الخطورة وعن رغبة جامحة في تحويل الشأن العام إلى مصلحة ذاتية وحساب شديد الخصوصية... ثم من يكون صاحب المذكرة حتى يكون له ذلك الحساب بتلك الخصوصية الشديدة مع أكبر رمز من رموز السيادة الوطنية؟! هذه مجرد ملاحظة حتى لا يقول أحد إن هذا العبد الفقير إلى عفو ربه ينكر أن يكون الفساد قد أصابنا حتى العظم.

المذكرة إذن، وصاحبها، لم يقيما وزنا لأي خصلة من خصال الإسلام، والتي عبر عنها كتاب الله بالجملة اليسيرة والمفحمة ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ مع العلم أن المقارنة غير واردة مادامت هذه الآية الكريمة تخاطب رسول الله ﷺ في كفار الأمة، ونحن هنا بصدد رموز الأمة وأولياء أمرها الذين فرض الدين لهم الطاعة بعد طاعة الله ورسوله ﷺ، وجعل على كاهلنا الشكر في حالة إصابتهم، والصبر في حالة خروجهم عن المحجة البيضاء، وجعل لهم الأجر في الحالة الأولى والوزر في الحالة الثانية... أم ترى هل نسي الشيخ صاحب المذكرة هذه الحقيقة تحت وطأة اهتمامه بالحياة الدنيا دون غيرها، ولذلك يريد التعجيل بالحساب بعد أن نصب نفسه محاميا عن الأمة، وقاضيا باسمها، ومدعيا عاما، وصار يصدر أحكامه وكأنه وحده في الساحة ولا مناص؟!

أما الشرط الموالي، فهو توخي عدم إحراج المخاطب (بالفتح) أمام الملأ صونا لكرامته. وقد علم كل مطلع على المذكرة المعلومة أن صاحبها لم يدخر وسعا بالمساس بكرامة كل مخاطبيه (بالفتح) بدءا بالقارئ البريء وانتهاء بمن يهمهم الأمر وهم كثر وفي تحديدهم خلاف ولا شك.

إن صاحب المذكرة حتى في حالة صواب موقفه، وهذا محال كما سبقت الإشارة، قد سد كل الأبواب أمام مخاطبيه (بالفتح) وحتى أمام قراء مذكرته، بما ذهب إليه من النعوت والأوصاف والاتهامات المجانية ومن التحامل والقذف... حتى باتت كل الجسور مهدمة وكل العوائق قائمة منتصبة وفارهة أمام كل عودة إلى تصحيح أو توبة إن كان هناك من عائدين ومصححين وتائبين.

نقول هذا، ونؤكد على أن المسؤولية فيما يذكره صاحب المذكرة من الفساد والإفساد يتحملها كل المغاربة بمن فيهم النفر الضعيف البسيط الفقير الذي يمد يده مضمومة على ورقة من فئة 5 دراهم لينال ورقة إدارية في غاية البساطة والتفاهة، وكذلك الشأن، بطبيعة الحال، بالنسبة لليد الممتدة لالتقاط تلك «الصدقة غير المقبولة»!! فكيف إذن

يحرص صاحب المذكرة على صيانة كرامة البعض ويصب جام اتهاماته على رؤوس بعض آخر وهو يعلم أن ذلك إنما يعقد الموقف ويسد كل الأبواب دون وضوحه وتبدده؟!

- ويأتي شرط تقديم الأدلة والحجج، ليتبين لقارئ المذكرة بأن صاحبها ليس لديه إلا القول، ولا مصدر له إلا فيما كتبته أقلام مسمومة خارج الوطن، لحسابات استعمارية لا يجهلها أحد، إذ الخارج المطرود من الزردة لا ينفك بالعادة عن وصفها بالفاسدة، وهكذا، تمر الفقرات والصفحات تتلوها فقرات وصفحات أكثر فقرا إلى الحجج والبراهين حتى أن القارئ لم يجد في تلك الوثيقة المكتنزة حجة واحدة تسند تهمة من التهم المكالة مجانا وإدانة من الإدانات الموزعة بلا حساب!!

- ثم يأتي شرط الاستعانة بذوي العلم والرأي وأهل الحل والعقد من العلماء والأئمة، ومادام الإصلاح الذي تدعو إليه المذكرة وتدعيه يهم الأمة برمتها، فقد كان لزاما الرجوع إلى أهل العزم منها، وهم الأئمة والعلماء المشار إليهم، لجعل العملية مندرجة في جهد وطني جماعي منسجم ومتكامل، وهذا ما لم يستطع صاحب المذكرة استيفاؤه لأنه يعلم، كما نعلم جميعا، أنه وحده ولا يقف وراءه إلا النزر اليسير من المغرر بهم ممن ينشرون أخبار كراماته وكشوفاته، وأنه بذلك يفتقر إلى ركيزة من أهم ركائز الإصلاح في الدين الإسلامي، ألا وهي إجماع أهل العلم، وما أدراكم ما أهل العلم، وهم الذين أورثهم الله مسؤوليات الأنبياء بالحديث المثبت في الصحيحين، وقبل ذلك، بآيات كريمة لا تحتاج إلى شرح أو إطناب كقول الحق عز وجل، ولا يزال قائلا عليما: ﴿**لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم**﴾ وقوله سبحانه: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط**﴾ وقوله عز من قائل: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾... وفي هذه الآيات كامل الدلالة على أن العلماء، هم العلماء بالقرآن وعلومه على الخصوص، شريطة أن يدخل في هذا الوصف كل من العلمي والشرعي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والحضاري والنفسي والعقلي والبدني... هم أخص بأن يرجع إليهم في كل محاولة ترمي إلى إصلاح، هذا إذا كان الإصلاح حقا هو الهدف الحقيقي من تلك المحاولة.

- ويأتي شرط النظر إلى مكانة المحتسب عليه (بالفتح)، ليس بغرض تخصيصه بالاعتبار في شخصه إذ الله عز وجل ورسوله ﷺ ليس أبغض إليهما من هذا الضرب من الميز والمحسوبية، وإنما بغرض وقاية أتباع المحتسب عليه والمتعاطفين معه وكذا أعداءه، والمتحاملين عليه لأسباب مختلفة، من مغبة الفتنة والتفرقة والنزاع، لأن المتضرر الأول والأخير في هذه الحالة هي الأمة الإسلامية، أو بتعبير أبسط، هي الجماعة المسلمة.

وقد تبين لكل متفحص، للمذكرة، أنها لم تقم أي اعتبار للعلاقة القائمة بين هذا وذاك من الأمة ومسؤوليها وزعمائها، ومن الرعية والرعاة، وفضل صاحبها الخلط بين الحابل والنابل حتى يكون له ما يريده في ختام المطاف، ألا وهو الانفراد بإصدار أحكامه نيابة عن الجميع... وهو ما لم يفلح في نيله بأي شكل من الأشكال!

وأخيرا، يأتي شرط السعي إلى المصلحة العامة دون غيرها، وهذا له ارتباط بالشرط الأول، والذي يتطلب التنزه عن أي مصلحة ذاتية أو حزبية أو مذهبية إيديولوجية، وقد رأينا فيما نشره عدد غير قليل من المتدخلين -حول موضوع هذه المذكرة أن صاحبها بدا عليه فعلا أنه يرغب، في حقيقة الأمر، في الاحتفاظ بعزلته وتقوقعه القسريين لأنهما يؤمنان له زعامة ووجاهة وشهرة ما كان له أن يظفر بها لو أخلي سبيله، لأنه في هذه الحالة سيصير مجرد مواطن عادي وبسيط ومغمور... فهل عند الله عز وجل أفضل من هذه الصفة من التواضع والمذلة عندما يتصف بها عبده؟ ذلك هو السؤال الذي يبدو أن صاحب المذكرة نسيه ونسي جوابه المفحم المعبر عنه في الحديث القدسي المشهور بما معناه: «أن جلساء الله يوم القيامة الحفاة العراة الذين إذا حضروا جمعا لم يلتفت إليهم وإذا غابوه لم يسأل عنهم»... فسبحان الله! وأين هو هذا النزوع إلى البساطة والتواضع؟ نريد فقط أن نفهم! ■

للحقيقة والتاريخ نورد مقتطفات من درس من الدروس الحسنية ألقاه أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه

بتاريخ 12 رمضان الأبرك 1386هـ الموافق 25 دجنبر 1966م

■ انطلاقا من الحديث الشريف :

«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»

***

كما رأينا في هذا الحديث أمكننا أن ناتيه من جوانب شتى، من جوانب تنظيم الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي في قرننا هذا بالأخص، من باب تعريف المنكر وكيفية مشاهدته، من باب أن الدين الإسلامي هو دين جماعة قبل أن يكون دين اجتماع. والدليل على هذا أن صحابيا سأل رسول الله قال له: أو المومن يزني ؟ قال : نعم، قال: أو المومن يسرق ؟ قال نعم، قال: أو المومن يكذب ؟ قال : لا، كيف؟ فإذا أخذنا الحديث على ظاهره نجد أن الزنى ذنب اجتماعي وليس ذنبا جماعيا، حيث إنه يهم الفردين، أما السرقة ذنب اجتماعي وليس جماعيا، يهم السارق والمسروق، والكذب من شأنه أن ياتي على قرية كلها. وأنا أقول كقول الشاعر :

وكذب قاله سفهاء قوم
وحل بغير قائله العذاب

ولكن إذا نحن تعمقنا في هذا الحديث نجد أن في الحقيقة النبي استعمل معنا طريقة مكيافيلية، وذلك سهل، قال : أو المومن يزني ؟ أو المومن يسرق ؟ قال : نعم، نعم، يكذب : لا. ولكن إذا نحن نظرنا بإمعان، الزنى يكون مبنيا على الكذب. والسرقة تكون مبنية على الكذب والاختلاس. ففي كليهما الكذب، فصار المومن الذي لا يكذب يستحيل عليه أن يزني ويسرق. وفي كلتا الحالتين يظهر أن الإسلام دين جماعة، ودين اجتماع، ودين حشمة، أنا لا أرضى على فتياتنا وأمهات أبنائنا أن يخرجن في الشوارع بما يسمى «بالمينيجيب». ولا أرضى على أمهاتنا وفتياتنا أن يخرجن للشارع على الكيفية المزعجة المتحدية، المتحدية لا للطبيعة البشرية، ولا لنزوات الذكر والرجل، فالمرأة كلها تحد، خرجت بحجاب أم بغير حجاب، ولكن تحديها لله، تحديها للصبيان للأطفال الذين يشاهدون أمهم في تلك الحالة، وخالتهم وعمتهم، فيجب علينا إذن أن نعلم بأن النبي لم يجعل علينا ديننا ضيقا، بل جعله واسعا، ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾. من أراد أن ياتي بمثل هذه الأمور رغم الوازع الديني ورغم الوعظ والإرشاد فليستتر، فليستتر في قعر بيته، فليلبس ما شاء في بيته، فليقل ما شاء في بيته، فليرقص ما شاء من الرقصات في بيته. أما أن ياتي بذلك أمام الناس فهو تحد. تحد لله، وتحد لاستمرار الفضيلة الإسلامية.

وهذه الفضيلة هي التي جعلتنا أمة كيفما كان الحال لازالت تطمع في خير الله، وتطمع في رحمة الله، ألفنا نحن ونحن صغار أن نستيقظ في رمضان وغير رمضان فنجد مرضعتنا أو خادمتنا تصلي، وألفنا في الليلة السابعة والعشرين من رمضان أن نسمعها كما يقول العامة وهي تناجي سيدنا قدر بمعنى ليلة القدر وتقول لنا ونحن صغار : اطلبوا ما شئتم : سيدنا قدر سيعطيه لكم، فمن شب على مثل هذه الأخلاق، ومن رأى مثل هذا ومن أنس في أهله وفي عشيرته وفي الأقارب مثل هذه الأعمال سهل عليه أن يلقنها لأبنائه.

أما إذا نحن بقينا على هذه السيرة، وإذا بقيت تعاليم الإسلام مهملة، وإذا بقي التعليم الإسلامي مهملا، فسيحق علينا قول الله سبحانه وتعالى حينما قال في الذين نسوا ذكر الله ﴿كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾.

لذا قررنا أن نصدر أمرنا بمجرد انتهاء هذه الرخصة أن تقام الصلوات رسميا في جميع المدارس الموجودة بالمملكة المغربية ابتدائية كانت أم ثانوية أم عالية، وسوف يكون المسؤول على هذا القرار وزير التعليم أولا والمديرين ثانيا، فإن لم يغيروا هذا المنكر وهو ترك الصلاة فالله وليه. وإن سمعت بعدم تغييره غيرته.

ثانيا يجب علينا أن نعنى في كلياتنا وجامعاتنا باللغة العربية وبالمعرفة العربية. فيجب علينا إذن أن نزيد في برامج الكلية مادة، وهي مادة الحضارة الإسلامية أو العلم الإسلامي، والاسم لا يهم، تجعل من ذلك الامتحان أنه من لم يحصل على نقطة معدل في تلك المادة سقط في الامتحان كيفما كانت نقطه الأخرى.

فإذا نحن قمنا بهذا وقام معنا الآباء في بيوتهم والولاة في عمالاتهم، والقضاة في محاكمهم، ماذا سيقع؟ لن يقع أي شيء غريب، وهو أنه سنكون مع ربنا معلمين في كناش واحد. إن الله سبحانه وتعالى تنازل، تنازل سبحانه وتعالى وقال، سوف أتعاقد معكم على شيء، وسوف أضع توقيعي على ذلك الشيء وسبحانه وتعالى ذلك التعاقد لم يات به في حديث نبوي، ولا في حديث قدسي، بل سجله في كناش المحافظة الإلهية في دفتر القضاء الأعلى، في القرآن الكريم حيث قال: ﴿إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا﴾.

فالله نسأل أن يلهمنا حتى نعمل الخير، فيصير الخير في قلبنا، وينمو في قلبنا، فيكون في قلبنا الخير العميم، فيكون الله سبحانه وتعالى إذ ذاك علم أن في قلوبنا خيرا فأعطانا خيرا. اللهم اهدنا، اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب﴾.

***

من أسلمة الحداثة إلى فرنسة النصيحة

شادي الحجوجي (*)

■ بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة على النبي الكريم. من قال هلك الناس فهو أهلكهم، هكذا يصف لنا النبي محمد صلوات الله عليه وسلامه أمثال الشيخ عبد السلام ياسين الذي ينذرنا منذ 26 سنة خلت بطوفان يوشك أن يحل بنا !

أما لماذا «أسلمة الحداثة» فهو أكبر دليل وأوضح المؤشرات على أن معظم مؤلفات الشيخ ليست إضافات نوعية تغني المكتبة الإسلامية، بقدر ما هي إضافات كمية تعيد صياغة أفكار موجودة سلفا، وأطروحات ومبادئ سبقه إليها مفارية وأجانب. ثم تأتي المذكرة، النصيحة لتؤكد ما نذهب إليه، فهي مزايدة سياسوية بخطاب شعبوي وبمعطيات حكومية!! لا جديد عند الشيخ !

النصيحة ليست لوجه الله !!

الدليل الأول على أن المذكرة هي تصفية حساب وليست نصيحة لوجه الله هو أنه طبعت بمئات النسخ ووزعت في احتفالية وعلى إثر ندوة صحفية ! الدليل الثاني هو أن النصيحة المزعومة إن كانت لولي الأمر، فلم يكن من الجائز شرعا تسليمها إلى غير ولي الأمر، أما إذا كانت نصيحة إلى عامة الشعب المغربي، فإن هذا الشعب الكريم الشهم الصبور في غنى عن تلك الإحصائيات التي يعرفها جيدا، بل ويعيش وسط معطياتها، ولا يرى أنه بشتم الملك الراحل رحمه الله سوف يتحسس وضعه إلى الأفضل. الدليل الثالث على أن المذكرة ليست نصيحة لوجه الله وإنما هي موقف سياسي صرف، هو ذلك الحرص الشديد على وجود المنابر الصحفية الدولية وممثلين عن السفارات الأجنبية، وكتابة المذكرة باللغة الفرنسية لغة المستعمر (بدون تعليق).

السفارات، الصحف الأجنبية، اللغة الفرنسية أو عملية تسويق البديل !!

حينما أعطيت الأوامر لمريدي الشيخ بعدم حرق العلم الأمريكي في مظاهرة الشعب المغربي ضد العدوان على الشعب العراقي الشقيق، لم ينتبه إلى هذا الأمر إلا القليلون، لأن الرسالة كانت مرموزة بالنسبة لنا، ولكنها كانت واضحة باتجاه امبراطورية الشر، وفحواها أن الشيخ، رغم أنه متشبع بالخميني والثورة على الطريقة الإيرانية... إلا أنه في حالة الدعم فلن تتضرر المصالح الأمريكية كما تضررت إيران!!

الحرص على تبليغ السفارات الأجنبية مباشرة والصحافة الدولية عبر وكالة الأنباء الفرنسية - التي بدأت تعرف عن الجماعة ما لا يعرفه حتى شبيعة الشيخ - لدليل يصادم النظام الحاكم، الأحزاب السياسية، المجتمع المدني، وغالبية الشعب المغربي فكيف له أن ينتصر ؟!

اللغة الفرنسية لم تكن وسيلة لتبليغ النخبة المغربية بما يريد الشيخ المغربي أن يقوله، ولكنها أتت لتكون قريبة من مصادر المعطيات المتوفرة على الملك الراحل وهي في معظمها مستقاة من الصحافة الفرنسية، (بغض النظر عن مدى حقيقة تلك المعطيات المغرضة في حق الملك الراحل الذي نعلم أن علاقته بالدوائر السياسية والإعلامية الفرنسية لم تكن على ما يرام) وفي نفس الوقت لتكون قريبة من قنوات التفريغ وهي على عكس ما يريد الشيخ الجليل إيهامنا به، ليست النخبة المغربية التي لها ثقافة مزدوجة على غرار عبد السلام ياسين نفسه، ولكن الهدف كان نفس تلك الصحافة التي يستقي منها المعلومات إياها، لإعادة نشرها بصياغتها الجديدة وكذلك كان الهدف السفارات لكي تكون أقدر على إيلاغ سلطات بلادها بما يقترحه زعيم العدل والإحسان، ولكن للأسف فهذا الأخير لا يقترح غير الحقد... فمتى كان الحقد برنامجا مجتمعيا!! ألم أقل لكم أن لا جديد عند الشيخ ! فحتى الحقد يأخذه من حركات اليمين المتطرف الغربية، والتي تجعل من كل من هو مختلف معها عدوا يجب تنحيته حتى ولو كان ميتا!!! فأيننا من الإسلام.

التعامل مع معطيات مصدرها أجنبي وانتظار الدعم من الأجنبي أكبر دليل على أن الجماعة غير قادرة على التغيير باعتمادها على المغاربة لأن مجملهم لا يشاطرونها الرأي.

الإحصائيات التي جاء بها الشيخ كاذبة ولو صدقت لأنه بكل بساطة لم يأخذ بعين الاعتبار كيف كان المغرب في بداية الستينيات وكيف أصبح في نهاية التسعينيات : ديموغرافيا، اقتصاديا، اجتماعيا، سياسيا وحقوقيا.

الأكيد أن المغرب رغم السلبيات قد تغير نحو الأفضل في كل هذه المجالات والكمال لله وحده.

ويكفي الملك الراحل فخرا أنه وحد الأمة واسترجع لنا صحراءنا ولم ينهج سياسة الاستئصال ضد الحركة الإسلامية الغربية بل حاول فقط ترشيدها ولا غرو فقد كان حقا أميرا للمؤمنين. وها هو عبد السلام ياسين يشكره بطريقته وما جزاء الإحسان إلا الإحسان يا زعيم العدل والإحسان!!

يأمرنا الإسلام أن لا نخرج عن حكامنا وأن نطيعهم ما أقاموا فينا الصلاة، فكيف بمن كان يقيم فينا الصلاة ويرعى العلم والعلماء، وعبد السلام ياسين ليس منهم ولن يكون ولو أراد لأسباب ذاتية وموضوعية.

حكم الشيخ كان على الملك الراحل ظالما والله لا يحب الظالمين وهاك مثالين آخرين.

أولا : علاقة الملك الراحل بإسرائيل والتي انتقدها الشيخ، مع أن هذه اللقاءات كانت من أجل الفلسطينيين وحقهم في الأرض وليست كتلك التي كانت للخميني عندما اشترى أسلحة من إسرائيل لقتل إخوته المسلمين، في العراق أثناء حرب الخليج الأولى.

ثانيا : ينتقد الشيخ ما قام به الملك الراحل للحفاظ على وحدة المغرب وصيانة النظام الملكي، ويتناسى ما قام به الخميني من إعدام الآلاف من أبناء بلده للحفاظ على «ثورته الإسلامية» وما يفعله أبناؤه الآن من قتل للمثقفين في أيامنا هذه تحت مسميات شتى !! فلماذا الكيل بمكيالين ؟!

عودة لرسالة 1974 أو «الإسلام أو الطوفان!!»

بعد دعوة الملك الراحل إلى التوبة (!) يقترح عبد السلام ياسين على الحسن الثاني رحمه الله قيام الدولة على ركيزتي الجيش والعلماء، ولأن ملك البلاد كان داهية سياسية باعتراف ابنة الشيخ نادية ياسين، بما أن الحسن الثاني كان أذكى من أبيها فقد بدأ في إجراءات جديدة لتحييد الجيش وإبعاده عن السياسي المتمثل في الاعتدال والوسطية وعدم الخروج عن المذهب المالكي، مذهب الدولة الرسمي، لم يسقط رئيس الدولة الراحل في ذلك الخطأ الفادح الذي يتخبط فيه الآن أبرز مثالين لدولتين «إسلاميتين» إيران والسودان.

فالأولى : نقطة ضعفها علماء متحجرون.

والثانية : نقطة ضعفها جيش متعطش للسلطة وغير مستعد للتخلي عنها ولو بدل دينه.

كما أن من حسنات الحسن الثاني أنه سمح للأحزاب السياسية بالتحرك شيئا. فشيئا.... مع أن عبد السلام ياسين الذي بدأ يؤمن بالديمقراطية الآن كان قد دعا الملك الراحل إلى إلغاء التعددية الحزبية هكذا ! وهذا دليلآخر على أن الشيخ أقرب إلى الضلال من الملك الراحل !!

وما دمنا نتحدث عن تلك الفترة من تاريخ المغرب فالانزلاقات وقعت ليس لأن الملك كان شيطانا كما يريد وصفه شيخنا الجليل ولكن لأن قادة الأحزاب والمناضلين والخصوم السياسيين لم يكونوا ملائكة. ومشاكل المغرب ومآسيه يجب أن يتحمل مسؤوليتها كل المغاربة بدون استثناء حتى أولئك الذي كانوا يتفرجون.... وشيخنا منهم كما يعلم الجميع !!

ماذا كان يريد الشيخ، ولماذا كل هذا الغضب في المذكرة ؟!!

لنبدأ بالغضب الذي لمسناه في السطور وبين السطور، لقد كان الشيخ وأتباعه يستعدون لقومتهم المنشودة، قومة بضعة آلاف على الشعب المغربي بملايينه الثلاثين ومؤسساته الوطنية (المؤسسة الملكية، الجيش، الحكومة، البرلمان، القضاء...) وكان الشيخ يحسب ذلك ممكنا ! (ربما لما يتمتع به من كرامات !) فجاء موت الحسن الثاني، وتلته بيعة لأمير المؤمنين محمد السادس من لدن العلماء ومن طرف الهيئات الممثلة للشعب المغربي، وتربع الملك الأكثر شعبية في تاريخ المغرب القديم منه والحديث على قلوب المغاربة، قبل تربعه على عرش أسلافه المنعمين. كل هذا لم يرق لشيخنا الجليل، فصب جام غضبه في مذكرته المشهورة !!

لنعد الآن إلى ما كان يريده صاحبنا عبد السلام ياسين للمغرب والمغاربة، فغير خاف على أحد أن الشيخ يجعل من الثورة على الطريقة الإيرانية هدفا لحركته السياسية وذلك ما يجعله يتقرب إلى علماء الأمة ليقنعهم بصواب موقفه، لكن هناك مشكلة ! كيف له ذلك وفي المغرب علماء أجلاء يفهمون الإسلام على حقيقته لا على «طريقة» شيخنا الموقر ؟!

ثم إن الذي فات زعيم العدل والإحسان أن الملك الراحل رحمه الله لم يكن هو الشاه، وأن 1979 ليست هي 1999، كما أن إيران ليست هي المغرب والمغاربة طبعا ليسوا هم الإيرانيون !!

لنكن واقعيين : إن الدولة المغربية دولة إسلامية، كان ذلك قبل ميلاد شيخنا الجليل وستبقى كذلك بعد وفاته.

ولنكن صرحاء : إن الشعب المغربي شعب مسلم اعترفت بذلك قيادة العدل والإحسان أو لم تعترف، وهو إلى حد كتابة هذه السطور يظهر إسلامه قولا وفعلا من رأس الدولة إلى رجل الشارع وليس بحاجة إلى وصاية من أحد، ولا هو بحاجة إلى أن يتوب على يد أحد، بل أكاد أجزم أن على يده سيتوب من خارج السرب، والأيام بيننا.

العدل والإحسان بين خيارين لا ثالث لهما !!

استبعد الخيار الثالث والمتمثل في المواجهة لأسباب ذاتية وموضوعية : الذاتية : وهي أن الجماعة أضعف من أن تقف في وجه الدولة، فأعضاؤها مع أنهم يظهرون صلابة في الموقف، إلا أنهم بالتأكيد ليسوا انتحاريين !! ثم إن العود الصلب يكون في الكسر من العود اللين.

الموضوعية: وهي جنوح المغاربة للسلم ونبذ العنف مع مرور التاريخ وهي خصال حضارية وتنم عن وعي كبير بدقائق الأمور في هذه المرحلة، كما أن الفرقاء السياسيين أصبحوا مع مرور الزمن أكثر قبولا بالآخر، رغم اختلافه فالاختلاف رحمة لهذه الأمة، والاختلاف لا يعني التنازع، ومن هنا فالمؤسسة الملكية لا يمكن أن تكون محل خلاف أو اختلاف ومن ثم تنازع وفشل، وهذا ما يحذرنا منه ربنا عز وجل.

أما الخياران المتبقيان فهما :

1 - الخيار الأول : المشاركة مع أبناء هذا الوطن الحبيب في بناء غد أفضل لكل المغاربة، ومن ثم القبول بالتعددية ورفض الصوت الواحد والاحتكام دائما للشعب عبر الاستشارات الانتخابية المنتظمة.

2 - الخيار الثاني : العزلة والاكتماش في انتظار الذي يأتي والذي لا يأتي ونحن نعلم أن الوقت ليس في صالح العدل والإحسان خصوصا بعد دخول غريمه إلى المعترك السياسي المؤسساتي والمتمثل في حركة التوحيد والإصلاح، والتي لم تجمها وأبانت عن ذكاء وحكمة في التعامل مع الأحداث، وواقعية سياسية تثير الإعجاب، مع إمكانية الاختلاف معها، ولكن الاختلاف لا يفسد للود قضية، فكل المغاربة يجب أن يكونوا في خدمة المغرب، كل من موقعه في الحقل السياسي، وحركة الدكتور الريسوني إسلامية شعبية ديمقراطية وهذا ما يهمنا.

نداء إلى العقلاء في العدل والإحسان !

في نظري من الخطأ انتظار التطبيق الكامل والحرفي «للشروط» الشيخ عبد السلام ياسين، لأنها بكل بساطة غير واقعية، ومعظمها غير قابل للتطبيق لا الآن ولا غدا ! والحكمة تقتضي أن يساهم الجميع في بناء المؤسسات وتقويتها، لا العزوف عن المشاركة في البعض ومحاولة إضعاف البعض الآخر، لأن في ذلك إساءة لتاريخ المغرب وسب للمستقبل.

ثم إن على عقلاء العدل والإحسان أن يتذكروا أن الملك الشاب يجب أن يكون ملك كل المغاربة. لا ملكا لمغاربة العدل والإحسان فقط ! بكل ما يعنيه ذلك من دفاع عن مصالح متضاربة وأفكار متناقضة لا يجمع أصحابها إلا حب المغرب والدفاع عنه كل من موقعه.

إن الخلافة الراشدة بدأت تلوح في الأفق مع مجيء الملك الشاب محمد السادس أعزه الله وأعز الإسلام به، والحكمة تقتضي أن يساعده كل المغاربة ممثلين في كل هيئاتهم السياسية والمدنية لكي يحس أن وراءه رجالا مستعدين للإصلاح ومشاركته في محاربة الفساد وبناء الحكم الراشد.

فلا يعقل أن نطلب من ملك شاب كل شيء هنا والآن ! وعليه يجب الانتقال من فكرة ماذا قدم لي وطني إلى فكرة ماذا قدمت أنا لوطني وماذا يمكنني تقديمه هنا والآن !

على عقلاء العدل والإحسان أن يعلموا بأن وضع ثلاثة ملايين دولار ونصف، هي ديون المغرب تجاه البنك الدولي (من أصل 174 مليار دولار) مشجبا لتفسير تبعية الاقتصاد المغربي، هي رؤية سطحية للأمور وجهل بالأرقام والأبجديات الاقتصادية من طرف من يكتب «في الاقتصاد» !

ثم إن تفسير تهميش الجماعة بدور الدولة المغربية هو قول يجانب الصواب لأن السبب الرئيسي في تهميشها هو زعيمها نفسه وبشهادة رفيق دربه الدكتور البشيري. كما أن وضع شروط تعجيزية للدخول في العملية الديمقراطية ينم عن قصور في استيعاب مفهوم السياسة والتي هي فن الممكن!

إن الحركات الإسلامية في ربوع عالمنا الإسلامي والتي تريد فعلا الإصلاح، لا تطلب سوى 10٪ من الحرية التي هي موجودة فعلا في المغرب فلماذا تكابر !

حينما اختار الشيخ قلة الأدب في النصيحة مع شتمه للأموات والافتراء عليهم أكد بما لايدع مجالا للشك أنه مرة أخرى خالف تعليمات النبي، وتجاهل ما هو معلوم من الدين بالضرورة لمرض في قلبه. يقول النبي : «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» حديث شريف إذن، كان حريا بشيخنا الجليل قبل أن ينتقد غيره أن يقوم بعملية نقد ذاتي عسى الله أن يهديه صراطا مستقيما. فهو على كل حال لايفقه لا في الدين ولا في السياسة وفي الاقتصاد ! وليست الأساطير المؤسسة لعبد السلام ياسين هي التي ستغير من حقيقة الأمر شيئا.

على العقلاء في العدل والإحسان أن يكفوا عن تسويق ثقافة الاحتجاج والمزايدة والمعارضة من أجل المعارضة، وليستبدلوها بثقافة المشاركة الإيجابية والحوار والتوافق. مع أن كلمة التوافق أصبحت كلمة مستهجنة لكن مضمونها مليء بالعبر، فالحقيقة المطلقة هي أن ليست هناك حقيقة مطلقة بعد الله والقرآن ومن ثم فالنسبية في التفكير هي مفتاح التوافق والتوافق لا يعني أن نتفق على أمور ضرورية لحماية اختلافنا :

1) الإسلام.

2) الملكية الدستورية.

3) الوحدة الترابية.

4) التعددية السياسية والتداول السلمي للسلطة.

كل هذا يعطينا دولة إسلامية ديمقراطية هي أمل كل غيور على وطنه في هذا البلد، ولنجعل من المغرب بلدا يحتذى به.

إن الاستبداد أمر أصبح مرفوضا من طرف الشعب المغربي ولو باسم الإسلام، قبل أن يكون مرفوضا دوليا.

إن الشعب المغربي قد راكم من الحريات ما يجعله مستعصيا على كل مستبد، وهذا من إيجابيات عهد الملك الراحل طيب الله ثراه.

«إن المغرب سوف يستمر في مفاجأتكم» هكذا تكلم الحسن الثاني رحمه الله، في آخر استجواب له، وهو العارف بأحوال شعبه، المنصت لنبضات عروقه الحية، وهو على كل حال لم يكن ينطق عن الهوى، بل كان متيقنا مما يقول، وكان يقوله لمن يهمه الأمر، والأكيد أن فراسة المؤمن لا تكذب أبدا، فكيف بفراسة من كان أميرا للمؤمنين.

والحمد لله رب العالمين.

(*) مواطن مغربي
(الأحداث المغربية)
27 مارس 2000

***

تقديـم البيعـة
لجلالـة الملك محمد بن الحسن بن محمـد

شهدت قاعة العرش بالقصر الملكي بالرباط مساء الجمعة 9 ربيع الثاني 1420هـ مراسيم تقديم البيعة لجلالة الملك محمد بن الحسن بن محمد نصره الله وأيده.

وقد ألقى في بداية هذه المراسيم وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد عبد الكبير العلوي المدغري نص البيعة التالي :

* * *

نعم.. الله يبارك في عمر سيدي.

الحمد لله الذي جعل الإمامة العظمى أمنا للأمة، ونعمة ورحمة، وجعل البيعة ميثاقا والطاعة لأولي الأمر عهدا ووفاقا. فقد قال تعالى : ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله. يد الله فوق أيديهم. فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما﴾. وقال سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾. وقال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية».

وإنه لما قضى الله بوفاة أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين وإمام المسلمين في هذا البلد الأمين جلالة الملك الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن قدس الله روحه وطيب ثراه وعطر بأريج الرحمة مثواه. ولما كانت بيعته الشرعية في أعناق المغاربة جميعا من طنجة إلى الكويرة. وكانت البيعة من الشرع وهي الرابطة المقدسة التي تربط المؤمنين بأميرهم وتوثق الصلة بين المسلمين وإمامهم. وكان فيها ضمان حقوق الراعي والرعية وحفظ الأمانة والمسؤولية. وسيرا على المعهود في تقاليدنا الملوكية المرعية والتي بفضلها تنتقل البيعة بولاية العهد من الملك إلى ولي عهده من بعده فإن أصحاب السمو الأمراء وعلماء الأمة وكبار رجالات الدولة ونواب الأمة ومستشاريها ورؤساء الأحزاب السياسية وكبار ضباط القيادة العليا للقوات المسلحة الملكية الموقعين أسفله إذ يعبرون عن ألمهم بفقدان رمز الأمة سليل الملوك العلويين الكرام وواسطة عقد الأئمة العظماء الأعلام مولانا الحسن بن مولانا محمد بن مولانا يوسف بن مولانا الحسن.

ويبتهلون إلى الله جلت قدرته وتجلت عظمته أن يسكنه فسيح الجنان ويحسن إليه أكبر الإحسان على إخلاصه وتضحيته وأدائه الأمانة على وجهها ووفائه بالرسالة بأكملها يقدمون بيعتهم الشرعية لخلفه ووارث سره صاحب الجلالة والمهابة أمير المؤمنين سيدنا محمد بن الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن جعل الله أيامه أيام يمن وخير وبركة وسعادة على شعبه وبلده وحقق على يده الكريمتين آمال هذه الأمة الوفية المتمسكة بعرشه والمتفائلة بعهده ملتزمين بما تقتضيه البيعة من الطاعة والولاء والإخلاص والوفاء في السر والعلانية والمنشط والمكره طاعة لله عز وجل واقتداء بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم سائلين الله لأمير المؤمنين طول العمر ودوام النصر والعز والتمكين.

وحرر بالرباط في يوم الجمعة 9 شهر ربيع الثاني 1420هـ الموافق لـ 23 من يوليوز 1999 . الله يبارك في عمر سيدي».

وقد وقع وثيقة البيعة صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد وصاحب السمو الأمير مولاي هشام وصاحب السمو الأمير مولاي إسماعيل والوزير الأول ورئيسا مجلس النواب ومجلس المستشارين وأعضاء الحكومة ومستشارو صاحب الجلالة ورؤساء المجالس العلمية ورئيس المجلس الأعلى والوكيل العام للملك به ورئيس المجلس الدستوري والضباط السامون بالقيادة العليا للقوات المسلحة الملكية والمدير العام للأمن الوطني ورؤساء الأحزاب السياسية والحاجب الملكي ومدير الأمانة الخاصة الملكية ومدير التشريفات الملكية.

إثر ذلك تقدم الموقعون تباعا للسلام على جلالة الملك محمد بن الحسن أعزه الله وأيده.

* * *